

# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الاول من المجلد الثاني والثمانين

٤ رمضان سنة ١٣٥١

١ يناير سنة ١٩٣٣

## رواية الاشعة الكونية

كيف كشف عنها - كيف تقاس قوتها - الاختلاف في اصلها  
علاقتها ببداية الكون ونهايته

ما هي الاشعة الكونية ؟ من اين تأتي ؟ هل في طيات امواجها اسرار الخلق ؟ هذه هي  
المسائل التي يحاول علماء الطبيعة الاجابة عنها بالتجربة والامتحان آناً وبالجمع بين التجربة والنظر  
الفلسفي آناً آخر . ومن رأي الدكتور جنسن الاستاذ بمعهد بارثيل الاميريكي للبحث العلمي ،  
انه لا يعرف في تاريخ العلم مسألة ، اختلف العلماء في الاجابة عنها اختلافهم في الاشعة الكونية

\*\*\*

من عهد قريب صعد العلماء الالمان هورلن Hoerlen وكينزل Kinzel وبورشرز Borchers  
الى قمة جبل « هو الاكان » في سلسلة جبال الاندس وعلوها ٢٠ الف قدم فوق سطح البحر ،  
وقضوا هناك ثمانية ايام كأنهم عقبان على صخرة شاهقة ، يقيسون قوة هذه الاشعة . وفي  
هذا السبيل نفسه قتل الالمان الاميريكيان كارپ Carpe وكوفن Koven في محاولتهما الصعود  
الى قمة جبل ماكنلي في الاسكا . أما الاستاذ كطن الاميريكي ، رئيس بعثتهما فقد رحل مسافة  
٥٠ الف ميل بين خط العرض الجنوبي ٥٦ وخط العرض الشمالي ٦٨ مخترقاً في رحلته خمس  
قارات ومجتازاً خط الاستواء اربع مرات ، حاملاً معه الآلة الخاصة التي بناها لدرس هذه  
الاشعة . وها هو الاستاذ هس الالماني يصعد الى قمم جبال الألب وزميله الاستاذ كوهلرستر  
يبتني معمله في الجبل على جبل اليونغفرو بسويسرا ، بغية النفوذ الى اسرار هذه الاشعة . ويمكن



الاميركي يبعث أنا بلونات مجهزة بآلات مدونة الى مرتفعات عظيمة في الهواء ، ويصعد آونة اخرى في جبال بوليفيا او كاليفورنيا او يرتاد الاصقاع القطبية لهذا الغرض. ويجاريه الاستاذ رجنر الالماني فيرسل في الجو بلونات آلية التدوين او يغرق آلة قياس الاشعة في مياه بحيرة كونستانس لمعرفة اثر الماء في حجبها . بل هذا هو الاستاذ بيكار يرتفع ببلونه مرتين الى علو ٥١٧٥٨ ر٥١٧٥٨ قدماً فالى ٥٣٦٧٢ قدماً فيضرب الرقم القياسي العالمي في التحليق الى اعلى ما بلغه الانسان، ولكن هذا الفوز ليس الغرض الذي يرمي اليه في هذه المغامرة الجريئة بل غرضه قياس قوة الأشعة في الطبقة الطخروية من الهواء Stratosphere

مضى هؤلاء العلماء وعشرات غيرهم في طريقهم نحو هدفهم ، غير عابئين بالقيظ ولا بالزمهرير ، بالسغب ولا بالغب ، بالحشرات ولا بالوحوش ، لان في نفوسهم روح الرواد العظام . والعلم اذا دفع ابتداءه في سبيل البحث عن اسرار الطبيعة نثت فيهم لهفة الباحث في قصر خرب عن كثر مدفون

\*\*\*

وتاريخ الأشعة الكونية يرتد الى اوائل هذا القرن. كانت عناصر الاورانيوم والثوريوم والراديوم والپولونيوم وغيرها من العناصر المشعة في ذلك العهد عجائب استرعت عناية الباحثين بما ينطلق منها من اشعة الفا وبيتا وغمما ، وبمقدرتها العجيبة على جعل الغازات قادرة على اصال الكهربائية . وبعد بحث قليل ثبت ان في الصخور الارض مقادير كبيرة من العناصر المشعة ، وأن مياه بعض الينابيع مشعة كذلك . ومن الصخور كانت تنطلق اشعة تمزق بعض ذرات الغازات التي يتركب منها الهواء فتجعله موصلاً للكهربائية لان غازات الهواء في حالتها الطبيعية موصل كهربائي رديء . واذاً كان من الطبيعي ان يعمد الباحثون الى قياس اثر هذه الاشعة في «تمزيق» ذرات الهواء . فأخذ ثيودور ولف ( Wulff ) الاب اليسوعي ادواته ، وصعد الى قمة برج ايفل بباريس ، فظهر له ان هذا الفعل اضعف عند القمة منه على سطح الارض . وكان ذلك منتظراً لانه كلما بعدنا عن الصخور التي تطلق الاشعة ، يضعف فعلها على ان الاستاذ ولف كان عالماً دقيق الحس قوي الملاحظة ، فاسترعى نظره ، ان ضعف هذا الفعل في الهواء كان اقل مما يجب ان يكون. وقرأ العالم الطبيعي السويسري الاستاذ غوكل Gockel ما اسفر عنه بحث الاب اليسوعي فخطر له ان يخلق ببلون لقياس فعل الاشعة المنطلقة من الصخور في الهواء على مرتفعات تفوق قمة برج ايفل . فصعد في سنتي ١٩١٠ و١٩١١ الى علو ١٣ الف قدم ، ونزل اشد حيرة مما صعد . ذلك ان فعل الاشعاع من الصخور ضعف اولاً ، ولكنه اخذ يزداد بازدياد ارتفاعه

وعمد هس Hess العالم الالماني الى الحساب الدقيق فتبين له ان اشعة غمما وهي اقوى الاشعة المنطلقة من العناصر المشعة لا يمكن ان يظهر اثرها فوق بضعة مائة متر فوق سطح



البحر لأن الهواء يمتصها . فاما ان تكون النتائج التي اسفرت عنها مباحث غوكل خاطئة ، او ان في الأمر سرّاً ، فعادة تجربته للتثبت من صحة نتائجها امر ذو بال لا ندحة عنه . لذلك عمد هس الى البلونات التي تحمل ادوات آلية التدوين وأطلقها في الجو فارتفعت الى ١٦ الف قدم فوق سطح البحر ، فلما هبطت قرأ ما دوّنته الآلات فاذا هي تؤيد نتائج غوكل كل التأييد . ولم يكتفِ بذلك بل حلق بنفسه ، ثم اشترك مع زميله الاستاذ كوهلرستر ، خلّقا الى علو ستة اميال فوق سطح البحر ، فكانت نتائج التجارب المختلفة مؤيدة بعضها بعضاً . واذاً فلا مندوحة عن القول بان هناك اشعة قادمة من خارج الارض تمزق ذرات الهواء . وهذه الأشعة عظيمة الطاقة قوية النفوذ ، تفوق اشعة اكس نفسها واشعة غمّا المنطلقة من الراديوم

\*\*\*

وفي سنة ١٩٢٥ طلع الاستاذ ملكن الاميركي على الناس بنظرية جديدة وجّهت انظار الخاصة والعامة الى الاشعة الكونية ، فصار الكلام على كل جديد فيها يجد له متسعاً في الصحف جنباً الى جنب مع انباء السياسة والرياضة والاجرام

ذلك ان الاستاذ ملكن ، كان قبل ذلك استاذاً في جامعة شيكاغو وهناك كان يجتمع بالاستاذ مكملن ( W. D. ) فكانا يتحدثان في النظرية السائدة حينئذ في نهاية الكون ، وملخصها ان الطاقة التي في الكون آخذة في التحول من طاقة قصيرة الامواج قوية الفعل ، الى طاقة طويلة الامواج ضعيفة الفعل . وانه متى تم هذا التحول ، اصبحت الامواج الطويلة عاجزة عن ان تكون الباعث على ظاهرات الكون والحياة (راجع مقتطف مايو ١٩٣٢ ص ٥١٩ - ٥٢٣) وكان مكملن مقتنعاً بان الذرات تبني من الالكترونات والبروتونات في الفضاء الذي بين النجوم ( interstellar space ) فاذا صح ذلك فالكون ليس مصيره الى الفناء بتحول اشعاعه ، لان بناء الذرات يجهزنا ، بحسب الآراء الحديثة ، بقدر عظيم من الطاقة قصيرة الامواج قوية الفعل . ولعل الاشعة التي تحيّر هس وكوهلرستر ، تؤيد ما يذهب اليه مكملن

وقضى ملكن بعد ذلك سنتين يبحث خلالها في هذه الاشعة ويقيس قوتها وتقوؤها للمواد ، فهو آنأً يجرب ذلك بالواح الرصاص ، وآنأً بمياه البحيرات ، تارة في الجبال الصخرية في غرب اميركا الشمالية وتارة اخرى على جبال الاندس ، واخرى على مقربة من القطب المغناطيسي الشمالي . فخرج من ذلك كله بما يؤيد — في نظره — مذهب مكملن ، ولما اجل مباحثه امام اكااديمية العلوم الاميركية قال : ان هذه الاشعة انباء تدل على تكون المادة في رحاب الفضاء . وفيها رأى ملكن دليلاً على ان « الخالق ما زال ماضياً في عمل الخلق »

\*\*\*

المشهور ان الغازات في حالتها الطبيعية لا توصل الكهرباء كما توصلها الاسلاك المعدنية اي انه لا يسهل على الكهرباء اجتياز مقدار من الغاز كما يسهل عليها اجتياز قطعة من النحاس أو الرصاص



ولكن اذا صوّبت بعض الاشعة الى الغاز الذي لا يوصل الكهربائية أصبح موصلاً كهربائياً ضعيفاً . ومن هذه الاشعة الاشعة التي وراء البنفسجي ، والاشعة السينية ( اشعة اكس او اشعة رنتجن ) والاشعة السالبة ( الالكترونات ) والاشعة المنطلقة من العناصر المشعة . ويعتدل ذلك بان هذه الاشعة تفصل من ذرات الغاز بعض كهاربها ( الكترولتها ) فيصبح الجزء الباقي من الذرة وشحنته الكهربائية شحنة موجبة ( كانت الشحنة الكهربائية الموجبة معادلة للشحنة الكهربائية السالبة في الذرة فلما نقص كهر ب من الذرة أصبحت شحنة الجزء الباقي من الذرة موجبة ) وهو يعرف بالأيون او الأيون  $Ion$  ( قد يحسن صياغة فعل عربي أيّن للمعدي وتأين للآزم في الدلالة على هذا المعنى الخاص ) اما الكهارب المنفصلة فتضطرم بذرات كاملة متعادلة الشحنة الكهربائية وتلتصق ببعضها فتصبح الذرة التي التصق بها كهر ب شارد ذات شحنة سالبة (ازيادة الكهر ب ذي الشحنة السالبة) فهي «أيون» كذلك وهذا يجعل الغاز موصلاً للكهربائية لشدة حركة الدقائق المكهربة التي فيه فهي لا تكاد تستقر على حال ولدى البحث ثبت انه اذا ازيل من المنطقة التي تحيط بغاز من الغازات كل مصدر من مصادر الاشعة التي «تؤينة» فللغاز موصلاً ضعيفاً للكهربائية ، فيتولد فيه في السنتمتر المكعب «ايون» واحد او «ايونان» في الثانية . ولكن اذا نزل الوعاء المحتوي على هذا الغاز الى عمق مائة متر في بحيرة من الماء النقي من الشوائب (وهي التجارب التي قام بها هس في المانيا وميلكن واعوانه في اميركا) أصبح الغاز لا يوصل الكهرباء على الاطلاق ، اي انقطع تولّد الايونات فيه . وعلى الضد من ذلك اذا رفع الوعاء المحتوي على الغاز الى علو تسعة آلاف قدم او عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر زادت قوته على ايعال الكهرباء اي زاد تولّد «الايونات» فيه .

على اساس هذه الحقائق العلمية بُنيت الآلات الدقيقة التي تقاس بها قوة الاشعة الكونية اي انها تحصى عدد الايونات التي تتولد في سنتمتر مكعب من غاز معين كل ثانية . ثم يقابل ذلك بعدد الايونات التي تولدها اشعة معروفة قوتها مثل اشعة اكس واشعة غمما . فلما ان العلماء خلقوا في الجوّ وتوقلوا قم الجبال ودلّوا آلاتهم في قيعان البحيرات العالية لادراك غرضهم . والسبب في ذلك كما قدمنا ان الراديوم وغيره من العناصر المشعة يطلق اشعة تؤين الغاز الذي في آلاتهم وهم يريدون ان يعرفوا اثر الاشعة الكونية من دون ان يختلط به اثر اية اشعة اخرى . فاشعة الراديوم يحجبها لوح من الرصاص ثخانتها سنتمتران أو نحو ذلك . لذلك تقلّ ميلكن معه ماوزنه ثلاثمائة رطل من الواح الرصاص وتوقّل جبل بينك بكاليفورنيا لكي يحجب أثر الراديوم أولاً فلحاط آتته بالواح ثخانتها ثلاثة سنتمترات حاصلاً ان الاشعة الكونية وهي



اقوى من اشعة الراديوم لا بد ان تخترق هذه الألواح فدلّت التجارب انها تفعل ذلك. ثم أخذ يزيد ضخامة الرصاص الذي حول آتته ليعرف أي طبقة من الرصاص تحجب الاشعة الكونية وقلنا ان كوهلرستر ابتنى معمله في الجمد على جبل اليونغفر و بسويسرا وسبب ذلك ان الجمد لم يختلط بمادة على سطح الارض فهو خلو من الراديوم. ثم ان ما يمكن دلي آلاته في بحيرة ميور ليعرف اية طبقة من الماء تحجب هذه الاشعة الغريبة. فلماذا اختار بحيرة ميور في اميركا الشمالية وبحيرة مغويلا في اميركا الجنوبية والطريق الى كل منهما وعرض صعب المرتقى؟ ذلك ان هذه البحيرات عالية جداً، لا تصب فيها مياه انهار جرت مسافات طويلة فوق سطح البحر فذابت فيها مواد قد تحتوي على مركبات من العناصر المشعة، وانما مصدر ماؤها هو النالج النقي بعد ذوبانه. وأما هس الذي أغرق آتته في بحيرة كونستانس فحسب حساباً في نتائجها لاثار العناصر المشعة. ونتائج هذه المباحث عجيبة. فالآلات التي دأبت في بحيرة كونستانس بسويسرا ظلت غازاتها تتأين تأيناً يسيراً لما كانت على ٧٧٥ قدماً تحت سطح الماء. أي أن فعل الاشعة الكونية يستطيع ان يخترق ما كثافته ٧٧٥ قدماً من الماء. وهذا يعادل ٦٥٠٠ قدم من الرصاص مع ان نور الشمس تحجبه ورقة رقيقة واشعة اكس يحجبها لوح رصاص ثخنه سنتيمتران او ثلاثة سنتيمترات. ففي الطبيعة مصدر يطلق اشعة اقوى وافعل من اشعة الراديوم اضعافاً كثيرة. فما هو؟ هنا مصدر العناية التي توجه الى هذه الاشعة ومعرفة أسرارها وهذا مصدر الخلاف بين اكبر العلماء على طبيعتها واصلها.

لخص الاستاذ بيكار نتائج الارصاد التي قام بها في أثناء رحلته الاخيرة الى الطبقة الطخزورية فقال أنه حاول درس الاشعة الكونية من ناحيتين: — الاولى تحقيق الاختلاف في قوة الاشعة باختلاف الارتفاع. والثانية تحقيق الاختلاف في قوتها باختلاف الاتجاه. فثبت له في الناحية الاولى أن قوتها تزداد بالارتفاع ثم تقل رويداً رويداً الى أن تصبح ثابتة فوق ارتفاع معين. أما البحث في الناحية الثانية فاسفر عن أن الاشعة الكونية لا تكثر في جهة معينة دون أخرى لذلك ذهب الى أن هذه الاشعة مصدرها الطبقة الطخزورية ذاتها. اما ما يمكن فيذهب الى ان الاشعة الكونية هي من قبيل اشعة اكس واشعة غاما انما هي اقصر امواجاً وأقوى فعلاً. وقد ثبت له ان قوتها في المنطقة المتجمدة الشمالية لا تقل عن قوتها في المناطق الاستوائية، وهو ما ينتظر اذا كانت هذه الاشعة من قبيل الضوء الذي لا يرى. ولكن كوهلرستر الالماني وغيره يرون ان الاشعة الكونية ليست ضوءاً على الاطلاق بل هي كهارب سريعة الانطلاق. واذا كانت كهارب فيجب ان تنحرف هذه الكهارب بفعل المغنطيس. اما ما يمكن فيقول انه حاول قياسها قرب القطب المغنطيسي الشمالي فلم يجد ما يدل على انها اكثر انحرافاً نحو القطب المغنطيسي — ولو كانت الالكترونات لوجب ذلك — وقام كوهلرستر نفسه



مباحث من هذا القبيل فلم يسفر بحثه عما يثبت جذب المغنطيس لها . ولعلها — اذا كانت الكترونات — اسرع من ان يحرفها مغنطيس ارضي حتى الارض نفسها

\*\*\*

نظر الاستاذ كطن — استاذ الطبيعة في جامعة شيكاغو واحد نائلي جائزة نوبل الطبيعية — الى الاقوال المختلفة في طبيعة الاشعة الكونية فعزم ان يقوم ببحث واسع النطاق في انحاء الارض المختلفة بغية الوصول الى القول الفصل فيها . فاتفق مع معهد كارنجي الاميركي وجامعة شيكاغو على الاشتراك في الاتفاق على هذه المباحث ونظم بعثة علمية اشترك فيها اثنا عشر عالماً من علماء الطبيعة في كل البلدان وصنعت سبع آلات دقيقة لقياس قوة الاشعة — كل منها كرة من الصلب تحتوي على غاز الارجون مضغوطاً ضغطاً عالياً لكي يزيد متوسط عدد الايونات في السنتيمتر المكعب ، اذ لا يخفى انه إذا ضغط الغاز اقتربت ذراته بعضها من بعض فيكثر ما تصيبه الاشعة منها في أثناء اختراقها للغاز — وعُيِّرت الآلات السبع تعبيراً واحداً حتى لا يختلف قراءة ما تدونه من المقاييس ، لان كطن يرى ان جانباً كبيراً من الاختلاف في النتائج سببه القياس بالآلات المختلفة اما النتائج التي أسفرت عنها مباحث كطن فتلقي ظلاً من الريب على آراء الاستاذ ملكن . فقد وجد الاستاذ كطن ان الاشعة أقوى في المناطق الشمالية منها في المناطق الاستوائية . وهذه هي النتيجة المنتظرة إذا كانت الاشعة الكونية الكترونات يحرفها أو يجذبها قطبا الارض المغناطيسيان . وأثبت رجنر Regener ويكار ان الاشعة لا تزداد بالارتفاع قوة كما ينتظر إذا كانت آتية من خارج جو الارض . وكان ملكن قد عرف ان الاشعة لا تزداد قوة بالارتفاع ، ولكنه علل ذلك تعليلاً معقولاً . قال اننا لا نستطيع ان نتبين هذه الاشعة الا إذا مزقت ذرات العناصر التي في الهواء . ولما كان الهواء في طبقاته العليا لطيفاً كل اللطف ، فذرات عناصره أقل ولا بد ان يكون فعل الاشعة البادي لنا أقل كذلك

والامر المتفق عليه في هذه الفوضى العلمية هو ان الاشعة تأتي من كل الجهات . هنا يدخل دعاة النظرية النسبية معمة الجدل فيقولون إذا كانت هذه الاشعة لا تنشأ في الطبقة الطخورية فلا بد أن تكون ماثلة للكون . ففي هذه الايام اصبح الكون في نظر العلماء الدسبين كالكرة . وشعاعه من الضوء تنطلق في احدى نواحيه لا تستطيع أن تخرج منه ، وإذا كانت هذه الاشعة آتية من ناحية في رحابه فهي ماضية في طريقها الى مصدرها . ولما كانت الاشعة الكونية تأتي من كل الجهات فلا بد أن يكون الكون حافلاً بها . ولكن الكون آخذ في التمدد . كذلك يقول ليمتر واينشتين وثلة علماء الطبيعة . وقد تضاعف نصف قطره منذ بدأ يتمدد . لذلك يرى ادلفتن « ان اشعة الضوء في هذا الكون الآخذ في التمدد كالعبداء الذي يرى الطريق امامه تمتد اسرع من عدوم فالقصب يبعد عنه بدلاً من ان يقترب منه » وهكذا يظل النور ماضياً في سبيله لا يستطيع العودة الى مصدره — لسرعة تمدد الكون — وفي انطلاقه يضعف وتطول امواجه



حتى يصبح امواجاً تحت امواج الاحمر فنعود لا نراها  
ولكن الاشعة الكونية اشد نفوذاً من اشعة الضوء . وكل ما تلقاه في رحاب الفضاء  
مما يعيق مضيتها في سبيلها لا تبلغ ثخانتها اكثر من طبقة من الماء سمكها قدم . وهذا جزء  
يسير جداً مما تستطيع هذه الاشعة ان تخترقها . لذلك يرى ادلغتن « ان الاشعة الكونية  
الاولى لا تزال ماضية في سيرها في رحاب الكون » والاشعة التي تدخل آلاتنا الآن هي مزيج  
من اشعاع كل العصور . فهذه طاقة اقدم من الارض . ولسنا نعلم كيف كان الكون قبلما بدأ  
يتمدد . ولكن ادلغتن يقول ان هذه الاشعة قد تحمل في طيات امواجها ذكريات تلك الحقب  
القديمة وقد تبيح لنا هذه الذكريات يوماً ما !!

ولكن كيف تنشأ هذه الاشعة ؟ يشير جينز بيده الى النجوم ويقول هناك تتمزق المادة  
وتنفصل الالكترونات عن البروتونات وتتلاشى متحولة الى طاقة . وهذه الاشعة اثر من آثار  
الطاقة المنطلقة على اثر الملائشة . ويعترض على قوله بان للنجوم اجواء . فالاشعة المنطلقة من  
قلب الشمس على اثر تلاشي كمية من الالكترونات والبروتونات ، تطول امواجها في سيرها من  
قلب الشمس الى سطحها فاذا اخترقت جوها ضعفت كذلك وزاد طول امواجها ، فيتعذر عليها  
— في نظر طائفة كبيرة من علماء الطبيعة — ان تبقى شديدة النفوذ كالاشعة الكونية  
بعد مرورها في خلال ذلك كله . ويرى الاب ليمتر انه لا يحتمل وجود مصدر آخر لهذه الاشعة  
غير النجوم ولكن النجوم كما كانت والكون في طفولته لا كما هي الآن . وقد خطب في مجمع  
تقدم العلوم البريطاني سنة ١٩٣١ فقال ان النجوم ولدت من دون جو يحيط بها . اما جوها  
فقد نشأ بعد انطلاق الاشعة الكونية منها . وقد وقع هذا من نحو ١٠ آلاف مليون سنة .  
فالانطلاق الاشعة الكونية من ابرز ما يحدث لدى تكون نجم .

\*\*\*

على ان الاستاذ ملىكن يرى ان الاشعة ليست دليلاً على تلاشي المادة في داخل النجوم  
بل هي دليل على ان العناصر الثقيلة تتكون في رحاب الفضاء من الايدروجين والهليوم . فقد قال  
في خطبة له ما ملخصه : ان عمل التكوين جار الآن في رحاب الفضاء ولا أريد بالتكوين  
تكوين العوالم ولا تولد الاحياء التي تقطنها بل أريد تكوين الذرات atoms التي تبني منها المواد  
سواء كانت جامدة أو تحركها نسمة الحياة . فان درسي للاشعة الكونية اثبت لي ان وراء النجوم  
اماكن تتكون فيها اربعة عناصر من جواهر الايدروجين والهليوم وان هذه العناصر هي  
الاكسجين والمغنيزيوم والسلكون والحديد . واذا كان هذا الفعل جارياً في مكان ما من رحاب  
الكون فالاشعاع الناتج عن تحول الايدروجين الى هليوم يجب ان يفوق اقوى اشعة غمما عشرة  
اضعاف . اما الاشعاع الناتج من تكون الاكسجين والسلكون والحديد فيجب ان يكون  
اقوى من اشعة الهليوم اربعة اضعاف وسبعة اضعاف واربعة عشر ضعفاً على الترتيب . اما



الاشعاع الناتج من اتحاد الالكترون بالبروتون وفنائهما فيفوق اقوى اشعة غمما خمسين ضعفاً. فلما كشفت الاشعة الكونية قيس قوتها فاذا هي تفوق اقوى اشعة غمما عشرة اضعاف اي ان الاشعة الكونية تشبه الاشعاع الناتج من تحوّل الايدروجين الى هليوم . ولم يعثر في الاشعة الكونية على طائفة من الاشعة تماثل قوتها القوة الناجمة من فناء الالكترون والبروتون باندماجهما . وهذا يدل على ان نحو ٩٥ في المائة من الاشعة الكونية ناشئة من فعل اقل عنفاً من فناء الالكترون والبروتون . وقد اثبت الحلّ الطيفي ان الايدروجين واسع الانتشار في الفضاء بين النجوم . هذا رأي ماسكن [ راجع تفصيله في مقتطف مايو ١٩٣٢ ص ٥٢٣-٥٢٦ ومقالة النيوترون في العدد نفسه صفحة ٥٠٣ و٥٠٤ ]

\*\*\*

على ان الاستاذ اسكندر دو فيليه Dauvillier الفرنسي لا يذهب الى ابعد من الشمس في تحليل الاشعة الكونية . ورأيه هذا من احدث ما قيل فيها . قال : — ان كهارب سريعة تنطلق من الشمس بسرعة تقارب سرعة الضوء تقريباً فتحدث لدى اصطدامها بذرات الهواء الاشعة التي نحسبها قادمة اليها من رحاب الكون . ومصدر هذه الكهارب البقع الماعة على سطح الشمس lacunae حيث الحرارة تبلغ نحو سبعة آلاف درجة ميزان سنتغراد . فتنتطلق الكهارب بسرعة غير عظيمة أولاً ثم تزداد سرعتها زيادة عظيمة إذ تمر في جو الشمس الموجب . وجو الشمس المؤلف من عنصري الايدروجين والكلسيوم في الغالب موجب لأن الاشعة التي فوق البنفسجية المنطلقة من قلب الشمس تصدم ذرات هذين العنصرين فتطرّد بعض كهاربها . والذرة اذا فقدت أحد كهاربها أصبحت شحنتها موجبة . ثم اذا اقتربت الكهارب من الارض انجذبت بفعلها المغناطيسي وتجمعت اقواساً . ثم اذا دخلت طبقات الجو العليا اطارت من ذرات غازاته بعض كهاربها وهذه مصدر الضوء القطبي . فاذا قيست أقواس الاضواء القطبية امكن الوصول بعملية رياضية الى سرعة الكهارب الاولى المنطلقة من الشمس والتي جذبتها مغناطيسية الارض . والظاهر ان سرعتها لا تقل الا ٣٠ سنتغراداً عن سرعة الضوء في الثانية . وإذاً فهي تصل الارض في بضع دقائق ( يصل النور من الشمس الى الارض في ثمان دقائق وثلاث ثوان ) وآثار هذه الكهارب تحيط بالارض من كل النواحي فيبدو للباحث انها تأتيها من نواحي الفضاء على السواء . وقد حسب دو فيليه طاقة هذه الكهارب فوجدها قريبة جداً من طاقة الاشعة الكونية ويرى انه من العبث البحث عن تحليل آخر لهذه الاشعة فهو اذا يتفق الى حد ما مع رأي بيكار القائد بتوليد هذه الاشعة في طبقات الهوائ العليا وانما يفوقه في تحليل توليدها تحليلاً طبيعياً رياضياً





الامير مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق الشام ومدير اعمال الدولة فيها  
امام صفحة ٩

مقتطف يناير ١٩٣٣



## الطبائع والامزجة<sup>(١)</sup>

للمير مصطفى الشراي

مدير املاك الدولة بدمشق وعضو المجمع العلمي العربي

ما الإنسان في هذه الحياة ؟ جيش من الخلايا لا تعد جنوده ولا تحصي ؟ وفي كل خلية جبلة اولى ( بروتوبلاسم ) دائمة الحركة لا تقف ولا تستريح ولا تكل ولا تمل . وما الحياة نفسها ؟ هدم وبناء وأخذ وعطاء وصعود وهبوط في صلب هذه الخلايا ، والإنسان بهذا الجيش اللجب كعمود ماء فوق حوض تحاله ثابتاً ونقاطه في تجدد مستمر . ذلك ان الجسم الانساني لا يكف طيلة الحياة عن امتصاص العناصر الغذائية وتمثيلها وصنع مواد تندمج في خلاياه ثم هو يفرز ما لا فائدة منه ويطرحه خارجاً . ولا تقف هذه الحركة المستديرة الا بوقوف الحياة وانطفاء شعلتها

واذا خصنا الخلايا بمجهر العالم الذي يتحرى الحقيقة ويستقصيها الفيناها لا تتجدد في كل فرد على طريقة واحدة ولا بمقادير واحدة . وهذا الاختلاف هو ما يدعو الى حصول الطبائع المختلفة في بني الانسان على رأي كثير من العلماء . وليس بإمكان المرء تغيير طبيعته لانه ليس له يد على خلايا جسمه ، انى شاء ، تمثيلاً وافرازاً

وللناس طبيعتان اساسيتان وهما طبيعة الانسان الحساس وطبيعة الانسان الفعّال . ففي حس الامور وادراكها يكون التمثيل في الخلايا زائداً على الافراز ، اما في الحركة كأستعمال الارادة او الحركة العضلية فالافراز يسود . ومتى رجحت كفة الطبيعة الاولى شالت كفة الثانية في الاعم ، فالحساس قما يكون مقداماً والعكس بالعكس . والآلة التي تضبط التمثيل والافراز في الجسم كما تضبط الحس والعمل هو الدماغ فهو كناظم الساعة الضابط لحركتها لكنه هو نفسه غير متزن في كل الاشخاص فيكون قوياً لدى بعضهم وضعيفاً لدى بعض وسريع الحركة في ناس وبطيئها في آخرين . وهنا يتجه الى جهة وهناك الى جهة معاكسة للاولى تبعاً لشكل حركة خلاياه في التمثيل والافراز . وهذا ما يجعل للاعصاب سيرة خاصة فتكون حساسة او فعالة

(١) بحث فلسفي لخصته على اثر تلاوة بعض كتب اهمها كتاب بهذا العنوان للفيلسوف الفرنسي الفريد فويه . والغاية منه بيان خصائص الرجل وخصائص المرأة بياناً علمياً وفلسفياً والدعوة الى تعليم المرأة الشرقية ما يناسبها . والطبائع ترجمة Temperaments اما الامزجة فترجمة Caractères



وكان الاقدمون يقولون بأربع طبائع يسمونها اخلاطاً وهي الدم والبلغم والصفراء والسوداء وينعتونها بقولهم طبيعة حارة وباردة وباسة ورطبة. وهي كلها تقسيمات ونعوت لا يعول عليها اليوم ويكون الحس سريعاً أو بطيئاً ، حاداً أو ضعيفاً ولذلك يكون الحساس على طبيعتين :

حساس سريع الحس ولكن ضعيفه وحساس بطيء الحس ولكن عظيمه

﴿طبيعة الحساس السريع الحس﴾ . يسمونه ايضاً الحساس الدموي. وتكون كريات الدم لديه عديدة ارجوانية اللون على عكسها في الصفراوي الفعال حيث هي قليلة قائمة . ويكون لون بشرة الدموي وردياً زاهياً وشعره اشقر وعيناه الى زرقه ( كل ذلك في المتوسط من الحالات ) وعنقه قصيرة عريضة ورأسه مستديراً أو مربعاً واثقه عريضاً . وتلوح على جسمه علامات الجسم الملائن غذاء ، اي الذي يزيد فيه المدخر على المستهلك . ويكون صاحب هذه الطبيعة سريع الانفعال لكن اتفعله سطحي يزول بسرعة . وهو كثير الكلام كثير الاشارات قليل العمل سريع النسيان لاجلده على العمل الممل المستمر ولا على اجهاد العقل . ولا يلبث الحادث الجديد الذي يحسه ان يطرد الذي سبقه . والخلاصة يوجد في كل دموي خالص شيء من خصال الطفولة والفتوة . ألا ترى ان الطفل الذي يزيد في جسمه الادخار على الاستهلاك وردي الخلد ابيض الجلد سريع الحس لكن الحس فيه سطحي لا يدوم كثيراً فالطفل هو المثال العادي لهذه الطبيعة . ويكون صاحبه ابن يومه ينسى الماضي ولا يفكر الا في حاضره كالصبي والشاب . وليس للآلام العميقة سلطان عليه . وهو متفائل واقرب إلى الخير منه إلى الشر . لكنه لا يتعدى بذلك حد الكلام والعاطفة ولا يتجاوزها إلى العمل . ويمكن لهذه الطبيعة ان تعتدل بتقدم العقل وتأثير الارادة

﴿طبيعة الحساس العميق الحس﴾ هي طبيعة العصبي الذي اذا صدمته المؤثرات عملت عملها فيه فلا يعود الى سابق حاله الا بعد لأيٍ دمه اقل من دم صاحب الطبيعة السالفة الذكر وجهازه العصبي اقوى وعضله اضعف . ويكون صاحب اللون لفقر دمه حاد النظر كثير الحركة قلقاً في نومه طويل العنق دقيق الانف في الغالب خفيف الجسم رشيق القوام غير بدین . وكثيراً ما تعرض جبهته وتستدق ذقنه فيكون وجهه على شكل الرقم ٧ . وهو شديد التأثر بكل ما يفرح ويغم وربما أدى به ذلك الى السويداء لان شعوره يكون عميقاً داخلياً متأصلاً ويكون العصبي مرحاً في طبيعته أو حزيناً لكن عوامل الحزن تغلب عليه في الغالب فتراه حزيناً قلقاً ليس فيه آمال الدموي المتجددة في كل حين فهو اذن متشائم . غير ان صاحب هذه الطبيعة اذا اعتدل وناله حظ من الذكاء كان آية في العبقرية ولا سيما اذا كان وسطاً بين العصبي والدموي . ولقد زعم ارسطو ان كل العباقة في الفلسفة والسياسة والشعر والفنون



هم من اصحاب السويداء . ولا يشير بذلك الى الذين يرافقهم الهم والحزن بل الى ذوي الحس العميق والاتفعال المتأصل الذين لهم ذكاء وقاد يدركون به نواحي الحياة الجديدة حتى القائمة منها ﴿ طبيعة الفعّال ﴾ الفعّال ايضاً على قسمين فعال سريع العمل عظيمه وفعّال بطيء العمل قليله . ذلك ان الفعّال يحتاج في حياته الى صرف قوة كبيرة عصبية وعظمية . ولما كان تفسير ذلك الصرف انحلال الجبلة الاولى في خلايا جسمه الى عناصر ابسط كان مزاج الفعّال هو الذي يزيد فيه الاستهلاك على الادخار اي الافراز على التمثيل . ويكون الاستهلاك في الفعّال إما قوياً وسريعاً أو على العكس معتدلاً وبطيئاً ولهذا يكون الفعّال طبيعتان كما ذكرنا ويمكن في العمل قرن السرعة الى القوة اما في الحساسية فكثيراً ما تفتقران

﴿ الفعّال السريع العمل العظيم ﴾ الفعّال الذي يعمل بسرعة وقوة كما يسمى صفراً وياً لدى الاقدمين . والحقيقة انه ليس للصفراء تأثير في طبيعته . ويكون الدم فيه افقر منه في الدموي بالكريات الحمر . يقولون ان الصفراوي ذو دم حار وهذا صحيح ولا سيما في الدماغ . وكان كارليل يقول حرارتي بدلاً من طبيعي . ويكون وجهه شاحباً خلواً دمه من الاوكسجين بسبب كثرة الاستهلاك . وهذا السبب هو الذي يجعل لون شعره وعينه اسود لامعاً في الجملة ويكون قوي الجسم نحيفه سريع الهضم والتنفس شديد الحاجة الى النوم العميق حاد العينين قوي العضل لا يسمن الا نادراً . واذا تأثر بمحادث اصفر وجهه في الغالب بدلاً من ان يحمر وربما اثر ذلك في كبده وهذا ما استرعى نظر الاقدمين فسموه صفراً وياً . وتزيد الشمس في خصائص هذه الطبيعة فيكثر اصحابها في البلاد المعتدلة والحارة . وهي فاشية في القبائل البدوية وشدة نشاط صاحب هذه الطبيعة تجعله جباراً اذا عاكسه احد وتعمله سريع الغضب ايضاً . وقد شبهه احدهم بجسم مكهرب من يمسه يقتدح شرارة كهربائية . واذا لم يجد في عضلاته منفذاً للعمل ولصرف القوة اثر ذلك في جسمه تأثيراً داخلياً ولا سيما في دماغه فتراه اذا احب عشق واذا بغض كتم بغضاء سنين حتى ينتقم . وهو شجاع مقدم في الغالب . واذا حكم استبد في اكثر الاحيان دون ان يعماً باستمالة قلوب الناس او عقولهم اليه ككثير من رؤساء القبائل المعروفين او كنباليون مثلاً فهو في مقابلة الناس حيوان يخاطب حيواناً دونه . واعتقاده ببلوغ مراده يجعله قوي الامل كبير الثقة بنفسه ولهذا يغلب فيه التفاؤل

﴿ الفعّال البطيء العمل القليل ﴾ هو صاحب الدم البارد او صاحب البلغم الذي له ارادة تحفره على العمل ولكن بعد إعمال الفكر وموازنة الامور . ويعرف بعنق قصيرة وانف عريض ولون شاحب غالباً وشعر اشقر او اسمر باهت غير كثيف وعينين شهبائين او خضراوين غير متقدتين وجسم ممتلىء ودماغ مفكر . هو يملك نفسه فلا تثيره الحادثات كالذي سبق ذكره . ويبحث عنه « كانت » فقال انه يحمى ببطء لكن حرارته تدوم طويلاً وربما سموه عاقلاً لان



برودة الدم اذا ما قرنت بالنشاط على العمل تغلبت على كثير من الصعاب . اما اذا فقد صاحب هذه الطبيعة نشاطه اُثّر ذلك في حساسيته وفي حيويته فيضعف دوران الدم فيه ويزداد دوران الصفراء فترخو نسجه وتبطؤ الحركة في اعضائه ويضعف الدم في دماغه فيتبلد ويبتعد عن الحيوان ويقرب من النبات

✽ الخلاصة في الطبائع ✽ نلخص طبائع الناس بقولنا انه يوجد فيهم : اولاً الدموي ( الحساس السريع الحس الطائش ) وهو سريع الانفعال لكن انفعاله لا يدوم كثيراً . ثانياً العصبي ( الحساس العميق الحس ) وهو بطيء الانفعال لكن انفعاله يكون شديداً ومتأصلاً . ثالثاً الصفراوي ( الفعّال الحاد العمل ) وهو الذي يكون عمله سريعاً قوياً . رابعاً البلغمي ( الفعّال البارد ) وهو الذي يكون عمله راسخاً متزاناً . ويزيد الادخار على الاستهلاك في جسم اصحاب الطبيعتين الاوليين . والامر معكوس في اصحاب الطبيعتين الثالثة والرابعة . واذا صدمت النواذب الدموي صدمة عنيفة اُثّرت في دماغه وفي جهازي الدم والتنفس . اما العصبي ففي جهاز العصب والدماغ واما الصفراوي ففي الكبد . والبلغمي لا يتأثر بها عضو من اعضائه بل تبدو عليه علام الحزن والكآبة فحسب

\*\*\*

وذكر ( كانت ) ان كل انسان له طبيعة واحدة من الطبائع الاربع المذكورة ليس غير . وانه لا يوجد طبائع مركبة . اما الفريد فويه يرى عكس ذلك ويقول انه لا يوجد صاحب مزاج بسيط البتة لانه لا يمكن تصور وجود حس بلا ارادة او وجود ارادة بلا حس ولا عقل كما ان الجسم لا يمكن ان يدخر بدون ان يستهلك . ولا يوجد في الكون شدة مطلقة ولا سرعة مطلقة في الادخار والاستهلاك بل كل شيء نسبي . ولهذا نرى بين الناس الدموي العصبي والعصبي الصفراوي ، والعصبي النفاوي ( البلغمي ) الخ اي انساناً يجمعون طبيعتين . ورب رجل يجمع ثلاث طبائع كأن يكون دمويًا وعصبيًا ولنفاويًا وهو ما يكثر في المانيا وانكلترا وربما حصل الاختلاط في خلق الوجه وسائر الجسم كالجمع بين شعر اسود وعينين زرقاوين وكأن يكون لك جسم وردي وقامة هيفاء . وكل ذلك نتيجة وراثات مختلفة اوجبت اختلاط الطبائع ولا يستطيع الانسان تبديل طبيعته لكن هذه تتبدل بتقدم السن . فالولد يحتاج خصوصاً الى الاحتفاظ بنفسه الى النمو ولذا تراه شديد الحس والانفعال يتطلب النفع العاجل ويدراً الضرر القريب ويسير عن بصر للاشياء لا عن بصيرة . اما البالغ فعلى العكس لان قواه العقلية تزداد مع الزمن وكذا محكمته للامور فيضبط بها عوامل الغريزة الحيوانية . واما الشيخ فكل شيء فيه يبطؤ اي ان طبيعته تعتدل مهما كان متطرفاً ويكثر البلغم فيه حتى يبلغ به حد



الكسل . وتتردد ارادته كمنظم الساعة ( الرقاص ) وتبدو عليه علائم الاضمحلال والفناء  
 \* فائدة علم الطبائع في الحياة \* لا شك ان لعلم الطبائع فائدة كبيرة من حيث الاخلاق  
 وتربية الاولاد. فكما ان الطبيب يحتاج في وصف الدواء الى معرفة خلق المريض كذلك المؤدب  
 يحتاج في تأديب الصبيان الى معرفة طبائعهم الخلقية المختلفة . ومن البساطة بمكان الظن ان  
 الجميع يمكن سوقهم بعصا واحدة. وربما تفعت الشدة في احدهم ولم ينفع في آخر غير التسامح .  
 ورب تلميذ يفعل فيه اللين والتحبب وآخر لا يؤثر فيه غير الخوف . ومن الثابت ان المرين  
 يجهلون كثيراً فسيولوجية الطبائع جهلهم للقواعد الصحية التي يجب رعايتها تجاه الاعمال العقلية

\*\*\*

والطبيعة تأثير في سعادة الانسان وفي اخلاقه طيلة الحياة . ويجب ان نفتش في كثير من  
 الاحايين في نفسنا عن سر حزننا او طربنا فهناك نجد ساعات من البؤس وساعات من السرور  
 وهناك نرى الاشياء بألوان مختلفة بمقتضى طبائعنا . ولقد بالغ احد العلماء فقال ان ينبوع  
 الخير والشر هو فينا في الغالب . ذلك ان كل عضو من اعضائنا له عمله في سير شعلة الحياة فينا  
 فالجوع والعطش وسوء الهضم وخفقان القلب والتعب والاجهاد والقلق والحزن الخ كل ذلك  
 له تأثير اي تأثير في تكوين سعادة الانسان وكله له اشد ارتباط بالطبائع . ومتى كان الانسان  
 مرحاً في طبيعته فسيان لديه واتاه الحظ ام لازمه النحس . اما المتبرم بالحياة فهو يظل مكمداً  
 مهما خدمته الايام. وبوجه خاص ان بعض اسباب السعادة هي في طبيعتنا . ولا يجب ان يستنتج  
 من ذلك ان البيئة والحوادث وبخاصة العقل والارادة ليس لها تأثير في سعادة الانسان وهي التي  
 يتألف منها مزاجه او طابعه الذي يتطبع به كما ذكرناه بعد  
 اما تأثير الطبائع في الاخلاق فهو ايضاً امر لا ينكر ولا يعاب بقول احدي الادبيات  
 « لا اصدق ان الفضيلة مرتبطة بهضم الاغذية » . فلكم قادت الطبيعة المرء الى اعمال شتى  
 من الخير والشر والامثلة على ذلك كثيرة

\*\*\*

\* الامزجة \* يقول الفرد فويه ان طبيعة الانسان تخلق معه لكن المزاج يكتسب بالتطبع  
 والمران . واهم مؤثر في المزاج العقل الانساني . ورب رجل تسود السويداء في طبيعته فيطردها  
 بالعقل والارادة فيكون مرحاً في مزاجه . واذا كانت الطبيعة مرتبطة بتركيب الجهاز العصبي  
 وسيره خاصة فالمزاج مرتبط بتركيب الدماغ وسيره في الاخص وهو عضو العقل  
 والناس على ثلاثة امزجة : الحساس والمفكر والمقدام ( او النفاذ وهو القوي الارادة).  
 وتبديل امزجتنا بتبديل شدة هذه القوى الثلاث . والمزاج الامثل هو الذي يتوازن فيه الحس  
 والفكر والارادة



﴿الحساس﴾ اذا كان الحساس قليل الذكاء قليل الارادة كان كالطفل سريع الانفعال ضعيف الذاكرة . اما اذا كان قليل الذكاء قوي الارادة كان خطراً لانه يجمع قوتي الحس والارادة بلا تفكير . وكثير من المجرمين لهم هذا المزاج . واما اذا كان الحساس ذكياً كان من الرجال المتزني الامزجة حتى في حالة خلوهم من ارادة قوية

﴿المفكر﴾ هو الذي ينمو عقله على كثر الأيام فيصير التفكير طابعاً له . وهو مزاج كثير من العلماء والفلاسفة ، واذا كان المفكر حساساً اشبه بمزاجه بعض الشعراء ككفكتور هوجو وأمثاله . ولا شك ان نمو العقل يسكن فرط الحس على طول الزمن . وربما اضر التفكير بالارادة ايضاً فينشأ عن ذلك اشخاص يتمثلون العالم في دماغهم فيصورونه صوراً لا تحصى ويميشون غارقين في تأملاتهم غير المتناهية . وهم ينفقون كثيراً من القوى داخلياً فيقل ما يجب ان ينفقوه في الخارج . وقد يعدم التفكير الارادة احياناً . لأن المفكر بعيد النظر للامور اما المقدم فلا يرى غير ناحية واحدة منها ولذا ترى المفكر كثير الاحجام عن العمل بعد ان يتمثل في ذهنه كل دواعي الاقدام وكل دواعي الاحجام . والشك طارد للفعالية كما لا يخفى . اما اليقين فباعث على الاقدام . واذا كان اليقين منبعثاً عن عقيدة شعورية كعقيدة الدين مثلاً حمل صاحبه على الموت احياناً . ولا يظن ان شدة التفكير تدعو الى التردد في كل الامور فالمفكر لا يعبا بالصغائر التي تسر لها العامة والدهاء لكنه كثير الاهتمام بجلائل الاعمال . واذا كان القليل من العلم ذاهياً الى التردد فالكثير منه يدعو الى العمل . ولكل معضلة مفتاح فاذا لم تعثر عليه انت فاحجمت لقيه من هو اشد ذكاء وتفكيراً منك فأقدم

﴿المقدم﴾ الارادة اذا لم يصحبها العقل اضرّت بصاحبها . والدماغ البسيط الذي لم تصقله التجارب او العلوم هو نموذج للارادة الحمقاء التي تجعل صاحبها يقدم على اعمال غير معقولة ويصر على اخطائه . وهو دماغ الجاهل الذين يصعب تبديل معتقداتهم لانهم جهلاء لا يمكنهم استخراج القواعد المطلقة من الامور التي يحسونها . لكنه اذا كان صاحب الارادة مفكراً فالمثابرة على الاقدام لا يسمى لديه عناداً بل ثباتاً . ويتضح من ذلك ان العقل والتفكير هما عاملان مهمان في سير الارادة

والمقدم على ثلاثة اشكال اولاً المقدم القليل الحس والتفكير وهو العنيد في حقه وضلاله . ثانياً المقدم الكبير الحس القليل التفكير وهو الطموح المتهور . ثالثاً المقدم القليل الحس الواسع الفكر وهو الذي يحكم الامور ببرودة ثم يمضي فلا يثنيه شيء



# غزل فلسفي

فيك من كل شيء

للمستاذ عباسي محمود العقاد

فيك من شمس الضحى العين التي ترسل الملح مضيقاً في الظلام  
فيك من بدر الدجى احلامه حين يسري نائماً بين نيام

\*\*\*

فيك من كل ربيع طلعة تنبت النضرة عاماً بعد عام  
والشتاء الجهم لا يعدوك من عهده العاصف برق وغمام

\*\*\*

ما تغنى الطير إلا بعض ما انت راويه ، ولا ناح الحمام  
وإذا الجدول ناغى نفسه فهي اصداؤك من غير كلام !

\*\*\*

وصنوف الوحش هل ناظرتها من تقار بينكم او من وئام !  
لا انقتال الحوت تنساه ولا سطوة النسر ولا خوف النعام

\*\*\*

فيك من نار الحياتين الهوى ! هل حياة الحي إلا من ضرام ؟  
والذي ارهبه واأسفا هجرك المدعو بالموت الزوام

\*\*\*

فيك من دنياك تقص رائق ومن الاخرى تبشير التمام  
ومن الاملاك طيب ورضى ومن الشيطان غي وإثام

\*\*\*

ومن الحجرة سُكراها اذا اسلست في النفس او طاش الزمام



ومن القوت غذاء ومن السماء ريٌّ ومن الجوع هيام

\*\*\*

فيك من ارضك حظٌ وافر وحظوظٌ من سماٍ لا ترام  
اجديداً؟ اي نعم! قال الصبي، اقديم؟ اي نعم! قال الوسام

\*\*\*

هذه الروعة هل تجمعها في مدى يوم لحومٍ وعظام  
لا وربّي! بل دهور غبرت قبلما تتقنها الأيدي الكرام

\*\*\*

قبلما تتقنها الأيدي التي نسقت انوالها، وهي حطام  
من وراء اللب صفاً ينتهي بعد صف، بين سدي ولحام

\*\*\*

فيك من هندسة علويةٍ ما استدار الخط فيه واستقام  
ومن الفن مثال رائع هو للمثال والشادي امام

\*\*\*

فيك مني ومن الناس ومن كل موجودٍ وموعودٍ تؤام  
كيف بي أعذل ان اغنيتهني انت حتى عن شرابي والطعام

\*\*\*

ان تقوئي اليوم من دنياهم وأباحوا لي من الزاد المرام  
ثم قالوا: ما تشأ منها نخذ! قلت: هذا! وعلى الدنيا السلام

\*\*\*

قلت: هذا، وتقدمت إلى هوة الغيب، وفي الثغر ابتسام  
كيف لا يبسم من قبّلتته تنظم الأوطار طراً في نظام

\*\*\*

وإذا قبّلتته مستضحكاً في تخوم الكون، والكون سدام  
فهي سخري بالذي ودّعته واغتابطي بمقامي حيث قام



# القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

## معرض المذهب السياسي

من جمهورية افلاطون إلى شيوعية روسيا

«علم السياسة» هو البحث في اشكال الحكومات التي نشأت على سطح الارض سواء منها الماضية والحاضرة ، و «حكمة السياسة» هي البحث في اصل المجتمع البشري والعوامل التي افضت الى تأليفه وجعلت الانسان مدينا بالطبع . وهذا التفريق بين هاتين الناحيتين من موضوع السياسة العام هو تفريق حديث لم يصل اليه الكتاب الا في الاعصر المتأخرة . على ان معظم الذين عالجوا الموضوعات السياسية لا يزالون يمزجون الواحد منهما بالآخر مزجاً ملتصقاً في حين يتطلب التنقيح العلمي مراعاة هذا التفريق . وعندنا ان خير ما ينير الموقف السياسي الحاضر ويزود القارئ بالمعلومات التي تساعد على فهم التدرج الحاصل في الآراء السياسية وتطبيقها ان نستعرض امامه طائفة من الائمة الذين غادروا وراءهم رنة في العالم السياسي ونتناول بالتحليل ماذهبوا اليه سواء من وجهة «علم السياسة» ام من وجهة «الحكمة السياسية»

✽ افلاطون ✽ ان افلاطون هو اقدم من وصلتنا مدوناتهم عن الشؤون السياسية والاجتماعية فقد عاش من سنة ٤٢٧ الى سنة ٣٤٧ ق.م . وجاء في كتابه (الجمهورية) الذي سد ثغرة كبيرة بقله الى العربية حديثاً الاستاذ حنا خبار الذي الكثير عن المعيشة الاولى البسيطة الحرة وكان يرى ان تفتح ابواب الارتقاء على مصاريحها للناس جميعاً بالتثقيف والتهديب الا العبيد فعليهم ان يحملوا على اكتافهم اهل التفرغ ويقوموا بخدمتهم . وعنده ان يمنح رجال التعليم اسمى المقامات في الحكومة وان الطبقات المهذبة الخاصة — وهي الطبقة الارستقراطية في عرفنا الحاضر — يجب ان تقوم بسندها الطبقات العامة الاعتيادية ، ومن الغريب مع كل هذه الارستقراطية ان يكون افلاطون شيوعياً حتى في المرأة



ولما كانت معظم النظريات التي وضعت لتعليل السياسة او اسبابها هي نظريات عن طبيعة الانسان الاصلية فلا عجب ان يرى افلاطون من الذين نهجوا هذا المنهج ، فقد ذهب في جملة ما ذهب اليه الى ان في النفس الانسانية اجزاء ثلاثة الاول الجزء العالم وهو الحكيم . الثاني الجزء الشجاع المتحمس وهو الروحي . والثالث الجزء الشهواني وهو النهم او الحيواني . يقابل ذلك اجزاء ثلاثة في بناء الجمعية البشرية متى كانت صحيحة التركيب وهذه الاجزاء هي (اولاً) الملك الفيلسوف كما تصوره افلاطون وقد دلل به على ضرورة تغلب العلم في المجتمع السياسي على الروح والشهوة — يعني يجب ان يحكم حجاب هذا الملك في «الجمهورية الكاملة» باعتبارهم المظهر الذي يتجلى فيه مبدأ تفوق العلم . (ثانياً) الجيش الشجاع المتحمس ويكون اداة اولئك الحجاب ينفذ مقتضيات علمهم ويسير تحت لوأمرهم (ثالثاً) الدهاء أو عامة الناس وهم اهل الشهوة الخاضعون الخاضعون والمسوقون إلى الاعمال المنتجة في المجتمع . وبديهي كما قال الاستاذ (كول) ان مثل هذه النظرية السياسية هي نظرة ارسطوقراطية عظيمة يند صاحبها الفكرة الديمقراطية العنصرية وراء ظهره ويمر على كلمة التساوي في الحقوق من الكرام إذ يقول الواجب ان يقبض على زمام الحكم في الجمهور الجزء الاصلح لخدمته كما يجب ان يتسلط في الفرد عقله على سائر ملكاته . ويقوم المرء بعمله الاجتماعي وهو وظيفته التي خلق لها بحسب الاجزاء الثلاثة التي تتألف نفسه منها ونسبة تفوق هذه الاجزاء بعضها على بعض . فالحكيم وهو ذو الملكة العقلية المدركة المتفوقة خلق لان يكون حاكماً ، ذلك لانه اعرف الناس بالمصلحة واما الآخرون فلا حق لهم في هذا الامر ولا شأن لانهم جاهلون

ولعمري ان هذا الموقف الذي وقفه افلاطون في القرن الرابع قبل المسيح لا تزال تفقه عصبية المحافظين الارستوقراطيين في القرن العشرين من ادعائها بان مواهبها العقلية وعنعناتها المتوارثة تجعلها وحدها اهلاً للاضطلاع بالحكم ، وهذا باب في النظرية السياسية لما يقفل ، وقد ملأ الكتاب اكوام المؤلفات والرسائل في علاجه ولما ينتهوا . وكأني بافلاطون يقول للاجيال اللاحقة هذا رأيي فانا ارسطوقراطي صرف احرم ممارسة الحكم على الذين لم يخلقوا له فما هو رأيكم ؟ بل ما هي السلطة السياسية ؟ اهي شيء من حق الانسان كما تساءل الاستاذ (كول) لا يتنازل عنه وقد اكتسبه بمجرد كونه انساناً يمشي على اثنتين ام هي شيء يتعلق بالعلم والمعرفة ؟ وهل على الخبير الفني المتخصص ان يعمل باوامر يتلقاها أم هو نفسه مصدر هذه الاوامر ؟ وهل الاطباء يديرون شؤون المرضى في المستشفى أم المرضى يديرون شؤون الاطباء ؟ وهل السياسة ميدان للاخصائيين المتسلحين بسلاح الفن أم هي للنساء والرجال العاديين ؟ وهل الديمقراطية تعني هذيان اصوات متنافرة بعيدة عن الانسجام أم هنالك شيء من الحق في القول المأثور « اصوات الخلق اقلام الحق » ؟ ووراء ذلك كله سؤال اجدر بالاهتمام خلاصته



ما هو الانسان ؟ وما هي طبيعته ؟ . فعلينا ان نعرف هذه الامور أو نصرف جهد الطاقة للاحاطة بكنهها قبل ان تصدر حكمتنا كيف يجب ان يحكم الانسان أو ان يحكم عليه <sup>(١)</sup>

﴿ ارسطو المعلم الاول ﴾ هو تلميذ افلاطون واول من لاحظ تدرج الحكومة ونشوء النظام الاجتماعي وقد عالج الشؤون السياسية معالجة دقيقة حتى ان بعض آرائه لا يزال يعمل به الى اليوم . ومن ادق ملاحظاته قوله عن الحكم انه يأخذ شكلاً دورياً متعاقباً فالحكم الملكي في نظره هو الشكل الاساسي للحكومة ثم يعقبه الشكل العظمي الارستوقراطي وهو حكم النخبة المنتخبة وهذا يؤول الى الاوليفاركية وهي حكومة فاسدة قائمة على اقلية متآمرة متضامنة ثم تأتي حكومة الاكثرية وهي الديموقراطية وتختلف عن الديموقراطيات الحاضرة بانها مؤلفة من طبقات ، ويخلف هذه الحكومة الصالحة حكومة مؤلفة من الغوغاء اطلق عليها اسم ( اوكلوكراسي ) فيختلط الحابل بالنابل ويصير الامر والنهي بيد الحق والطاشين . وعندما تبلغ الفوضى هذا الحد تهب « الدكتاتورية » من مرقدتها وهي حكومة القاهرة الجازم فيعيد النظام الاجتماعي الى سالف عهده . وعندنا ان هذه الملاحظة من خير ما خلفه المتقدمون في علم السياسة لانطباقها على الواقع كثيراً فحمود شوكت باشا القائد العثماني الكبير مثلاً كان هذه اليد الحازمة التي انقذت الدولة العثمانية في سنة ١٩٠٩ من غوغاء جمعية رجعية استسها سخيف اسمه ( درويش وحدي ) واطلق عليها اسم ( الجمعية المحمدية )

ومن الامثال الصالحة على ملاحظة ارسطو هذه السنيور موسوليني وظهوره بعد الفوضى التي كانت ضاربة اطنابها في ايطاليا ، والغازي مصطفى كمال باشا ونهوضه بالترك من بعد تمزقهم والتصدع الذي كانت يهدد بنيانهم بالانهيار من الاساس عقيب انكسارهم في الحرب العالمية وكانت الطريقة الخاصة التي سار عليها الاغريق المتقدمون في نظامهم السياسي ان المدينة الواحدة من مدنها كانت تؤلف دولة قائمة بذاتها وكان جميع الافراد يشتركون في اتخاذ القرارات مباشرة من غير ان ينيبوا عنهم احداً لان الطريقة النيابية الحاضرة كانت مجهولة لديهم . وكانت الاكثرية في الاجتماع تعين في بعض الاحيان بشدة التصفيق من المجتمعين وفي غير ذلك بالاقتراع والانتخاب . وكانت زعامتهم ومقاليد امورهم بيد من يمتلك شخصية متفوقة عليهم ومعرفة بشؤون القيادة . ولم ير ارسطو في جميع ذلك شيئاً غير طبيعي يحتاج الى التعليل بل قال عن الانسان انه حيوان مدني بالطبع فيكون المجتمع والحالة هذه ظاهرة طبيعية نشأت من فطرة الانسان وان الدولة البلدية ( City-State ) هي في نظره وليدة الاسرة ودرجة لاحقة في النشوء من بعدها



## الخلافة الاسلامية

وتتجلى المذاهب السياسية المتنوعة والآراء التي اشار اليها افلاطون خير التجلي في تاريخ الاسلام عامة والعرب منهم خاصة. وليس من المتعذر على الباحث مثلاً أن يرى المبادئ السياسية محاولة في الجيل الواحد والعمل الواحد خلطاً متماسكاً متشابكاً. فانتخاب اول خليفة ليتولى زمام المسامين في دينهم ودنياهم هو عمل ديمقراطي في مبدئه ولكنه يختلف عن الاساليب الديمقراطية الحاضرة بحصره الانتخاب في اهل الحل والعقد بصورة مبهمه ليس فيها قاعدة يركن اليها ومعنى اهل الحل والعقد هو النخبة المنتخبة وهي الطبقة الارستقراطية طبعاً فهذا الحصر هو اقرب اذن الى الارستقراطية منه الى الديمقراطية والعامة كانوا بعيدين عن التدخل في شأنه وليس لهم صوت نافذ في اقراره او في رفضه لأن القواعد التي طبقت منذ اليوم الأول لم تعين لهؤلاء العامة مقاماً في الاقتراع أو في الانتخاب بل اعتبرتهم كما اعتبرهم افلاطون اداة تساق من غير ارادة ولا اختيار. وكان الخليفة والحق يقال رئيس جمهورية إلا أنه تمتع بحقوق لا يحلم بها (هوفر) في الولايات المتحدة. وقد تجلت هذه الحقوق واشتدت عندما صارت الخلافة ملكاً متوارثاً وصار اصحابها يدعون الوكالة عن الله في كل شيء، بذلك على ذلك خطبة للمنصور بمكة جاء فيها «ايها الناس انا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده، وحارسه على ماله، اعمل فيه بمشيئته وارادته واعطيه باذنه، فقد جعلني عليه قفلاً أن شاء فتحتني لاعطائكم وقسم أرزاقكم وان شاء أن يقفل علي أفقلي»، ولم يعد الخلفاء من الفقهاء من جوز لهم مثل هذه الحقوق كما فعل صاحب «مطالع الانوار» بقوله عن الخليفة ان له حق التصرف «في رقاب الناس وأموالهم وابضاعهم». على أنه مع كل النفوذ الذي كان للخليفة لا يجوز ان يدعى «مطلقاً» ابداً، لأن السلطة ليست له وإنما هي للدستور — للشريعة التي كان حامياً لها ومسؤولاً عن تطبيقها، وكانت الحيدة عنها اعوجاجاً لا يأبى المسامون — ولو نظرياً — ان يقوموا بسيفهم. فاذا كان الاستبداد هو ان يعمل صاحب الامر بمشيئته وبمقتضى هواه ويدعي انه هو الدولة كما كان حال الملوكة المستبدين في بلاد الغرب فالخليفة بهذا المعنى لم يكن مستبداً وإنما اعطى لنفسه من الحق في فهم الدستور وتأويله وتطبيقه ما يخوله قوة صارمة. ولو اردنا أن نحمل الحالة التي كان عليها المسامون في الصدر الاول بكلام مألوف في عصرنا لقلنا انهم انتخبوا رئيس جمهورية الى أجل غير مسمى بطريقة انتخاب محدودة تولتها الطبقة الارستقراطية وهم اهل الحل والعقد وخولوه في القضاء والتنفيذ سلطة لا حد لها وجعلوه مسؤولاً عن الدستور بطريقة عنيفة تكون حياته فيها عرضة للخطر، ولما



كانت الطريقة البارلمانية مجهولة في تلك الاعصر فمحاولة تعيين هذه التبعة او المسؤولية كثيراً ما أدت الى الفتن والاضطرابات وسفك الدماء بين المسلمين لانهم لم يكونوا عارفين بحمل سلمي رضاه الجميع أو الاكثرية المطلقة في معالجتها . وعلى القارىء أن يتذكر ان الخليفة مهما كان قادراً وعظيماً لا يستطيع من الوجهة النظرية أن يغير شيئاً في الشريعة لان سلطتها مطلقة لاحد لها تصغر أمامها كل سلطة بل دائرته ودائرة قضائه وعماله محصورة في تأويلها وتطبيقها . ويحمد علماء السياسة لذة كبيرة أن يروا بعض الكتاب المسلمين المتقدمين يذهبون الى أن الامة هي مصدر السلطة التي يتمتع بها الخليفة كما فعل أبو بكر الكاساني المتوفي سنة ٥٨٧ والمدفون بظاهر حلب . فقد ذهب في كتابه « البدائع » إلى أن الخليفة بمنزلة مندوب أو رسول عن المسلمين لذلك اذا عزل أو خلع لسبب من الاسباب لم ينزعل قضائه بل هم على أعمالهم قائمون وذلك لان « القاضي لا يعمل بولاية الخليفة وفي حقه بل بولاية المسلمين وحقوقهم ، وانما الخليفة بمنزلة الرسول عنهم ، لهذا لم تلحقه العهدة كالرسول في سائر العقود ، والوكيل في النكاح ، واذا كان رسولا كان فعله بمنزلة فصل عامة المسلمين »<sup>(١)</sup>

ولئن كانت الخلافة في بدء الاسلام نظاماً جمهورياً ارستوقراطياً فقد تحولت في زمن بني امية الى ملك واصبحت دمشق الشام على ايدي الخلفاء او الملوك الامويين حصن العروبة الحصين وكانت الرابطة في الشرق كما كانت في الغرب رابطة دينية والاسلام كما هو معروف دين اممي ارسل الى جميع البشر على السواء الا أن كثرة الداخلين فيه من الاقوام الاخرى جعلت مركز العرب وحماة حرجاً خصوصاً لانهم كانوا بعد في دور التأسيس والفتح ، ولولا هذه النعرة العربية التي تجلت في بني امية لكان الخطر على الدولة الحديثة خطراً حقيقياً ولكن من المتعذر التنبؤ بما عسى أن يحدث يومئذ من التحولات في النشوء الديني في الشرق الادنى ومما يسترعي الانتباه في امر الخلافة ويشير الى معنى من المعاني السياسية الحديثة المهمة عهد الطاعة للخليفة فقد اطلق المسلمون على هذا العهد اسم البيعة وكانوا « اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيذاً للعهد فاشبه ذلك فعل البائع والمشتري » او أشبه « المقالة الاجتماعية » المبنية على فكرة التراضي والتي شرحها ( جان جاك روسو ) وجعلها الاساس المشروع للحكومات فكانت سبباً للشورة الفرنسية . ولا يعزير هذه المبايعة الحرة ما أصابها من الاكراه في بعض الاحوال والانتقال من المصاغة بالايدي الى تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل او غير ذلك من علامات الخنوع على الطريقة الغربية عن العرب والتي دعاها ابن خلدون « كسروية »<sup>(٢)</sup> لان الاصل هو التعاقد الحر كما هو ظاهر اولاً من اللفظ الدال على البيع والشراء وثانياً من العمل الذي يدل على التراضي بالمصاغة يدأ بيد



﴿ ابن خلدون ﴾ ويكون بحث السياسة في الاسلام ناقصاً اذا لم يذكر ابن خلدون بشيء من الايضاح لان اسمه سيبقى مقروناً دائماً بالطريقة العقلية المنطقية في معالجة التاريخ الاسلامي، ولا تقل قيمة كتابته بهذا المعنى عن أمن مخلفات المتقدمين السياسية من اغريق ورومان وهو الاقنوم الاخير في الثالوث الاجتماعي الذي يدخل فيه افلاطون وارسطاطليس، وقد ذكر في « المقدمة » ان الخلافة الخالصة كانت في الصدر الاول الى آخر عهد علي ومن ثم تحولت الى ملك ولكن بقي هذا الملك محافظاً على معنى الخلافة بحيث لم يتغير فيها الا الوازع فقد كان دينياً ثم انقلب عصبية وسيفاً ولكن معنى الخلافة ايضاً زال من بعد هرون الرشيد وولده لروال عصبية العرب فلم يبق منها الا الاسم وبلغ التحول في زمن ابن خلدون ان اصبح الامر ملكاً بحتاً « فكان الناس يدينون بطاعة الخليفة تبركاً والملك بجميع القابه ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء »

ومن الطف ما عمله ابن خلدون انه فرق بين الخلافة والملك والسياسة فجعل الملك حمل الناس على ما يقتضيه الغرض والشهوة، والسياسة حملهم على ما يقتضيه النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية وهو ما يعادل كلمة Politics عند الاغريق، الخلافة حملهم على ما يقتضيه الشرع، وعنده ان السلطتين القضائية والتنفيذية هما في يد رأس الحكومة الاسلامية، وقد أئبد ذلك بقوله لما كان الجهاد مشروعاً في الملة الاسلامية لعموم الدعوة وحمل الناس على دين الاسلام اتحدت فيها الخلافة والملك « لتوجه الشوكة من القائمين بها اليها معاً، واما ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ( هذا خطأ ) ولا الجهاد عندهم مشروعاً الا في المدافعة فقط ( وهذا من الوجهة العملية خطأ ) فصار القائم بامر الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة الملك ( وهذا من الوجهة التاريخية خطأ ) لانهم غير مكلفين بالتغلب على الامم الاخرى وانما هم مطالبون باقامة دينهم في خاصة انفسهم » (١)

واستجذبت في عصرنا هذا مساع اصلاحية غايتها فصل الشؤون الدينية عن الشؤون السياسية تحريراً للاسلام من سلطة اوربا الاستعمارية فكان المجدين على هذا النمط يرون ان التفريق بين حالة المسامين المدنية المقيدة بالسلاسل والاغلال وحالتهم الدينية المبنية على عقائدهم الوجدانية يجب ان يفسح للدين مجالاً حراً تظهر مزاياه العملية ومقاييسه الاخلاقية بثوبها القشيب مما يؤول بالمسامين في آخر الامر الى ترفيتهم المادية والمعنوية ويسمح لهم بتنظيم شؤونهم بما لا يعرضهم للاحتكاك بالسلطة السياسية المتغلبة

بل ان بعض الكتّاب المفكرين ذهب الى أبعد من ذلك فجعل الاوضاع السياسية حتى في الصدر الاول ومنها الخلافة طبعاً ليست من الدين في شيء فالسامون اليوم أحرار في نظره غير



مقيدين في انتخاب المنهاج السياسي الذي يلائم احوالهم ، ومن هؤلاء الكتاب السيد علي عبد الرازق فقد ذهب في رسالته « الاسلام وأصول الحكم » إلى ان الخلافة وضع سياسي حدث في زمن ابي بكر وان لقب خليفة رسول الله « كان سبباً من أسباب الخطأ الذي تسرب إلى عامة المسلمين فخليل اليهم ان الخلافة مركز ديني وان من ولي امر المسلمين فقد حل منهم في المقام الذي كان يحله رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١)

« وكان من مصلحة السلاطين ان يروجوا ذلك الخطأ بين الناس حتى يتخذوا من الدين دروعاً تحمي عروشهم ، وتذود الخارجين عليهم .... حتى افهموا الناس ان طاعة الائمة من طاعة الله ، وعصيانهم من عصيان الله .... وحرموا عليهم النظر في العلوم السياسية وباسم الدين خدعهم وضيقوا عليهم ... ثم حرموا عليهم كل ابواب العلم التي تمس حظار الخلافة وكل ذلك انتهى بموت قوى البحث ونشاط التفكير بين المسلمين .... والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية .... ولا شيء في الدين يمنع المسلمين ان يسبقوا الامم الاخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها وان يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا اليه »

وغني عن البيان ان الغاية التي وضعها السيد علي عبد الرازق نصب عينيه هي تحرير العالم الاسلامي من الجمود المستحوذ عليه وفك مخالب القرون الوسطى الناشبة في عقلية « فعمله هو عمل اصلاحي اجتماعي جريء ، لكن لئن ساغ هذا الكلام من الوجهة الغائية فهو لا يسوغ من الوجهة التاريخية العامة لان الاسلام لم يبق على معظم ما كان عليه قبل الهجرة من الاقتصار على التوحيد والتزويه وهو فضيلته الكبرى وغايته العظمى والدرس البالغ الذي تلقاه كما يقول ( اتش . جي . ولز ) مما حدث في النصرانية من النظريات اللاهوتية (٢) بل ان خوضه المعارك للدفاع عن حوزته بقوة السلاح حتى افتتح مكة عنوة واخضع العرب المشركين بالقوة أدى بالضرورة إلى تلك القواعد السياسية الدنيوية التي سارت وقواعده الدينية الاخرى ككتف ، خصوصاً لان الاسلام دين عملي عاجل اموراً واقعة اكثر مما عاجل شؤوناً نظرية فليس من المعقول ان يفتتح المدن وتتكامل هامته با كاليل الظفر الباهر من غير ان تكون له قواعد سياسية تتمشى البلاد بموجبها ، ويتعامل الغالب مع المغلوب بمقتضاها ، ولكن هذا الكلام لا يمنع رجال الاصلاح ابدأ ان يدرسوا الدين درساً تاريخياً نفسياً اجتماعياً يؤدي إلى احاطتهم بروح التشريع الاسلامي ومعرفتهم ما هو الجوهر وما هو العرض في جميع ما عمل باسم الدين ونحت تأثيره ، فيروا موقفهم السياسي الخاص والقضايا الاجتماعية المتعلقة بهم على ضوء هذا الدرس التحليلي المستند إلى المكتشفات الحديثة ، وحينئذ لانحازهم يصطدمون بشيء من العقبات فيما ينشدون من الاصلاح لان الدين متى كان عملياً في روحه جعل للمصلحة العامة اعتباراً فوق سائر الاعتبارات



## سبيل العظمة

الاول - اتبع القوم سر معهم وسائرهم ولسكن اسرع  
الخطي فتقرب من مقدمتهم . ادفع الناس بالمكناب دس على  
الاقدام وان اعترضوك فكسر لهم وخصمهم وسبهم فيوسعوا لك  
حتى تصير امام الجميع

التفت حينئذ الى الذين سبقهم مزدرياً عادتهم ممتناً تقاليدهم  
وافعل ما تختار ولكن لا تتجاوز حد العقل . هذا سبيل العظمة  
سبيل الاستخفاف بالرفاق بعد سبقهم لانك اذا بقيت في صفوفهم  
وجاريتهم في رغائبهم احاطوا بك ودلوا عليك واستخفوا بك  
ونسوك فارباً بنفسك وترفع عنهم فاما ان يعاوشا نك يذنبهم فيختاروك  
زعماً لهم او ينقموا عليك وينتقموا منك فيقتلوك فتحسب شهيداً وتعبد  
الثاني - تعلم تهذب قوت جسمك وعقلك انكر نفسك انهض  
الساقط ساعد المسكين ارشد الضال اقتف خطوات سقراط . سر في  
سبيل المسيح قد تقتل او تصلب ولكنك تلاقى حتمك مسروراً  
وتخلد اسمك . فأيهما تختار



# سر النبوغ في الادب

لمصطفى صادق الرافعي

لو ترجمنا الخطرة التي تمرُّ في ذهن الحيوان الذكي حين ينقاد في يد رجل ضعيف أبله يُصرِّفه ويُدِّيره على أغراضه فنقلناها من فكر الحيوان إلى لغتنا وأديناها بمعنى مما بين الانسان والحيوان لكانت في العبارة هكذا : ما أنت أيها الابله فيما بيني وبين الحقيقة المدبرة للكون إلا نبي مرسل صلى الله عليك وسلم ... ذلك ان التركيب الذي يبيِّن به الانسان من الحيوان قد جعل دماغ هذا الحيوان خائماً من الله دمع به على خصائصه فأفرغه الله في جلده ووضع في رأسه ذلك القفل الالهي الذي حبسه في باب الاضطراب من غرائزه البهيمية واقفل به على الدنيا العقلية المتسعة بينه وبين الانسان فالكون عنده لغوٌ كله ليس فيه إلا حقائق يسيرة ثم لا تفسير لهذه الحقائق إلا من طبيعته هو، فخلده أدق تفسير فلكي ... للشمس والنور والهواء وما يحيط منها وجوفه أصبح تعبير جغرافي ... للكورة الارضية وما تحمل وجوعه وشبعه ها كل فلسفة الشر والخير في العالم

فأساس الذكاء طالياً ونازلاً هو التركيب الطبيعي لاغيره، لو زادت في الدماغ ذرة أو نقصت زادت للدنيا صورة أو نقصت فبالضرورة تكون هذه هي القاعدة فيما نرى من تباين حدّة الذكاء في أفراد كل نوع من الحيوان وما نشهد من ذلك في أحوال الناس من الفطنة إلى الذكاء<sup>(١)</sup> إلى الالمعية إلى الجهينة إلى النبوغ إلى العبقرية وهي طبقات من ألفاظ اللغة لآحوال قائمة من هذه المعاني ترجع إلى درجات ثابتة في تركيب الدماغ

ومما يسجد له العقل الانساني سجدة طويلة . اذا هو تأمل في حكمة الله ومرّ يتصفح من أسرار ما نحن بسبيله من الكلام على النبوغ - ان هذا الوجود الذي يحمل أسرار الالهية هو كرة متقاذفة في الفضاء الابدي وان الارض التي تحمل أسرار الانسانية هي كرة طائرة فيما مُدّها من الوجود وان كل حي فيها يحمل أسرار حياته في كرة خاصة به هي رأسه . وان الوجود من كل حي هو بعد ذلك ليس شيئاً في النظر ولا في الحس ولا في الفهم إلا كما يُرى ويحس ويفهم في هذا الرأس بعينه على طريقته وتركيبه ، فيصعد التدرج الى الكبير الى الاكبر وينزل إلى الصغير الى الاصغر ثم لا معنى لما صعد إلا مما نزل ، وبهذا ستكون آخرة جميع العلوم متى نفذ العلماء الى السر الحقيقي ان العقل الانساني فهم كل شيء ولم يفهم شيئاً . . . .

(١) عندنا ان الفطنة في اللغة دون الذكاء تقابل ما عند الحيوان من التنبه . والذكاء التوقد واللبان



والناس يختلفون بتركيب أدمغتهم على شبيه من هذا التدرج . فأما واحد فيكون دماغه باعتباره من سائر الناس في الذكاء والعقل كالوجود المحيط وأما آخر فكالشمس ثم غيرها كالارض ثم الرابع كالانسان ثم يكون منهم كالحيوان ومنهم كالحشرة ، ولا علة لكل هذا إلا ما هيأت الاقدار « بأسبابها الكثيرة » لكل انسان في تركيب دماغه في نوع المادة السنجابية من المخ ، وأحوال التركيب في الملايين من الخلايا العصبية ، وما لا يعد من فروع هذه الخلايا وشُعَبها ، ثم ما يكون من قبل العلاقات بين هذه الفروع التي هي لكل رأس كرمل الكرة الارضية ، ثم اختلاف مقادير المواد الكيماوية التي تتخلق في غدد الجسم وتنفتحها الغدد في الدم فقد يكون العمل النافع المتمرد على العقول آتياً من قطرة في هذه الغدد كما ينبعث العملاق المارد بعظامه الممتدة والواحه المشبوحة من غدته النخامية لا غيرها

فالذي من ذكي مثله انما هو كالجيش من جيش بازائه يقع الاختلاف بينهما فيما اشتعلا عليه من كثرة الجند وصفاتهم من القوة والضعف واحوالهم من النظام والاختلال وقوة آلاتهم ومقدارها ونوع الاختراع فيها ثم طبيعة موضعهم وحسن توجيههم وقيادتهم وما اكتنفهم من صعب أو سهل وما تظاهر عليهم من الحوادث والاقدار ثم التوفيق الذي لا حيلة فيه ان وقع في حصة احدها واستقر أو وقع هوناً وطار للآخر . وبنحو من هذا كله تكون المفاضلة اذا وازنت بين اثنين من النوانج في حقيقة نبوغهما

فالنابغة خلقت من خالقها يصنع كما ترى بأقدار الله اذ هو قدير على قومه وعلى عصره وهو من الناس كالورقة الراجحة من ورق السحب (اليانصيب) ، سلة يد جعلتها مالا وترك الباقيات ورقاً وأحدثت بينهما الفرق الذهبي ، وبهذا لا يستطيع العالم ان يزيد الدنيا نابغة الا اذا استطاع ان يزيد في الكواكب نجماً فيصنعه . وهبه صنعه من الكهرباء فيبقى ان يحمله واذا حمله بقي ان يرفعه الى السموات وهبه قدره فيبقى كل شيء ... يبقى عليه ان يقحمه في النجوم ويرسله فيها يدور ويتفلك وكما يخلق النابغة بتركيبه تخلق له الاحوال الملائمة لعمله الذي خص به في أسرار التقدير عاملاً نافعاً وان كانت لا تلائمه هو منتفعاً فانه هو غير مقصود الا من حيث انه وسيلة أو آلة تكايد ما تحتل في اعمالها ويؤتي لها لتأخذ على طريقة وتعطي على طريقة ، وبذلك يرجع التقدير الى ان يكون العقل النابغة دليلاً للناس من الناس انفسهم على الخالق الذي هو وحده أمره الامر واذا كان الجمال يستعلن في كلام هؤلاء النوانج والخيال يظهر في تعبيرهم والحكمة تهبط الى الدنيا في تفكيرهم والمثل الاعلى هم الداعون اليه والاشواق النفسية هم موقظوها والعواطف هم المصورون لها وسرور الحياة هم الذين حولوه الى الفن . إذا كان هذا كله فهذا كله انما هو توكيد لاتصالهم بالقوة الازلية المدبرة وأنهم أدواتها في هذه المعاني فما هي أعمالهم اكثر مما هي أعمالها وقد يظن الناس ان النابغة يلمس القوى المحيطة به ، ليدع منها والحقيقة انها هي تلمسه لتبدع به



وبعدُ فالنابغة كأنه انسان من الفلك فهو يخزن الاشعة العقلية ويُريقها وفي يده الانوار والظلال والالوان يعمل بها عمل النجم كلما أظلمت على الناس معاني الحياة ، ولا تزال الحكمة تلقي اليه الفكرة الجميلة ليعطيها هو صورة فكرتها وتوحي اليه معنى الحق ليؤتيها هو معنى جمال الحق . والطبيعة خلقها الله وحده ولكنها ليست معقولة الا بالعلم وليست جميلة الا بالشعر وليست محبوبة الا بالفن ، فالنوابغ في هذا كله هم شروح وتفسير حول كلمات الله ، وكلهم يشعر بالوجود فنما كاملاً ويشعر بنفسه شرحاً لاشياء من هذا الفن ويرى معاني الطبيعة كأنما تأتيه تلمس في كتابته وشعره حياة اكبر وأوسع مما هي فيه من حقائقها المحدودة ، وتعرض له أحزان الانسانية تسأله ان يصحح الرأي فيها باستخراج معناها الخيالي الجميل فانها وان كانت آلاماً وأحزاناً الا ان معناها الخيالي هو سرور تحمله للناس اذ كان من طبيعة النفس البشرية ان تسكن إلى وصف آلامها وفلسفة حكمته حين تبدو بصائرهما حاملة أثرها الالهي كأن المثل ليس هو الألم وانما هو جهل سره

وبالجملة فالكون يختار في كل شيء مفسره العبقري ليكشف من غموضه ويزيد فيه أيضاً... ثم ليؤتي الناس المثل الأعلى من المعنى على يد المثل الأعلى من الفكر . ولهذا تصيب الكلام الذي يكتبه النابغة الملهم في أوقات التجلي عليه كأنه كلام صوّر نفسه وصاغها او كأنه قطعة من الخس قد جمدت في أسطر ، ولا بد ان تشعر ك الجملة أنها قدفت وحيّاً إذ لا تجدها الا وكأن في كلماتها روحاً يرتعش . ولقد يحظر لي وانا أقرا بعض المعاني الجميلة لذهن من الازهان الملهمة كشكسبير والمتني وغيرها حين تأمل اختراع المعنى وأبداع سياقه وضحي البيان عليه واشراقه فيه وما أتيح له من جلال ظاهر في شكل حي يلمح بسرره في النفس - يخيل اليّ من ذلك ان سر الطبيعة القادر يعمل عمله أحياناً بذهن انساني ليخلق تعبيراً عن جلاله في مثل جلاله وأنت فلو أخذت معنى من هذه المعاني الآتية من الالهام وأجريت في كتابة كاتب أو شعر شاعر من الذين ليس لهم الا أذهانهم يكدونها وكتبهم يجعلونها أذهانهم أحياناً... رأيت الفرق بين شيء وشيء في أحسن ما انت واجده لهم على نحو ما ترى بين زهرة حريرية جاءت من عمل الانسان بالابرة والخيوط وزهرة أخرى قد انبثقت عطرة ناضرة في غصنها الاخضر من عمل الحياة بالسماء والارض

والعبقري هو أبداً وراء ما لا ينتهي من جمال أوله في نفسه وآخره في الجمال الأقدس الذي مسح على هذه النفس الجميلة السامية . فادام فيه سر العبقرية فهو دائم مزقاً حياته في سباحات النور تمزيقاً يجتمع منه أدبه وما أدبه الا صورة حياته ، وهو كلما أبدع شيئاً طلب الذي هو أبدع منه فلا يزال متألماً ان عمله لان طبيعته لا تقف عند غاية من عمله ومتألماً ان لم يعمل لان تلك الطبيعة بعينها لا تهدأ الا في عمل . وهي طبيعة متمردة بذلك الجمال



الاقديس ترمد العشق في حامله إذ هما صورتان لامر واحد كما سنشير اليه . فكل ما تجده في نفس العاشق المتدله مما يترامى به الى جنونه وهلاكه تجد شبيهاً منه في نفس العبقري فكلاهما قانونه من طبيعته وحدها إذ قد اتخذت حياته شكلها الفني من ذوقه هو وحده فليس يتبع طريقة أحد بل هو طريقة نفسه<sup>(١)</sup> ، وكلاهما مسترسل أبداً إلى جمال مستفيض على روحه يتقلب فيها بالذقة والألم يرجع اليه ويستمد منه . وكلاهما لا يجد المعنى الجميل في الطبيعة معني بل رسولا من الجمال أرسل اليه وحده ولا يزال يشعر في كل وقت أن له رسائل ورؤسلاً هو بعد في انتظارها . وكلاهما متى ظفر بشيء من مصدر الجمال انتهى من شدة فرحه الى الظن أنه ربح من الكون ربحاً لم يكن له من قبل . وكلاهما مهالك بين قيود الحياة التي في الحياة والواقع وبين حريتها التي في خياله وأمله كأن عليه في سبيل هذه الحرية أن يقطع الليل والنهار لا قيوداً من قيود الاجتماع او العيش . وكلاهما متصل بقوة غيبية وراء ما يرى وما يحس تجعل نظرتة في الاشياء خاضعة لقانون النظرة العاشقة في العينين الساحرتين المعشوقتين ، فاذا مد عينيه في شيء جميل فهناك سؤال وجوابه ووحى وترجمته ومرور من نقطة الى حلم وانتقال من حقيقة الى خيال غير أن طبيعة العبقري تزيد على كل ذلك المما تنفرد به لا تستقر معه على رضا ولا يسبح في تسلط الاغنيات عليها ويستغرقها بالهموم السامية وذلك ألم الكمال الفني الذي لا يدرك العبقري غايته عند نفسه وان كان عند الناس قد أدرك غايات وغايات . فطبيعة كل عبقري تجهد جهدها في العمل لتخرج به مما يستطيعه الناس فاذا تأتى صاحبها لذلك وكابد فيه وأدرك منه وبلغ وأعجز اندفعت طبيعته الى الخروج مما يستطيع هو .... كأنه خارج عن الطبيعة وداخل في الطبيعة في وقت معاً وكأنه نفسه وفوق نفسه في حال ، وهذا سر حريته وسموه كما أنه سر ألمه وحيرته

ومن أثر ذلك ما تحسسه أنت اذا قرأت للاديب البليغ التام صاحب الفكر والاسلوب والذهن الملهم فانك تقف على المعنى من معانيه يملاً نفسك ويتمدد فيها ويهترئ بها طرباً

(١) لا وجه عندنا لما استعمله بعض الكتاب في الادب من قولهم مدرسة امرئ القيس ومدرسة النابغة ونحو ذلك ترجمة حرفية لقول الاوربيين مدرسة فلان ومدرسة فلان فان الادب ان كان تقليداً فهو ادب منقطع لا يجعل مدرسة يحتذى عليها ويخرج بها وان كان ابداعاً فليس الابداع مدرسة تكون بالتعليم والتأقن ويخرج بها الواحد والمائة والالف على طراز لا يختلف . اما تنطبق هذه الكلمة على المذاهب المستقرة في الفنون التعليمية وفي هذا لا تطلق في الادب العربي الا على فئتين فقط هما البصريون والكوفيون على ان كلمة مذهب هي المستعملة في هذا وهي اسد منها اذ يدل المذهب على منجى اختاره الرأي وذهب اليه فكأنه عن تحقيق في صاحبه وتابعيه . اما تسمية مجموعة الالهامات التي مرت في ذهن نابغة من النوابع بالمدرسة فتسمية مضحكة باردة اذ الالهام بصيرة محضة وما هو مما يقلد وقلما تشابه ذهنان على الارض في عناصر التكوين التي يأتي منها النبوغ . وقد قال علماءنا طريقة فلان وطريقة فلان فالطريقة هي الكلمة الصحيحة لان عليها ظاهر العمل واسلوبه يتوجه بها من يتوجه ويقلد فيها من يقلد اما سر العمل فهو سر العامل ايضاً وهو شيء في الروح والبصيرة . وهو في العبقري امر لا يستطيعه انسان وشذ في انسان بخصوصه



واجباً فتقول لا أحسن من هذا ثم تؤمل مع ذلك ان تجد منه هو أحسن من هذا . . . . .  
 كأنه وإن تناهي الى الغاية لا يزال عندك فوق الغاية. وهذا غريب ولكن لا دليل على العبقرية  
 إلا الغرابة دائماً فهي نظام لا نظام فيه لأنها طريقة لا طريقة لها. وبهذه الغرابة جاءت  
 العبقرية كلها أمثلة وليس فيها قواعد يحسنى عليها ولا هداية فيها إلا من الروح وإذا كان  
 الفن قدرة متصرفه في الجمال فالعبقرية قدرة متصرفه في الفن، والناطقة كالمكتسب<sup>(١)</sup> الذي  
 معه قوى العقل ويريد أن يزداد على قدره منها ولكن العبقرى كاللهي الذي معه قوى  
 الروح ويريد أن يزيد الناس على قدرهم بها، وذلك مرجع الفكر الدقيق الباحث وهذا مناطه  
 البصيرة الشفافة النافذة وهي اغرب الغرائب في الانسان إذ هي الجهة المطلقة في هذا المخلوق  
 المقيد وبها تتسع النفس لادراك المطلق الظاهر من خلال الموجودات وفيها تتحول الاشياء  
 من نظام الحاسة الى نظام الروح فيسمع المرئي ويبصر المسموع وتخلع الاجسام انعاماً وتلبس  
 الاصوات اشكالاً ويبدو عندها كل مخلوق وكأن فيه بقية زائدة على خلقه تُركت ليعمل فيها  
 الكاتب والشاعر المحدث<sup>(٢)</sup> عمل فنه الزائد على الطبيعة بالحاسة الزائدة على ذهنه وهي التي نسميها الإلهام  
 وهذه الحاسة هي كذلك من بعض الغرابة تكون في صاحبها الموهوب كما تكون حاسة  
 الاتجاه في الطيور التي تقطع في جو السماء الى غاياتها البعيدة من قطب الارض الى قطبها الآخر  
 بغير دليل تحمله ولا رسم تنظر فيه ولا علم ترجع اليه، وكما تكون حاسة التمييز في النحل الذي  
 يبني عسلته على هندسة ليست من كتاب ولا مدرسة، وحاسة التدبير في النمل الذي يدبر  
 مملكته بغير علوم الممالك وسياستها. وكثيراً ما يجيء الاديب الملهم من حقائق الفكر وبيانه  
 وأسرار الطبائع وادوارها بما يغطي على فلسفة الفلاسفة وعلم العلماء، ومثل هذا العبقرى  
 هو عندي فوق العلم لا أقول بدرجة ولكن بحاسة

وبالإلهام يكون لكل عبقرى ذهنه الذي معه وذهنه الذي ليس معه إذ كانت له من  
 وراء خياله قوة غير منظورة ليست فيه ومع ذلك تعمل كما تعمل الاعضاء في جسمه هيئة  
 منقاداً كأنها تتصرف على اطراد العادة بلا فكر ولا روية ولا عسر ما دامت تتجلى عليه  
 وليست تتصل هذه القوة إلا بتركيب عصبي تكون فيه الخصائص التي تصلح أن تتلقى  
 عنها وهي في العبقرين خصائص مرضية في الاعم الاغلب بل لعلها كذلك دائماً ليتيسر بها

(١) من الكيس وهو العقل فيكون قافلاً ويريد أن يزداد على مقداره (٢) هذه هي الكلمة القديمة  
 التي تقابل ما نسميه العبقرى بلغة عصرنا كأن الاشياء نحدثه بأسرارها او تحدثه بها قوة أعلى من القوى الانسانية  
 وإذا كان محدثاً فعني ذلك انه ينطق عن سمع من الغيب. ومن ذلك ما زعم العرب من ان لكل شاعر شيطاناً  
 ينفث على لسانه وهو وصف دقيق للعبقرية الا انه بالغة الجاهلية وقد صححه النبي صلى الله عليه وسلم فقال  
 لشاعره حسان: قل وروح القدس معك، وفي كلمة «روح القدس». تنطوي فلسفة العبقرية كلها



العبقري حالة خفيفة من الموت . . . . يحمل بها كدّه وتعبه وما يعانیه من مضض الفكر وثقلته ، ثم لتكون هذه الحالة كالتقريب بين عالم الشهادة فيه وبين عالم الغيب منه . فالتركيب العصبي في دماغ العبقري انسان على حياله مع انسان آخر ، أحدهما لما في الطبيعة والثاني لما وراء الطبيعة ، ومن ثم كان الرجل من هذه الفئة كالصباح يتقد وينطفئ لأنه آلة نور تعرض لها العلل فتذهب بقدرتها عليه ، وتنضب مادة النور منها فكذلك لا تقدر عليه ، وتكون مضیئة فتتطفئ بسبب ليس منها ولا من نورها وهي على كل هذه الاحوال لا تملك منها حالة . فبينما العبقري الذي يملأ الدنيا من آثاره النابغة تراه في حالة من أحواله يدأب لا يأتي فيجد في العمل ويبذل الوسع فيه ويصبر على مطاولة التعب في إحكامه ويفيض به فيضاً وكان في طبيعته الربيع المتفتح طول ايامه بالجمال اذا هو في حالة اخرى يتسكك ويتربص لا يعمل شيئاً كأنما دخل في قريحته الشتاء ، وفي ثلثة يتباطأ ويتلبث فلا يعن له جديد كأنما حبس عنه فكره أو نبا طبعه أو هو في قيظ طبيعته وخمولها وضجرتها ثم لا تمضي على ذلك الا توة وساعة فاذا على صيفه هو انوفبر وديسمبر . . . واذا هو منبعث ملء القوة والنشاط . وربما يأخذ في غرض من الكتابة قد رسم له المعنى وهياً له المادة فلا يكاد يمضي لنحو منه حتى تتناسخ في ذهنه المعاني فاذا هو يكتب ما لا يشبه ما كان ابتداء به ويأتيه غير ما كان قد أراده كأنما يُلْقَى عليه فهو يستملي . وقد يبتدى معنى ثم يُقَطَّع عنه بطارية من عمل او حديث ثم يُعاودُه فاذا معنى آخر واذا جهة من الفكر هي جهة الابداع والاختراع في موضوعه واذا هو انما كان يُجَسَّرُ بذلك الصارف عن معناه الاول جرأ الیدعة الى الاكمل والاصح ، وأيقن أنه لو كان استوفى على ما بدأ لأسف وضعف وجاء بما غيره أقدر عليه كأن هذه القوة الخفية التي تلهمه تنقش له ايضاً بأساليبها الغريبة . وقد يكون آخذاً في عمله ماضياً على طبعه مسترسلاً الى ما ينكشف له من أسرار المعاني ثِقَفاً من هنا لِقَفاً من هناك<sup>(١)</sup> ثم ينظر فاذا هو قد مُسَّح لوح خياله ويطلب المعنى فلا يتاح له ويتأدى فلا يزيد الا كداً وعسراً كأنما ذهب إلهامه في غمض من غموض الابدية<sup>(٢)</sup> وكل من ارتاض بصناعة الفكر واستجكت له عاداتها ومر في درجاتها حتى بلغ المكنانة التي يستشرف منها للإلهام ويتعرض فيها بروحه وبصيرته لنبضات الوحي وانكشافات الغيب يعلم ان كل معنى بديع يأتي به في صناعته انما يقع له إلهاماً من ذلك المعنى الحي المتمدد في

(١) يقال هو تقف لعف اي سريع الفهم لما يلقى اليه ولكننا استعملناه كما ترى فجاء أشد تمكناً من اصله  
(٢) قالوا كان الفرزدق وهو فحل مضر في زمانه يقول : تمر على الساعة وقطع خرس من اضرابي اهون علي من عملي بيت من الشعر . وذكروا انه كان من عمله اذا استصعب الشعر عليه أن يركب ناقته ويطوف وحده خالياً منفرداً في شعاب الجبال وبطون الاودية فينقاد له الكلام . وأخبارهم كثيرة في الطرق التي يستعان بها على الشعر ويحتلب بها نافرده ، والحقيقة انها علل من النفس تعارض حالة الالهام الى أن تزول وتصفو النفس منها أو أسباب تتفق ولا تلهم شيئاً الى أن تتغير بأسباب ملهمة



الكائنات كلها ظاهراً في شيء منها بالضوء وفي أشياء بالالوان وفي بعضها بالحركة وفي بعضها بالانسجام وفي بعضها بالروعة والفخامة وفي غيرها بنصب الهيئة وظاهر آفي حالات كثيرة بانه غير ظاهر ، ويعرف كذلك أن هذا المعنى الشامل الذي لا يحد هو الذي ينقل الوجود كله الى نفوس النواين<sup>(١)</sup> متى نبض في هذه النفوس الرقيقة وأشعرها سره . واذا هم النابغة أن يتوضه لا يرى شيئاً واذا اراد حجة عليه لم يستطع الجلاء عن بيانه بكلمة واذا التمس التعريف به لم يجد الا ما يشهد له إحساسه وقلبه . وهذا الذي ينقدح في أذهان النواين أفكاراً حين يفيض لكل منهم بسبب من قراءة او مشاهدة او حالة او مراسر ، هو هو بعينه الذي ينقدح عشقاً في قلوب المحبين حين يتراءى لكل منهم في معنى على وجه جميل ، ومن ثم كان النابغة في الادب لا يتم تمامه الا اذا أحب وعشق وكان الادب نفسه في تحصيل حقيقته الفلسفية ليس شيئاً سوى صناعة جمال الفكر وهذا العمل في ذلك الجهاز العصبي الخاص به في بعض الادمغة هو الذي كان يسميه علماء الادب العربي بالتوليد وقد عرفوا أثره ولكنهم لم يتنبهوا الى حقيقته ولا ادركوا من سره شيئاً واحسن ما قرأناه فيه قول ابن رشيق في كتاب العمدة : انما سمي الشاعر شاعراً لانه يشعر بما لا يشعر به غيره فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ، او استطراف لفظ وابتداعه ، او زيادة فيما اجحف فيه غيره من المعاني او نقص مما اطاله سواء من الالفاظ او صرف معنى الى وجهه عن وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ولم يكن له الا فضل الوزن . هذا كلام ابن رشيق وليس لهم احسن منه وهو مع ذلك تخطيط لا قيمة له وليس فيه من موضوعنا الا لفظ التوليد وعملاً تقضي منه عجباً في تتبع فلسفة هذه اللغة العربية العجيبة اننا نرى اكثر الفاظها كالتامة لا ينقصها شيء من دقائق المعنى في اصل وضعها على حين لا يفهم علماءها من هذه الالفاظ الا بعض ما تدل عليه كأنها منزلة تنزيلاً ممن يعلم السرو قد نبهنا الى هذا في كتابنا (تاريخ آداب العرب) وافضنا فيه واستوفينا هناك من فلسفته . وجاء القرآن الكريم من هذا بالعجائب التي تقوت العقل حتى ان اكثر الفاظه لتكاد تكون محتومة زلت كذلك لتفرض العلوم والفلسفة خواتمها في عصور آتية لا ريب فيها<sup>(٢)</sup> . وكلمة التوليد التي لم يفهم منها العلماء الا اخذ معنى من معنى غيره بطريقة من طرق الاخذ التي اشاروا اليها في كتب الادب — هي الكلمة التي لا يخرج عنها شيء من اسرار النبوغ ولا تجد ما يسد في ذلك مسدداً او يحيط احاطتها ولا نظير في لغة من اللغات ما يشبهها في هذه الدلالة واستيعابها كل اسرار المعنى اذ هي بلفظها نص على حياة الكون في الذهن الانساني وانه يتخذ وسيلة لابداع معانيه كما يتخذ سر الحياة بطن

(١) هناك فرق علمي بين ما يسمى نبوغاً وما يسمى عبقرية ولكننا في هذا الفصل اطلقنا الكلام وقيدنا في مواضع بخصوصها ، وبكاد الفرق بين النابغة والعبقري في جماع امره أن يكون كالنور بين التلغراف الذي طريقة مادة السلك وبين الآخر الذي طريقة روح الجو . فكلاهما هو الاخر ولكن احدهما لا بد له من طريق مسلوكة والاخر طريقة كل الطرق أي فوق أن يقيد بطريقة

(٢) على هذا المعنى وكشف اسراره في آيات القرآن سيبنى كتابنا الجديد « اسرار الاعجاز »



الأم وسيلة لا بداع موجوداته ، وان المعاني تتلاقح فيلد بعضها بعضاً في اسلوب من الحياة وان هذه هي وحدها الطريقة لتطور الفكر واخراج سُلالاتٍ من المعاني بعضها اجل من بعض كما يكون مثل ذلك في النسل بوسائل التلقيح من الدماء المختلفة ، وان النبوغ ليس شيئاً الا التركيب العصبي الخاص في الدهن ثم نمو هذا التركيب مع الحياة في طريقة سواء هي وطريقة الولادة المحيية التي مرجعها كذلك الى تركيب خاص في احشاء الانثى ينمو ثم يدرك ثم يعمل عمله المعجز . واذا كان من كل شيء في الطبيعة زوجان فالكلمة نص على ان اذهان النوابع اذهان مؤنثة في طباعها التي بنيت عليها ، وهذا صحيح اذ هي اقوى الازهان على الارض في الحس بالآلام والمسرات ، ومعاني الدموع والابتسام اسرع اليها من غيرها بل هي طبيعة فيها . وهي وحدها المبدعة للجمال والمنشئة للذوق وعملها في ذلك هو قانون وجودها ، ثم هي قائمة على الاحتمال والاعطاء والرضا بالحرمان في سبيل ذلك وادمان الصبر على التعب والدقة والاهتمام بالتفاصيل وأساسها الحب ، وكل ذلك من طباع الانثى وهي النابغة فيه بل هي النابغة به فسر النبوغ في الادب وفي غيره هو التوليد وسر التوليد في نضج الدهن المهيأ بأدواته العصبية المتجه الى المجهول ومعانيه كما تتجه كل آلات المرصد الفلكي الى السماء واجرامها . وبذلك العنصر الذهني يزيد النابغة على غيره كما يزيد الماس على الزجاج والجوهر على الحجر والفولاذ على الحديد والذهب على النحاس ، فهذه كلها نبغت نبوغها بالتوليد في سر تركيبها ويتفاوت النوابع انفسهم في قوة هذه الملكة فبعضهم فيها اكمل من بعض وتمد لهم في الخلاف احوال ازمانهم ومعايشهم وحوادثهم ونحوها ، وبهذه المبانيه تجتمع لكل منهم شخصية وتتسق له طريقة وبذلك تتنوع الاساليب ويعاد الكلام غير ما كان في نفسه وتتجدد الدنيا بمعانيها في ذهن كل اديب يفهم الدنيا وتتخذ الاشياء الجارية في العادة غرابية ليست في العادة ويرجع الحقيقي اكثر من حقيقته وقد سئل مصور مبدع بماذا يمزج الوانهُ فتأني ولها اشراقها وجمالها ونبوغ معانيها وزهو الحياة بها في الصورة فقال : انما امزجها بمخي . وهذا هذا فان الالوان عند الناس جميعاً ولكن مخه عنده وحده وله تركيبه الخاص به وحده وسر الصناعة في توليد هذا الدماغ فكان الوانهُ في صناعته جاءت منه بخصوصه ، وكذلك كل ما يتناولهُ العبقري فانك لتجد الشعر في وزن خاص به يدل عليه ويتمم الغرض منه ويضيف الى معانيه أنقاً من الجمال وحسنه والى صوته نغماً من الموسيقى وطربها . فما اشبه الجهاز العصبي في دماغ كل نابغة ان يكون وزناً شعرياً لهذا النابغة بخاصته . الا تري انك لا تقر الا اديب الحق الا وجدت كل ما يكتبهُ يجيء في وزن خاص به حتى لا يخرج عنه مرة او تزيد انت فيه وتنقص الا ظهر لك انه مكسور ...؟ والذهن العبقري لا يتخذ المعاني موضوع بحث ونظر وتعقب يستخرج منها او يتعلق عليها فهذا عمل الذهن الذكي وحده وهو غاية الغايات فيه يبحث وينظر ويتصفح ويجمع من هنا



ويأخذ من ثمَّ ويعترض ويصحح ويأتيك بالمقالة يحسب فيها كل شيء ربما فيها إلا أشياءه هو وأمثاله . اما الذهن العبقري فليس له من المعاني إلا مادة عمل فلا تكاد تلابسه حتى تتحول فيه وتنمو وتتوَّع وتساقط له اشكالاً وصوراً في مثل خطرات البرق، وربما غمر بالمعنى الواحد في جماله وسموه وقوة تأثيره مقالات عدة لاولئك الاذكياء فنسخها نسخاً وجعلها منه كالشموع الموقدة بازاء الشمس . فاذا ذهبت توازن بين مثل هذا المعنى ومثل هذه المقالات في الروعة والجلال ورأيت عريضة المقالة وغرورها لم تستطع إلا ان تقول لها : يا حصة الميزان في احدى كفتيه ألا يكفيك الجبل في الكفة الاخرى .... ؟

وقد عرف الادباء جميعاً ان كاتب فرنسا العظيم اناتول فرانس كان يكتب الجملة ثم ينقحها ثم يهذبها ثم يعيدها ثم يرجع فيها وهكذا خمس مرات الى ثمان ويقدم ويؤخر من موضع الى موضع ويحتسبون هذا تحكيكاً وتهذيباً وما هو منها في شيء ولا احسب الاوربيين انفسهم تنبهوا الى سر هذه الطريقة وانما سرها من جهاز التوليد في رأس ذلك الكاتب العظيم فاذا قرأ كتابة حوَّ لها فكره وابدع له منها من غير ان يعمل في ذلك او يتكلف له إلا ما يتكلف من بهز اليه بجذع الشجرة لتساقط عليه ثمرأ ناضجاً حلواً جنيئاً . فكلماً قرأ ولَّد ذهنه فيثبت ما يأتيه فلا تزال صورة تخرج من صورة حتى يحى المعنى في النهاية وانه لأغرب الغرائب لا يكاد العقل يهتدي الى طريقته وسياق الفكر فيه اذ كان لم يأت إلا محولاً عن وجهه مرات لمرّة واحدة فجهاز التوليد متى استمر واستحكم في انسان اصبح له بمقام ملك الوحي من النبي وهو عندنا دليل من اقوى الادلة على صحة النبوة وحدوث الوحي وامكانه اذ لا تتصرف به إلا قوة غيبية لا عمل للانسان فيها بل هي تبداً ابداعها وتلقى عليه القاءً . وليس كل من تعرض لها ادرك منها ولا كل من ادرك منها بلغ بها بل لا بد لها من الجهاز العصبي المحكم كجهاز اللاسلكي الدقيق المصنوع لتلقى ابعـد الامواج الكهربائية واقواها . وهذه القوة ان ارادت معاني الجمال اخرجت الشاعر وان ارادت كشف السر عن الاشياء اخرجت الاديب وان ارادت حقائق الوجود اخرجت الحكميم . فان كان الامر اكبر من هذا كله وكان امر تغيير الحياة وصبّ ازمان جديدة للانسانية والوثوب بهذه الدنيا درجة او درجات في الرقي فهنا تكون الوسيلة اكبر من البصيرة فليس لها من قوة الغيب إلا الوحي ويكون الغرض اكبر من الشاعر والاديب والحكيم فلا يختار إلا النبي ثم لا يوحى اليه إلا وهو في حسنة لساعة الوحي وحدها وهي ساعة ليست من الزمن بل من الروح المنصرف عن الزمن وما فيه ليتلقى عن روح الخلد ، وقريب من ذلك خلوة النابغة بنفسه في ساعة التوليد . فسر النبوغ من سر الوحي لا ريب في ذلك، وما اسهل سر الوحي وأيسر أمره ولكن في الانبياء وحدهم وهنا كل الصعوبة... « ان نكون او لا نكون هذه هي المسألة »



# كان الكون ذرة وانفجرت

نظرية الاب ليمتر في اصل الكون



— ١ —

كل الشمسوس والسيارات والاقمار نشأت من ذرة ضخمة على اثر انفجارها وتمزقها بهذا تلخص نظرية الاب ليمتر Lemaitre في أصل الكون . وهي من اغرب النظريات العلمية الحديثة وابعثها على الدهشة . وقد عني بها علماء الفلك والرياضة في انحاء العالم ، لانها على غرابتها ، تفسر كثيراً من الحقائق المشاهدة التي حار العلماء في تعليلها ويرى الاب ليمتر ان مادة الكون كلها كانت محشوقة في ذرة ضخمة ظلت ساكنة مستقرة الى قبل عشرة آلاف مليون سنة . ثم انفجرت فجأة كما ينطلق صاروخ من الصواريخ النارية في حفلة وفاء النيل . فانتثرت منه الشمسوس التي يتألف منها الكون اما كيف تنفجر بعض الذرات فيستجلى في التجربة الآتية : — خذ ساعة ارقام ميناها مصنوعة من مادة فصفورية ، واذهب الى غرفة مظلمة ، وانظر الى الارقام الفصفورية بعدسة مكبرة تر الشرر الناري منطلقاً منها . واذ انت تشاهد هذا الشرر المتطاير تذكر ان كل شرارة تنطلق من ذرة منفجرة . وفي كل ذرة منفجرة ترى صورة مصغرة لنظرية الاب ليمتر والمسلم به ان ذرة الاديوم تبقى نحو ١٧٣٠ سنة ساكنة هاجعة ثم تنفجر فتنتطلق منها الدقائق كما انفجرت ذرة الكون الاصلية وانطلقت منها الشمسوس

وهذه النظرية تعلق لنا ظاهرة من اغرب الظواهر العلمية وهي ظاهرة الكون الآخذ في الاتساع أو التمدد Expanding Universe . فالتلسكوبات الكبيرة تبين ان في رحاب الكون ملايين من السدم العدسية الشكل خارج المجرة . والذي عليه العلماء الآن ان المجرة نفسها سديم من هذا القبيل وان شمسنا واحدة من الوف الوف الشمس التي تتألف المجرة من مجموعها . واحده هذه السدم — سديم Canes Ventici — يبعد عن المجرة بعداً عظيماً فلا يصل ضوءه الينا الا بعد مسير مليون سنة بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية ! واغرب من ذلك ان الارصاد تدل على ان هذا السديم يزداد بعداً عنا ثانية ثانية وان سرعة ابتعاده عنا تبلغ ١٧٠ ميلاً في الثانية وثمة عدا السدم الكبيرة اللامعة سدوم تبدو لنا صغيرة ضئيلة النور لبُعدها تحصى بالوف الالوف . وعلماء الفلك يحبون رحاب الفضاء بنظاراتهم والواهم الفوتغرافية الى بعد



مائة مليون سنة ضوئية لكي يحدوها على قدر الطاقة. والشيء العجيب الذي استرعى انتباههم ليس عدد السُدُم الذي يبلغ الملايين بل ان السُدُم البعيدة اسرع ابتعاداً عنا من السدم القريبة . وقد قيسَت سرعة احدِها فاذا هي نحو ١٢ الف ميل في الثانية فسأل الفلكيون « ما السرُّ في ان سرعة السدم البعيدة اعظم من سرعة السُدُم القريبة ولماذا يبدو لنا ان هذه السُدُم تباعد عنا نحن ، واذا كان هذا الابتعاد ناتجاً عن اتساع الكون وتمددِه فلماذا يبدو لنا اننا في المركز وان كل ما حولنا يبتعد عنا ؟ »

## — ٢ —

ان دعاء نظرية النسبية يميلون الآن الى الأخذ بان الكون أخذ في التمدد . ولكنهم يعتقدون ان ما يبدو لنا من ان الارض في مركز الكون المتمدّد ليس الا وهماً بصرياً ويضربون لذلك المثل الآتي :- لنفترض ان كرة الارض تمددت في ذات ليلة حتى اصبحت ضعف ما هي قطراً ومحيطاً وابعاداً بين الاجسام التي على سطحها . في حين ان احجام الاجسام التي على سطحها ظلت هي هي . فاذا استيقظت في الصباح وجدت جارك الذي كان يقطن على خمسين متراً منك اصبحت يقطن على مائة متر . وصديقك الذي كان يقطن في قرية تبعد ميلاً عنك اصبحت تبعد ميلين . وهكذا تجد ان نسبة الاتساع تزداد بازدياد البعد عنك . وكل احد غيرك يرى ما ترى انت ويحسب نفسه المركز الذي بعدت عنه الاجسام التي على سطح الارض يقولون : وتمدد الكون من هذا القبيل الا انه يقع في عالم ذي ثلاثة ابعاد فلا يمكن تصوّره . ولكن ظاهرات التمدد في الحالين متقابلة . فالسُدُم لا تفرّ منّا . وانما ابتعادها سببه تمدد الكون . وقد يبدو للقارىء ان هذا التمييز لا يعدو ان يكون جدلاً يدور حول الالفاظ فقط . ولكن الفرق لازم لفهم المسألة . فاصحاب النظرية النسبية يرون فرقاً بين ابتعاد السُدُم نفسها وبين اتساع الفضاء الذي هي منشورة في رحابه

ولكن هذا الفرض يقوم عليه اعتراض . فان سرعة التمدد عظيمة جداً . فاذا رجعنا بالكون من حالته الراهنة الى ما كان عليه من عشرة آلاف مليون سنة ، وجدناه والنجوم مزدحمة فيه ازدحام ساحة من الساحات العامة بالسيارات في ايام الاعياد . وقد يبدو ان مدى عشرة آلاف مليون سنة مدى طويل جداً . ولكن الجولوجيين يقولون ان عمر الارض لا يقل عن الف مليون سنة . واذاً فالزمن المنقضي بين الكون في حالة ازدهامه بالنجوم وزمن نشوء الارض والكون الى ما هما عليه الآن لا يكفي لحدوث كل التطورات الكونية التي افضت الى نشوء الارض . وهذا منشأ الاعتراض الذي يوجّه الى هذا الفرض

وقراء المقتطف يعلمون ان العالم الفرنسي لابلاس علل نشوء النظام الشمسي بما دعي



« النظرية السديمية » فتصور قطعة سديمية آخذة في الدوران وانها في اثناء دورانها تتسطح عند قطبيها ثم تأخذ في التقلص وتقلصها يزيد سرعة دورانها ، واذ تبلغ سرعة دورانها حداً معيناً ، يتعذر التماسك بين اجزائها ، فتنتقل منها حلقات من مادتها وهذه الحلقات تتقلص فتنشأ منها السيارات

ومضى زمن كان هذا الرأي سائداً في دوائر الفلكيين ثم بدت اعتراضات عليه فتخلى عنه العلماء وهم يعتمدون الآن على نظرية اشتغل في استخراجها تشمبرلين ومولتن وجينز وجفريز وغيرهم

على ان النظرية السديمية ظلت معتمد الفلكيين في تعليل نشوء النجوم من السدم. وهذا النشوء يقتضي زمناً طويلاً تؤيده الارصاد والحسابات الرياضية . فاذا كان القول بتمدد الكون صحيحاً فالزمن المنقضي منذ ما كان الكون خواء الى ان نشأت الارض لا يكفي قط لنشوء النجوم وهو فعل بطيء كل البطء . واذاً فلا بد من تنقيح آرائنا في طريقة تكون النجوم من غبار الكون ، واقترح طريقة اخرى يكون التكون فيها اسرع مهما هو في سابقتها حتى يلتئم ذلك مع سرعة نشوء الكون

### — ٣ —

والظاهر ان في نظرية الاب ليمتر مخرجاً من هذا المأزق فهو يقول ان كل مادة الكون كانت محشوة في ذرة ضخمة مستقرة . فاذا سئل ماذا كان يحدث في تلك الذرة قال « لا شيء » اذ لا سبيل لحدوث شيء في جسم لا مكان فيه . وليس للوقت أو للزمن معنى في عالم مستقر كل الاستقرار . ثم انفجرت هذه الذرة ، وعمر الكون يجب ان يحسب من تاريخ انفجارها الذي تمّ من نحو عشرة آلاف مليون سنة . ومنذ ما انفجرت الذرة اخذ الكون وما زال آخذاً في الاتساع على ان نظرية ليمتر لا تبين لنا كيف تكونت الارض ، وهل السيارات نشأت وقت الانفجار او تكونت بعده بطريقة اخرى

وماذا يقال في المستقبل . ان اينشتين وده ستر يريان انه قد يقع في المستقبل تقلص كوني يعيد النجوم ومادة الكون المتفرقة الى حالتها الاولى قبل الانفجار فتحشك في مدى قليل بالنسبة الى سعة الكون — اما ليمتر فيرى ان هذا التقلص لا يمكن ان يقع بل يؤثر الاعتقاد بان الكون نشأ من ذلك الانفجار وسوف يبقى ماضياً في تمدّده حتى تتحوّل النجوم الى رماد !



## الفكرة

لا سماعيل مظهر

«خرج الناس يحبون بحر الوجود بآلاف من الشباك»

بهذا وصف الناس طاغور . فكل يوم يخرجون منتشرين في فجاج الارض ، يحبون بحر الوجود بآلاف من الشباك . ولكن كيف يكون منقلبهم ؟ ذلك ما لم يرد طاغور ان يتكلم فيه . بل انه ترك جميع الناس يخرجون صبيحة كل يوم من ما وبيهم يحبون ذلك البحر اللحي ، بحر الوجود ، بآلاف من الشباك ، يتسقط كل منهم حظه ونصيبه من الدنيا اما انهم يعودون الى ما وبيهم بهذه الشباك مرة اخرى ، فذلك امر محتوم . اما الشباك فحمل على اكتافهم ، سواء اخرجت بالصيد الطيب ، ام بالرمل والحصى . فلا بد اذن للناس من شباك ولا بد لهم من نصيب تخرجه هذه الشباك . ولا بد لهم ايضاً من ان يحملوا هذه الشباك ويحبون بها بحر الوجود . والوجود

«دنيا تعج بسكانها فهذا يغني وذاك ينوح وذلك مستسلم للقدر»

وكان «يوحنا» من المستسلمين للأقدار . يحمل شبكته كل يوم ويخرج يحب بحر الوجود مع الذين يحبونه ، ويعود راضياً بما وقع في شبكته . يمضي الى مأواه ساكناً ، ويلقي بصيده جانباً ، ثم يمضي يتأمل في بحر هذا الوجود . يعيش مع احدى بنات حواء ، وحوله عشرة من الاولاد . اما هو فكان قد حطم الاربعين . وأما الشبكة التي كان يخرج بها الى بحر الوجود ، فلم تكن من الشباك التي يزودها ذلك البحر إلا بالمحاجة من زاده . ولكن القدر اخرج «يوحنا» الى الوجود سليل رجل كان بحر الوجود يزوده بالكثير من صيده ، وترك له من الدنيا نصيباً يكفيه النصب والكدح في سبيل العيش ، بل كان في يسار . وبحر الوجود بعد ان زود التاجر بالصيد الكثير ، ضن على الابن المفكر بصيد ولو كان قليلاً ، مما يرد السغب ويشبع بطناً عضه الجوع وهكذا خرج «يوحنا» الى الدنيا بجمال ابيه ، ولكن برأس جديد . رأس يرضن عليه بحر الوجود بخيره ، بل هو يبتلع اذا استطاع ما بين يدي صاحبه من صيد جاد به على غيره من اسلافه الاولين وكان «يوحنا» يحمل رأس فيلسوف مستهتر ، ابيقوري من الطراز الاول الذي عاش قبل ان يكون ابيقور ، ذلك الطراز الذي عاش في الاسكندرية ابان ازدهارها بالعلم والفلسفة ، من طراز الفلاسفة الذين عشقوا «لايس» خليفة اثينا ، او الذين لعبت بهم «تايس» في



الاسكندرية قبل ان تصبح قديسة . كذلك كان يحمل قلب حكيم من الذين عملوا على خير الانسانية . اولئك الذين استكشفوا « الانسان » عقب النهضة الادبية في اوربا

عاشت المرأة في شغاف قلبه وبين جوانحه ، ولكنه كان يرى انها ليست اكثر من اُلهية او العوبة . كان يحب « المرأة » لا امرأة بذاتها . يحب بنات حواء . اما هذه بالذات او تلك فأمر لا وزن له عند « يوحنا » . كان يحب ويتدل في الحب ويبتذل لبنت حواء ما يلذ لبنت حواء من تضحيات ، ويشفق ويغار ، ويثن ويتوجع ، ويصل الليل بالنهار صبباً مستهماً . فاذا بعدت « هذه » عن عينه بعدت عن قلبه . ولكن الحب ما زاد وما نقص . قلب يحترق ويلتهب التيعاً . ولكن لمن ؟ لمن شئت من بنات حواء ، متى ارادت ان ترضي قلب يوحنا المحتر النائر بنظرة او ابتسامة ، أو ميل اليه أو حب أو هيام يرضي فيه اضطراب القلب وثورة العواطف ، كأن الحب في قلب يوحنا كان سليقة خلقت معه ، فهو يحب ويحب بغير قيد ، ويحب بغير احتراز من اي شيء . وفي اي شيء من الوجود يهز قلباً خلق ليحب من غير أن يحفل بمن من بنات حواء اصابها ذلك الحب ؟ غير أنه مع هذا كله ، كان يشفق على غيره من أبناء آدم ان يحرموا اللذة الاستمتاع بمن أحب كما يستمتع هو ، وكان يقول مع من قال في مستهري روما واثينا ، اي ضرر في ان احمل في سفيني غيري من عاري بحر هذا الوجود

صفت نفس « يوحنا » وصقلها الطبع المستهتر البعيد عن التفاؤل بالحياة او التشاؤم منها فكان تكوينه قد توازنت فيه فاحيتا الامل واليأس ، والتضعت فيه الرذائل ، فزحمتها في الحياة فضيلة لا تعترف بما للخياليات التي قدسها فلاسفة المثل الاعلى من قيمة . كان يقول بان اللذة الحسية رأس الفضائل ، ويعتقد أن القوانين لا قيمة لها الا عند الحق ، الذين يحتاجون الى القيد والى السوط والى اربعة جدران من اللبنة المرصوفة تصد عن بحر الوجود رذائلهم . اما هو فيعتقد أن الحكمة تمكن هاويها من ان يعيش ، حتى لو فرض والغيت كل القوانين ، كما كان وهي قائمة . اما اللذة ، معبود « يوحنا » ، فكان يذهب فيها مذهباً لا يوجب عليه التماذي فيها الى الحد الذي يحتاج فيه الى طلب الغفران ، سواء من نفسه او من غيره . فالامر عنده سيات لهذا احب « يوحنا » الانسانية ، وحاول ان يصلح بعض نواحيها . فالتهمت قلبه النار . نار الوله بينت حواء ونار الوله باصلاح الانسانية . فكانه عبداً في الدنيا صنمين ، صنماً يحاول دائماً ان يحطم اهواء الرجال . وآخر موهوماً لا وجود له . ولكن المرأة عجزت عن ان تهدم « يوحنا » ، لانه كان يحب كل بنات حواء ، فاذا شاعت احداهن ان تحطمه وجد اخرى تأخذ بيده قبل ان يهوى في القرار . اما المعبود الثاني . اما الانسانية . ذلك الخيال الموهوم ، فذلك الذي هدم « يوحنا » . ويكفي لديك ان تعرف انه ما من عاطفة في قلب « يوحنا » استطاعت ان تغلب على حب المرأة ، الا عاطفة « الانسانية » . أنظّل الانسانية في ضلالها



وتخبط في ذلك الليل البهيم من الجهل والحق والتقييد باغلال التقاليد والاساطير «ويوحنا» ينبض له عرق ، او يدق له قلب ؟ يا للكارثة . ويا للشقاء

اتصل الانسانى ويخرج اهلها كل يوم يحبون بحر الوجود بشباك لا تخرج الا بالمادة مما يشبع البطون والشهوات ، دون ان يكون فيها شيء مما يشبع العقول والقلوب ؟ اترك «يوحنا» الناس فريسة للمهاويس من زعماء الانسانية في غاراتها الاولى ، يمنونهم ويرهبونهم بالاوهم ويعلمون قلوبهم بالخوف والالام ، ويخدعونهم بالاساطير والاكاذيب ، والناس مسوقون كأنهم انعام سائمة ، لا يهمها الا الشباك وما في بحر الوجود من صيد حلال او حرام ؟ اذن يا للهول اترك الانسانية ارسطو وأفلاطون في وحدتهما الالهية ، وتعكف على سفاسف الحياة ، على حقارتها ، وتمضي راضية بان تلغي العقل ، وتهوي مع التسليم والايمان الاعمى الى احط دركات العبودية ، ويوحنا ينظر الى هذا ولا ينقذ ذلك المعبود العظيم ، من تلك الهوة السحيقة ؟ اذن فليعاهد شيطان فوست . ويمضي يجمع الكتب ويملا جوانب البيت بها ويكب على الدرس وعلى البحث وعلى الكتابة والنشر ، ويستعمق وينقب عن نفائس الفكر الذي خلفته القرون الاولى ، ثم يرمي شبكته في بحر الوجود فلا تخرج الا اصداقاً لها بريق خداع ، ولكن بلا قيمة في الحياة . فانها لا تشبع بطناً تجوع ولا تكسو جسداً لفحته الاغصير ويظمو بحر الحياة على يوحنا فيسلبه في ساعة واحدة ما أخرجت شباك بأنه طوال السنين . ويلقي يوحنا بشبكته فلا تخرج الا عواطف وافكاراً ، والا حقائق ونظريات . يا للهول

ويأخذه اليأس ليعاوده الامل . ويرى المرأة فتبعث بحرارة الحياة في روحه وقلبه . ويرى الانسانية تحمل الشباك ، فما يشك في استعدادها للارتقاء ، وحاجتها الى المصلحين وإلى التربية والى حرية الفكر قبل كل شيء . ولكن لم ير يوحنا ان افراد هذه «الانسانية» ينفسون شباكهم كل يوم ، ليقبوا بما اخرجت الشباك من عواطف وافكار على الشاطئ المهجور ، ليعودوا بما فيها من حطام وزاد خسب ؟ ولكنه طمع في ان يرى الانسانية تلتقط يوماً مع الزاد والحطام افكاراً وعواطف ، وان يزود العقل بقليل مما يلقي على الشاطئ المهجور ، وان تلتهم النفوس قليلاً من ثمار العقول الكبيرة التي تركت تن في وحدتها الالهية

وتدور الايام بيوحنا دورتها ، فيصحو ليجد أنه فقد الشبكة التي يحب بها بحر الوجود مع غيره من الناس ، وفقد المأوى الذي يرجع اليه بذلك الصيد المرير — العواطف والافكار — ثم تدور العجلة دورة أخرى ، فيجد نفسه في عالم جديد . عالم النزاع على الحطام الذي ما فكر فيه يوحنا .. عالم الدفاع عن النفس والولد . في عالم يرغمه ارغماً على ان يزود اولاده بشباك تخرج حطاماً لا افكاراً ولا عواطف . وتتركه الغفوة في مكتب محام يهزأ بفلسفته التي افقده شبكته التي يحب بها بحر الوجود



- ولكنك امضيت العقد يا حضرة الفيلسوف
- نعم أمضيته بيدي هذه . ولكن من غير ان اعرف نتائج
- ان المحاكم لا تفهم هذا . ان منطق المحاكم غير منطق الفلسفة
- ولكن للمحاكم قضاة ولهم عقول تدرك الفلسفة ، وتدرك ان من كان مثلي لا يحاسب على شيء الا اذا ادرك تماماً ما يترتب عليه من النتائج . وانا جُدتُ
- انك أمام قضية « افلاس » . واعترفت في العقد بانك تاجر وان من حق مدينك ان يفلسك
- وماذا بهم . انا مفلس فعلاً ، فاذا يضرني ان اصبح مفلساً قانوناً
- أهذه فلسفتك ؟ ان معنى الافلاس ان تسقط عنك اكثر حقوقك السياسية وان توضع تحت المراقبة كالمفسدين وقطاع الطرق والمحكوم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة ، ولا تتعامل ولا تعامل ، ويعين عليك قيسم كالمعتوهين والسفهاء ، يتولى عنك بيع حطامك
- أكل هذا لاني اردت ان أحرر الانسانية من أوهامها ؟
- كلاً . بل لانك لم تدفع ما عليك من دين
- وماذا يحل بالعالم اذا لم ادفع ؟ — لا يحل بالعالم شيء ، بل يحل بك انت
- ولكن خبرني ماذا يحل بكنتي وقواميسي . انها أدوات مهنتي ولا يصح التصرف فيها قانوناً
- قانوناً ! ان القانون لا يعترف بمهنة يقال لها الفلسفة . ولا بصناعة يقال لها التفكير
- او يعترف القانون بصناعة يقال لها الدعارة وبيع العرض تلقاء المال ، ويعترف بمهنة يقال لها الاتجار بالخمور بل يعترف بما هو اخط من هذا وذاك ، ولا يعترف للمفكرين بأنهم ذوو مهنة لها قيمة ولو مثل قيمة هذه الاشياء ؟
- نعم فيستح عينك كتبك وقواميسك وافكارك وفلسفتك لقيمة لها ابد لا في نظر القانون ولا في نظر الناس . فاما ان تعرف كيف تدافع عن نفسك دفاعاً يقبله القانون ، واما ان تحل بك كل هذه الكوارث
- وتباع كتب ارسطو ، ومؤلفات اناطول فرانس ، والانسيكلوبيديا ، ومؤلفات داروين ، وشارلس دكنز ، وهوميروس ودانتي . . . وتعليقاتي وشروحي وافكاري وانتقاداتي ونظرياتى . . .
- وبالزاد العلني افهم ما اقول !
- فهمت يا سيدي الاستاذ المحامي . فهمت ان الحكومات تعترف بالبقاء كمهنة ، ولكنها لا تعترف بأن للمفكر حق الوجود والتفكير . ولا تعترف بأن رأسه في الكتاب ، وان قلبه في القاموس . هي تحمي المومس اذا اعتدى احد الفاسقين على اجرها الدنيء ، ولكنها لا تحمي المفكر اذا سلب فكره ، وسرق نياط قلبه . لا تحمي الفيلسوف لانه ابه احق . وهل احق ممن يظن انه يشبع بطنه بالافكار ، وان يسد رمق اولاده بالفلسفة ، وان يكسو الابدان العارية بالنظريات ، او ان يزود فلذات كبده بشباك يجوبون بها بحر الوجود بحيث تكون



خيوطها محوكة من مبادئ في حرية الفكر او الضمير ؟ نعم فهمت ان المفلس ولو كان فيلسوفاً، سلب حقّه السياسي في ان يشترك في الرأي مع المكارية وماسحي الاحذية والبغايا . فهمت انه يصبح في نظر القانون معتوهاً يحتاج الى الولاية والى من يبيع كل شيء يملكه حتى رأسه اذا فرض وكان للافكار قيمة مادية . فهمت ان المفكر لا يغني عنه الفكر ولا العلم ولا الفلسفة، اذا نشبت فيه اغفار القانون ، وتمكنت من اذلاله المطامع الدنيوية . فهمت انه يصبح خارجاً عن الهياة الاجتماعية فيراقب كقطاع الطرق والقتلة والسفاحين . فهمت انه يسلب الحرية ، لانه دعا الى الحرية . فهمت كل هذا . بل فهمت ان الانسانية تنبذ من يخرج على تقاليدها . هي تريد الخيال والوهم لا الفكر . تريد الاسطورة لا الحقيقة . تأخذ بيد من يمكر بها ويخدعها فتخدع عنه . اما الفكرة واما النظرية واما الحقيقة واما حرية الفكر ، فجزاؤها من الانسانية الحرمان . وقبل أن غلب غليلو وحرق برونو وحُرم سبينوزا . اذن خمدك اللهم على منزلة احط من الباغيات ، وأرفع قليلاً من الصوص والقتلة

وكان « يوحنا » قد اخذ يهذي بهذه الكلمات وهو خارج من مكتب محاميه، ويضرب في طرقات المدينة وقد علا ضجيجها واشتدّ صخبها ، وحمل كل من الناس شبكته بعد ان جاب بحر الوجود طوال يومه ، وارتدّ بغنمه . اما هو فما زال يضرب في الارض على قدميه حتى مال ميزان النهار واكتهل اليوم ، واخذ الليل يرخي سدوله السوداء على بحر الوجود ولكن فكرة « جديدة » ! ها قد ارتدّ الامل الى قلب « يوحنا » . القوة القاهرة !!!

— نعم كنت واقعاً تحت سلطان قوة القاهرة ! يا للفرج . يا للسعادة وارتدّ « يوحنا » يهرول الى مكتب المحامي . وأخذ يدق الباب دقاً عنيفاً . ولكن لم يكن هنالك انسان . اذن فالى الصباح . اما في الصباح فقد فقد « يوحنا » الذاكرة . فقد « القوة القاهرة » وعجز عن ان يتذكر شيئاً . فقد الذاكرة عشرين عاماً . فكان هذا اقصى ما تستطيع الدنيا ان تنزل بالفيلسوف من مراحلها

واليوم تجدد « يوحنا » على فراش الموت محتضر ويهذي تأخذه السكره بعد السكره والخيالات تمر امامه متعائلة تترى ، فيخيل اليه فيما يتخيل انه على باب المحامي يدق الباب دقاً عنيفاً . ثم تشع في عقله الفكرة والظرف الذي اوقعه تحت سلطان « القوة القاهرة » . فينادي بولده — أي الي ! اسرع يا بني العزيز الى مكتب المحامي . قل له ان ابي قد امضى العقد وهو واقع تحت سلطان قوة القاهرة . اسمعت — Force Majeure — قل له هذا اسرع . اسرع . « قوة القاهرة » وعاودته السكره ، وماهي الا اغفائة ، ثم ابتسامه ، ثم يعلو الصدر ويهبط ، ليظل هابطاً الى الابد . نعم قوة القاهرة . ابرزته الى هذا الوجود وزودته باحلامه وآماله وأفقده شبكته التي يحجوب بها بحر الوجود وقوة القاهرة هي التي اخرجته من هذه الدنيا صفر اليدين



## قيثاري

لعلي محمود طه المهندس

ونَسِيتَ لَحْنَ صَبَابَتِي وَغَرَامِي  
وَعِزَّاءَ نَفْسٍ جَمَّةٍ الْأَلَامِ  
وَتَذَهِّبِينَ حَوَاشِي الْأَحْلَامِ  
لَحْنًا تَمْشِي فِي دَمِي وَعِظَامِي  
ذَابَتْ عَلَى صَدْرِ الْغَدِيرِ الطَّامِي  
أَصْدَاؤُكَ الْخَيْرَى عَلَى الْأَكَامِ  
لَحْنُ كِفَارٍ مَوْجَهَا الْمَتْرَامِي  
مِنْ كُلِّ مَاضٍ عَائِرِ الْأَيَّامِ  
تَذَكُّنَهَا أَوْ لَوْعَةٍ اسْتَفْغَرَامِ  
وَجَلَا الْحَيَاةُ بَغْرُهُ الْبَسَامِ  
وَيَعِيدُ كَرَّةً هَذِهِ الْأَعْوَامِ  
تُوحِي الْخِيَالَ لَرِيْشَةِ الرِّسَامِ؟  
وَحَلَّتْ مِغَانِيهِ مِنَ الْآرَامِ  
وَذَوَى بِشَطَطِيهِ النَّصِيرُ النَّامِي  
دَاوُ يُشَقُّ جَوَانِبَ الْأَيْظَامِ  
وَصَدَاكَ بَيْنَ الْغُورِ وَالْأَجَامِ  
وَسَمَاءٍ وَحْيِ الشَّعْرِ وَالْأَلْهَامِ  
أَنْسِينَ عَهْدَ مُودَتِي وَذِمَامِي؟  
لَقَدِيمٍ لِحَنِكَ أَوْ قَدِيمٍ هَيَامِي  
فِي اللَّيْلِ مِنْ نَفْسَاتٍ قَلْبِي الدَّامِي  
وَطَفَقْتُ أَرْقُبُ أَفْقَهُ الْمَتَسَامِي  
طَيْفٌ يَضُنُّ عَلَيَّ بِالْإِلْهَامِ  
وَعَصِيَتْ أَنْتَانِي وَدَمْعِي الْهَامِي  
سِرَّ الْغِنَاءِ وَلَا تَعِيدُ كَلَامِي  
أَنِّي أَرَاكَ حَبِيسَةَ الْأَنْفَامِ

بَدَّدْتَ يَا قَيْثَارَتِي أَنْفَامِي  
مَرَّتْ لَيَالٍ كُنْتُ مُؤَنِّسَتِي بِهَا  
تَرْوِينِ مِنْ طَرْبِ الصَّبَا وَحَنِينِهِ  
كَالْبَلْبَلِ الشَّاكِي رَوَيْتَ صَبَابَتِي  
أَنْشُودَةَ الْوَادِي وَلَحْنُ شَبَابِهِ  
شَاقَ الطَّبِيعَةَ مِنْ قَدِيمٍ مَلَا حِنِي  
وَشَجَا الْبَحِيرَةَ وَاسْتَخَفَّ ضَفَافَهَا  
يَا رَبَّةَ الْأَلْحَانِ غَنِّي وَابْعَثِي  
خَلَّتِ الشُّجُونُ فَلَارِ سَيْسِ صَبَابَةٍ  
وَجَفَا الَّذِي مَلَأَ الْعَوَالِمَ بِهَجَةٍ  
هَلْ مِنْ نَشِيدِكَ مَا يُجَدِّدُ فِي الصَّبَا  
وَيَصُورُ الْأَحْلَامَ فِتْنَةً شَاعِرٍ  
وَادِي الْهَوَى! أَوَّلَتْ بِشَاشَةِ دَهْرِهِ  
طَارَتْ صَوَادِحُهُ وَجَفَّ غَدِيرُهُ  
وَاعْتَاضَ مِنْ هَمْسِ النَّسِيمِ بِعَاصِفٍ  
وَهُوَ الصَّدَى الْخَاكِي لِضَائِعِ صِرْخَتِي  
قَدْ كُنَّ الْأَفْيُ وَنَزْهَةً خَاطِرِي  
مَالِي بَيْنَ سَكْتَتَيْنِ عَنِ الْآلَمِي  
يَا رَبَّةَ الْأَلْحَانِ هَلْ مِنْ رَجْعَةٍ  
فَارَوْي أَغَانِيَّ الْقَدَامِي وَانْقِثِي  
عَلَّ الَّذِي غَنَيْتُ عَرْشَ جَمَالِهِ  
تَشْجِيهِ الْخَانِي فَيَسْتَعِيدُنِي بِهِ  
مَالِي أَرَاكَ جَدَّتِ بَيْنَ أَنْفَامِي  
خَرَسَاءُ لَا تَتَلَوُ النَشِيدَ وَلَا تَعْمِي  
يَغْرِي الْكَاتِبَةَ بِي وَيَكْشِفُ خَاطِرِي



# العلم

## والحرب المقبلة

العلم لا ينظر الى الحرب ولا الى  
السلم . فهو يعطينا بيد الاسمدة وييد  
اخرى المفرقات . والمفرقات تستعمل  
للهدم والقتل في الحرب ولكنها تستعمل  
في حفر الاتفاق وفتح المحاجر وشق  
الترع في زمان السلم . والقول لا يحصر



استعماله في صنع الاسلحة والرماح بل  
هو يستعمل في صنع المحارث والسكك  
الحديدية والسيارات والحصادات .  
فالعلم بحذ نفسه لا يخدم اله الحرب دون  
اله السلم ، وانما يعود الفرق الى نفوسنا  
وشهواتها وتنقيفها ومثلها الادبية

لذلك عنينا في هذا الجزء من  
المقتطف — على ذكر مؤتمر نزع السلاح  
او نقضه — ببيان ناحية من الصلة بين  
العلم وأدوات الحرب في ثلاث مقالات  
نقيسة ثالثها تبين مبلغ اثر الطيارات  
في الحرب وهي مبنية على خيال تؤيده  
الحقائق





# اثر الآلات في الحضارة

آراء الطائب الاميركي ستيفوارت تشايس

كان موضوع الآلات وتأثيرها في الافراد والمجتمع، في بضع السنوات الاخيرة، موضوعاً شائعاً يتخذ البعض منه مادة للمناقشة والجدل، فأصبح الآن بعد الازمة العالمية الجائحة، موضوعاً حيويّاً

ولقد وضع الاقتصادي الاميركي ستيفوارت تشايس كتاباً في هذا الموضوع سماه «الانسان والآلات» قرر فيه ان الآلات قد اصبحت لا تنشر السعادة على الجنس البشري بل ان الناس — وبوجه خاص العمال المشتغلين والعاطلين — هم الذين يضحي بهم في سبيلها. ومن الواضح ان الكاتب الاميركي ليس يقصد مجرد تقرير حالة واقعة بل هو يرمي الى تنبيه العالم ليعمل على اجتناب كارثة اقتصادية في المستقبل. وهو اذا كان ينقد ما احدثت اليه الحضارة في بلاده بفضل الآلات فعلياً ان لا ننسى ان اوربا صائرة غداً الى ما صارت اليه اميركا اليوم، واننا سائرون في اثرها، فعلياً ان نتبين الطريق الذي حتم علينا ان نسلكه وان نعرف ما فيه من عوج ووعورة فنتجنبهما ونظل في السبيل السوي على قدر الطاقة ولقد وجدت ان مجرد تلخيص فكرة المؤلف لا تغني عن قراءة الكتاب ولا تجلو للقارئ مقدار ما فيه من عمق واستقصاء، فعمدت الى نقل ثلاثة فصول مختلفة يتناول كل منها الموضوع من ناحية خاصة ولكنها تجتمع في الفكرة النهائية، وهي ان (١) هنالك فوضى قد نشأت عن استعمال الآلات (٢) ولكن الآلات لا تحمل تبعه ذلك بل انها مفيدة بطبيعتها (٣) فينبغي ان نغير طريقة استغلالنا لهذه الآلات واسلوبنا في توزيع منتجاتها

هل نحن عبيد الآلات

ان اول ما يطنُّ صوته في اذني في كل صباح هو (آلة) المنبه، فهو يناديني فألي النداء خاضعاً مطيعاً، ثم اقضي كل ما احتاج اليه فاذا الآلات دائماً في طريقي، واخرج الى الطريق فلا يفارقتني ضجيجها. نعم، ان الكثرة الساحقة من ابناء هذا الشعب لا يتصلون بالآلات مثل هذا الاتصال الوثيق، ولكن هنالك قلة تتصل بها اتصالاً يفوق اتصالي بها ولقد ازدادت قواني بفضل الآلات الى حد عجيب، ولو اننا اخذنا صبيّاً ريفيّاً من



ابناء البراري الروسية الذين لم تقع اعينهم على سيارة بعد ، وارسلناه الى نيويورك ، فقد يصبح عالماً في العلوم الطبيعية ، ويستطيع بالميكروفون ، اذا شاء ، ان يسمع صوته لنصف الكرة الارضية ويستطيع بالآلة التي اخترعها اساتذة معهد ماساتشوستس ان يحل اية معادلة جبرية في لحظات قليلة ، ويستطيع بالـ « ونش » ان ينقل مئات الاطنان من موضع الى آخر ولقد وضع صموئيل بطار في عام ١٨٦٢ كتاباً يتخيّل فيه ان اهل مكان ما ، كانوا منعزلين عن باقي العالم وانهم ساروا في اختراع الآلات وصنعها شوطاً كبيراً حتى اصبحت الآلات هي السيدة الناهية واصبحت لا تقتصر على انتاج الآلات بل تنتج العائلات وتطعمهما ، فتخوف القوم وقامت بينهم منازعات حزبية انتهت بانتصار الحزب المعادي للآلات ثم تحطيم جميع الآلات ما عدا الآلات البدوية اللازمة للزراعة

وليس يهمنا باقي القصة ، ولكن دعنا نفترض كما افترض ا. م. فوستر في كتابه « الآلة تقف » ان حزب انصار الآلات هو الذي انتصر . وتصور انك في غرفة سداسية الركان كخلية النحل الملائة بالازرار تضغط على زر الحماة فتنتشق الارض عن حوض من المرمر ، او تضغط على زر المطالعة فاذا بمنضدة رُصّت عليها الكتب الخ ، ولكن وقتاً يجيء بعد ازمان فتأخذ فيه هذه الآلات في التدهور ثم العطل ، فتقطع الحياة من اجسام اولئك الناس . ولكن هذا التنبأ مبالغ فيه ، فيحسن ان نلجأ الى عالم من علماء الاجتماع مثل اوستين فريمان الذي يقول في كتابه « الاضمحلال الاجتماعي واعادة اصلاحه » ان الناس قبل اختراع الآلات الميكانيكية كانوا يشبعون حاجتهم المتزايدة الى الملابس والمأكول والاثاث وغيرها فلما اتى جيمس واط بالآلات ، اخذت هذه الآلات في النمو وفق قوانين خاصة بها وأخذت في الانتاج الزائد عن حاجة الناس فقلبت قانون العرض والطلب ، وبعد ان كان الناس ايام الصناعات البدوية يعملون لامداد المستهلك باسباب الراحة اذا بهم الآن يعملون لابتداع وسائل تمكنهم من بيع ما يصنعون . والمرء متى أهمل العمل ( البدوي ) ، فقد ثقتة بنفسه وانحط خلقه ، ولقد دمرت الآلات كثيراً من القوى الطبيعية وشوّهت جمال الطبيعة دون ان تعنى البتة بالانسان . وازداد تجمّع المعلومات الصناعية من دون أن يصحبه ازدياد في الفطنة والذكاء .

أما في الحرب ، فالآلات وسيلة لازهاق ارواح الجماعات الكبيرة من الناس ولقد أسهب فريمان في بيان التفصيلات الدقيقة ، ولكنه كان قليل الشأن إزاء العلامة الدكتور شبنجار وتنبيهه بحلول وقت يعتمد فيه الانسان الى « ملاشاة الآلة من ذاكرته وابعادها من أجواره ، ليخلق لنفسه عالماً آخر لا وجود فيه لهذه الصناعات الشيطانية »

وهناك طائفة لا تؤمن بالتحسن في المستقبل يعلن احد زعمائها المبرزين فيها هنري ب. فروست انه « في عصر الآلات هذا ، الذي نعيش فيه ، يطل شبح الوحش



الآليّ بتهديد هائل — على طريق الرقي الانساني . ولقد صرنا جميعاً مقسمين الى طوائف ومرتبين ومنظمين بشكل خاص ، وأضحت شخصيتنا كأناس ، تختنق وتتضاءل الى حد عظيم .  
 ويهيب البروفسور صدي محذراً « اذا كانت مثل البشر العليا لا تسرع الى ملائمة العلم بان نموه وازدياده ، فلست آمن على المصير » ، ويتساءل البروفسور هالداين في شيء من الحذر « فهل أطاق البشر من حجر المادة طامة للشعوب متهمة لاسير نحوها والقذف بها في اية لحظة الى حضيض العدم ؟ » اما الفيلسوف رسل فهو في جملته يحكم لصالح العلم ولكنه لا يثق بسدنة بنائه الآليّ إذ يرى « أن أهم المقاصد التي يكتنونها مقاصد منحرفة » . اما فيليب جيبس فهو يبالغنا بالاختيار الصعب بين قتل جميع رجال العلم او قلب آداب الناس وطريقة تفكيرهم من اساسها .  
 ولو اننا بالغنا في الانصات الى هذا النذير لكان من العبث ان نستمر في تجاربنا العلمية . على أن فورد يهيب بنا أن « افسحوا الطريق حراً لكل مجتهد » فالاجتهاد في العمل هو السبيل الى الحرية والمساواة أما الآلة فمسألة عرضية وليس الغرض منها الا تحرير الانسان من العمل اليدوي الخشن كي يتفرغ لتنمية قواه العقلية والروحية ، وعدا ذلك فان الآلة تسير بنا الى الغرض الذي اخفقنا في الوصول اليه بالخطب والدعاية ، أعني به ايجاد ولايات العالم المتحدة ويرى بيرد المؤرخ الاميركي ان حالة العلوم الصناعية والادبية والمعمارية وغيرها ، ليست مما يسوغ لنا ان نتوقع اضمحلال الحضارة الغربية ، ثم إن المعارف الصناعية قد صمت وانتشرت بحيث لو بادت اوربا وامريكا لكان لدى اليابان وحدها من الاسس العلمية ما يكفي لاعادة بناء الحركة الآلية

أما البرت بارسون ساكس فيرى انه « يجب أن نبحت في الآلة عن الشعر والجمال والابدية والخلود ... فن لم يشأ أن يدرك ذلك فهو اعمى بل إنه ميت ، ولا يمت الى عصرنا بصلة » ولكن هناك عدا هذين الفريقين فريقاً ثالثاً يقف موقف المتشكك المتسائل ويكتفي بالملاحظة يقول ديوى الفيلسوف الاميركي « إن مدنييتنا لقوية الشبه بعربة فورد ... تنطلق مسرعة في كل الطرقات بلا غرض تقصده ، غير أنها مملوءة نشاطاً وحيوية » ويسأل و . ف . أوجبورن هل كان البشر في العصر الجليدي الاخير اوفر سعادة لانهم كانوا اقرب الى الطبيعة ؟ هل صنع كل ما نعيش فيه يقتضي أن نكون اقل سعادة ؟ ولكن الضيق والارغام كانا يسودان ذلك العصر وكان هناك كثير مما يخافه الانسان . نحن نعرف ان الانسان حيوان عظيم المقدرة على ملائمة الوسط ، فلماذا لا يستبدل المحراث اليدوي واضرابه بالمحراث الآليّ وامثاله ؟

ولكل من هذه الفرق الثلاثة أنصار كثيرون . وعلمنا قبل الانضمام الى احدها أن نزيد معلوماتنا عن النقط الاساسية في الموضوع



فما هي الآلة ( الماكينة ) بالتحديد وفيما تختلف عن العدة اليدوية ، وما هو القانون الذي تسير عليه ؟ وما هي انواع الآلات وما مقدار احتياجنا اليها واصطدامنا بها بشكل مباشر او غير مباشر ؟ وكيف ابتداء عصر الآلات ؟ وما هو الانتاج بالجملة وهل هو خاضع للمراقبة أم يسبح في فلكه الخاص ؟ وهل تأثيرها التدميري في حالة الحرب مخرب الى حد فظيع ؟ وهل تجعل من العامل المصنعي عبداً حديثاً ؟ فاذا كان الجواب بالايجاب فهل حالته شر من حالة العبيد عند اليونان ؟ وما عدد العبيد الذين تفرض عليهم السخرة في عصر الآلات

واذا كانت الآلات تزيد متوسط العمر فهل هي تفعل ذلك لترفع النسبة المئوية من العجزة ومرضى الاعصاب ؟ وهل ادت الى انحطاط القيمة الروحية للمجتمع ؟ وهل المساواة الاجتماعية أمر واقع فاذا كان الامر كذلك فهل ذلك شر من الحالة الاخرى الموجودة عند الشعوب الطبيعية وهل شر ان يكون المرء كشخصية « بايت <sup>(١)</sup> » من ان يكون عضواً في احدى الطوائف الهندوسية ؟

ليس العثور على اجابة جامعة، على مثل هذه الاسئلة بالامر السهل ، فلا تزال بعض العوامل التي لها شأن في الموضوع معقدة او غامضة . وانما نستطيع توسيع دائرة معارفنا عن الآلة اذا ابتدأنا بالكلام عما تبذل من جهد وما تؤديه من عمل

الاقتصاد في العمل

عند ما بحث زومبارت (الاقتصادي الالماني) حالة الزراعة في غرب اوربا ابان القرن الرابع عشر ، وجد المئات من جماعات اشتراكية تُحجى في السنة ١٦٠ إلى ١٨٠ عيداً تتعطل فيها الاعمال . وعند ما بحثوا حالة المدن الاميركية سنة ١٩٢٥ وجدوا شعباً من العمال تتناوب حالتهم بين العمل المضني والعطلة المهلكة . ولقد كان القرن الرابع عشر يستعمل نفس الآلات التي كان الرومان والمصريون القدماء يستعملونها . اما المدن المتوسطة الاتساع « ميدلتون » فتستعمل شتى الآلات المقتصدة للعمل ، ومع ذلك فقد انقلبت الآية فأصبحت زيادة الآلات تؤدي إلى تقليل أيام الراحة . ولنا ان نعيد السؤال الذي كان يلقيه على نفسه جون ستيوارت ميل منذ ٥٠ عاماً : « ما مقدار العمل الذي تقتصده حقاً تلك الآلات المقتصدة للعمل ؟ » أنها تسبب طرد عدد كبير من العمال ، فما هو الحد الذي يمكننا عنده ان نعتبر العطل مقياساً للرقى الاجتماعي ؟ ان الاقتصاد الحقيقي في العمل لا يصح ان يعبر عنه ( أى ان تظهر آثاره ) في شكل مأساة وضيق ، بل يجب ان يكون سبباً لزيادة الراحة والسلام والطمأنينة وفرصة للتنفس الحر ومنشأ لفترة راحة ابان تدوير طاحون الحياة . ولكن المدينة « ميدلتون » لا تعرف فترة للراحة بل ينشد أهلها الراحة عبثاً منذ القرن الرابع عشر

(١) بطل رواية للروائي الاميركي سنكار لوس يمثل الاكباب على العمل لجمع المال من دون ان يقيم للعامل الروحية وزناً ما



هنالك بضعة أسباب يمكن إيرادها في الرد على ستيوارت ميل ، منها ان مطالب الاهلين قد برزت اختراعاتهم — وذلك بغض النظر عن النفر المترف المولع بجمع منتجات العمل — ولذلك عجزت الآلات عن ان تكفيهم مؤونتهم . ولنضرب السيارة مثلاً ، فهي في حد نفسها آلة مقتصدة للعمل ، أعني إذا استعملت في ذلك الغرض ، ولكن ثلثا مستهلكي السيارات يستعملونها في أمور لم يكونوا ليعملوها لو لم تكن عندهم السيارة ، فهم يسافرون ويتنزهون ويتبادلون الزيارات ويقطنون في الجهات الخلوية . نعم ان في استعمال السيارات لهذه الاغراض راحة للمتعاملين ولكن ليس فيه اقتصاد للعمل ، بل ان هذا الحيوان المنزلي الجديد يحتاج من العلف (البزبن) والتخزين ( في الجراج ) والعناية والترميم والتسيير وغيرها ، الشيء الكثير

فقد وصل عدد المستخدمين المباشرين وغير المباشرين في صناعة السيارات وما يتبعها (بيع واصلاح وتأمين وانشاء طرق الخ) في سنة ١٩٢٨ في الولايات المتحدة الى ٣٧٣٢٠٠٠ نفس ، ومعنى ذلك ان الشعب يشتغل في السنة مليار يوم من أيام العمل بسبب السيارات ، وفي ذلك غالباً زيادة للعمل بدلاً من الاقتصاد فيه

وما قلناه عن السيارات نقوله عن الراديو والسينما والفونوغراف وصمغ المضغ (الببان وهو كثير الشيوع في امريكا) والسجاير وادوات التجميل ، بل اني ليخيل الي أحياناً اني قد استطيع ان اقول ذلك عن التليفون ايضاً

على ان الاقتصاد قد حدث بشكل محسوس فيما يتعلق بالضروريات كالأكل والمسكن والملبس ، وذلك ما سمح لنا بالوقت اللازم لزيادة الكماليات ، أو — اذا شئت — الضروريات الجديدة . خير لنا ان نقول أننا نمتلك الآلات لأغراض جمة من ان نزعم اننا نمتلكها لمجرد الاقتصاد في العمل . ولكن ، هل هذه الاغراض تساوي ما يضحى به من أجلها ؟ الا تكون المدينة «ميدلتون» أسعد وأهنأ لو اقتصر يوم العمل على خمس ساعات وقلت في مقابل ذلك أدوات التجميل وأفلام السينما والمقاعد الوثيرة وخزانات التبريد الكهربائية ؟

\*\*\*

وهناك ضريبة ثانية وهي ان التخصيص في إدارة الآلات في الوقت الحاضر يقتضي تشييد أبنية ضخمة للمصانع ومكاتب ادارتها في حين أن الصناع كانوا فيما مضى يعملون في منازلهم او حقولهم ولا يحتاجون الى اكثر من سقف يظللهم . ولا يفوتنا أن التحسين المستمر في الآلات يجعل هذه الابنية قديمة فنضطر الى تجديد بنائها كل عشر سنوات مثلاً

والامر الثالث يتعلق بتنظيم المدن الكبيرة ، فان تقدم الآلات وارتقاء الطب قد جعلنا نخطط المدن الكبيرة ممكنة ولكن من وجهة العمل الانساني عمل من اعمال الترف ويكفي لمعرفة ذلك أن نلقي نظرة على ما يباطن الارض من انابيب المياه والغاز والمجاري واسلاك التليفون



والتلغراف ، وما تقتضيه من وضع وصيانة وتقوية ، ثم اذكر ما يضيح من الجهد في هدم المباني وإعادة بنائها كلما ارتفعت قيمة الارض . ثم هناك المبالغة في المضاربة بالاراضي ، وقد شاهدت ذلك على اقصى في فلوريدا ، حيث استقدم اليها سنة ١٩٢٥ جيش من المهندسين والعمال ، أخذوا يحفرون ويشيدون ، ثم تذهب الآن الى تلك الانحاء فلا تجد الا قفراً وخراباً وترى هنالك آلة بخارية لدك الارض ، قد علاها الصدا فظلت هناك رافعة ذراعها كلها شاهد القبر والجرم الخامس هو المصنع نفسه فهناك كثير من البضائع لا ندري مقدار ما اقتصد في صنعها من العمل وقد كتب رالف بورسودي الخبير في الاقتصاد السياسي انه يصنع في منزله حاجيات كثيرة ( كالخضارات والفواكه المحفوظة ) بنفقات ضئيلة جداً لا تتناسب ( حتى بعد اضافة اجر العمل ) مع الاثمان التي يشتري بها مثيلتها من الحوانيت . ويمكننا ان نلاحظ صحة ذلك فيما يختص بكثير من الاطعمة والمواد الكيميائية البسيطة كالشمع والزيوت والاسمدة والمواد الخاصة بالعناية بالجسم ، فان الآلة بتركيز منتجاتها في المصنع وما يتطلبه ذلك من نفقات البيع والارسال قد بذرت اكثر مما اقتصدت

\*\*\*

ولنفكر بعد ذلك في الابعاد الهائلة التي تجلب منها المواد الخام والتي نرسل اليها المصنوعات التامة . فاذا افترضنا ان طائفة من شركات الصابون تريد تمويل البلاد من مركز معين ( كالعاصمة مثلاً ) مع قيام كل منها بالاعلان عن نفسها بوسائل حجة ، ومع احتفاظ كل منها بتنظيم وسائل خاصة بالبيع نجد ان ذلك كله يلتهم كل المتوفرات التي اقتصدها المصنع حتى ليصبح المصنع الصغير الذي يمون صاحبه وحده او مع جيرانه ومحاوريه ، يصبح وحدة اكثر اقتصاداً من المعمل الكبير . ومن المفهوم ان الآلة لا تحمل تبعه ذلك وانما سوء ادارتنا لها ، وليس من الصعب ان نبني المصانع الاقتصادية على مقربة من منابع المواد الخام حيث نحصل على التيار الكهربائي بالبخس الاثمان ، فنمون الجهات المجاورة ببضائع لها من رخص الاثمان ما لا يستطيع الذين ينتجون لانفسهم ان يجاروه . وليس شك في ان العمل الآلي يفوق العمل اليدوي ولكن هذا التفوق لا يكون دائماً عظيماً

على اننا يجب ان « نراعي جميع الحقائق » عند النظر في الاحصائيات ، فقد زعم فورد ان ١٠ جرارات من سيارات الحرث قد استغرقت ١١ يوماً لحرث الف فدان في ارمينيا وهو عمل كان يقوم به ٥٠٠ رجل والفر في نفس المدة ، فاذا تركنا الثيران جانباً واعتبرنا ان السيارة تحتاج الى سائق واحد ، تصور البعض ان الاقتصاد يبلغ ١ : ٥٠ . ولكننا ننسى العمل اللازم لاجتماع المواد الخام ، فصنع السيارات فبيعها فاصلاحها وما يتخلل ذلك من العمليات المختلفة وهي حلقات مختلفة من نفس السلسلة ينساها المتفائلون او يتغاضون عنها فيحصلون على نتائج زائفة



وقد أورد جسه سراج مثلاً بديعاً، فقد كان أحد أصحاب المصانع الصغيرة ينتج مقابض الابواب من النحاس الأصفر وكان ينتج كل يوم ٢٠ مقبضاً بنفقة ريال للمقبض الواحد ويبيعها بريالين فاشترت إحدى شركات المضاربة المصنع وجعلت المقابض من الهب فنقصت نفقات إنتاجها إلى نصف ريال ، ونمت الإدارة ومحال البيع وغير ذلك مما أدى إلى ارتفاع ثمن المقبض إلى ٤ ريالات فأعرض الجمهور عنها وساء مصيرها ، وأذن فقد كان الإنتاج الآلي هنا « إذا راعينا جميع الحقائق » مضاعفاً للثمن

\*\*\*

وقد كتب أحد أصحاب المصانع في مجلة « أتلانتيك الشهرية » أنه وجد أنه كان في سنة ١٩٢٦ ينتج وحدة بضائعه ( وقد حاذر أن يقول لنا ما هي ) في ٤٠ دقيقة ، فأصبح بعد تحسين العمل في سنة ١٩٢٨ ينتجها في ٢٠ دقيقة فقط ولكن التحسين الذي أجراه منافسوه في بضائعهم اضطره إلى الاسراف في نفقات البيع والاعلان حتى تضاعف الثمن . وقد علق الرجل على ذلك بقوله إن الوقت أزد لي عمل المرء في منزله معظم ما يحتاج إليه . ولست أوافق على ذلك بالطبع ، ولكنني أذرف دمعاً على كل رجل من رجال الأعمال ترهقه نفقات الإدارة التي تقتضيها المنافسة ، فتقتضي عليه

فالسيرة التي تباع بـ ٥٠٠ جنيه لا تكلف من النفقات المباشرة سوى ٥٠ جنيهًا بينما ينفق على الشؤون الخاصة ببيعها ٢٠٠ جنيه ، وهناك جزء معين من اجزاء السيارات يحوي من العمل المباشر ما قيمته ٧ ½ قروش يشتريها صاحب الحانوت بجنيه واحد ويدفع فيه المستهلك خمسة جنيهات ، وهكذا يترد ازدياد أثمان الآلات كلما تحركت في سبيل البيع كما يترد ازدياد سرعتها بمجهود بسيط أثناء العمل

ومجمل القول أن الصناعة الحديثة لا تقتصد في العمل إلا من ناحية واحدة ، وهي أقل النواحي شأنًا ، ثم تأخذ ما تقتصد في هذا القسم من أقسامها لتلقيه من النافذة

### حرب الساعتين القادمة

هاجم « جيش الشمال » لندن في ١٣ أغسطس ١٩٢٨ ، فانقضت ٧٥ طائرة على المدينة ، تحمل كل منها ٥٠٠ رطل من القنابل . وقد تصدت لها طائرات الدفاع ، وهب عدد عديد من المناطيد تكوّن منطقة حماية حول المدينة ، وأصلت بطائرات مدافع الطيران ، طائرات العدو ناراَ حامية ، وذبت القوات المختلفة عن المدينة بكل الطرق الممكنة ، فلم يغن كل ذلك عنها شيئاً وأصابت القنابل أهدافها من المباني الحربية والمصانع المهمة التي تزود المدينة بالماء والنور وغيرها ، ثم عادت الطائرات المهاجمة إلى أوكارها في الشمال بدون خسائر



القيت هذه القنابل من ارتفاع ٥٠٠٠ متر ، فأصابت الاهداف المقصودة ، بكل إحكام .  
فلو انها كانت محشوة بثاني فينيل كلور الزرنيخ لأبادت نصف سكان المدينة ولو ضوعف عدد  
الطائرات لتضاعف الاثر . نعم ، ان الامر كله لم يكن الا مناورة ، ولكنها اقنعت الخبراء  
الحرييين ان وسائل الدفاع كلها عديمة الجدوى في مثل هذه الحالة ، فما بالك لو بلغ عدد الطائرات  
المهاجمة ٥٠٠ وكان قائدوها طيارين حربيين محنكين .

\*\*\*

ان فرنسا تستطيع الآن بأمر تذييعه بالراديو ، ان تحرك للقتال ٤٠٠٠ طائرة ، وفي استطاعة  
سرب واحد منها ان يلتقي على أهداف العدو ١٢٠ طناً من القنابل في هجمة واحدة ، بينما كان  
الحد الأقصى لالتقاء القنابل إبان الحرب العظمى لا يزيد عن ١٢ طناً في الشهر . مع العلم ان  
خمساً من طائرات ما قبل الحرب كانت كافية لبعثرة الجيش التركي الزاحف على فلسطين . وقد  
أجرت المانيا تجاربها بطائرات لا تسمعها اذن ولا تراها عين . وتستطيع طائرات ريبون  
البريطانية ان تزيد سرعتها الى ٢٥٠ كيلومتراً في الساعة ، وان ترتفع عمودياً . وان قذيفة  
واحدة مما تلقيه الطائرات لتذهب بأكبر المراكب الحربية إلى قاع البحار . وقد تحدث المستر  
كنورثي عضو مجلس العموم الانجليزي عن قنبلة وزنها ٤٣٠٠ رطل ، تذر عند القائها على  
الارض ١٠٠٠ متر مكعب من الرمال ، فلو القيت على بيكاديلي بلندن لنسفت الشارع بأكمله ، وقد  
تنبأ النائب المذكور باختراع طائرات تطير بسرعة ٥٠٠ كيلومتر في الساعة ، وأخرى تطير  
وحدها بأوامر تتلقاها بالراديو من الارض وتلقي قنابلها حين تسلط عليها اشارة لاسلكية خاصة  
وهناك على الاقل نوعان من الغازات السامة لا يفيد أي نوع من الكمامات في الوقاية منها ،  
وهناك غاز مهبج يرغم جنود العدو على القاء أقنعتهم فتتملى خياشيمهم بالغازات السامة التي  
تطلق عليهم في نفس الوقت . ومن السهل تعبئة قذائف المدافع بجراثيم الأمراض وارسالها  
على بلاد العدو تحصد اهلها حصداً

ولئن قامت الحرب فالكلمة الاخيرة لمن يتكلم أولاً . ففي مكنته ان يرسل الف طائرة على  
٣٠٠ كيلومتر مربع فتشعلها سعيراً في ساعة واحدة أو اثنتين ، تمحو ابانها مدناً شتى من خريطة  
البلاد المعمورة . وليس هناك من العادات المرعية أو الضمانات واشباهها ما يمنع شعباً قوياً  
من استخدام أمضى سلاح معروض عليه للتغلب في الكفاح . على ان أمضى الاسلحة التي تمتلك  
الدول العظمى منها مقادير كبيرة ، هي آلة تسير بسرعة هائلة حاملة خليطاً من الازوت والاكسجين  
فتعصف بما أمامها من السفن الحربية والحصون والمدافع والدبابات وغيرها ، الا الغواصات اذا  
فاصت إلى اكثر من ٣٠ متراً تحت سطح الماء . ولكن الغواصات وسيلة كثيرة النفقات



فالعواصة الصالحة للاستعمال ثمنها عشرات الآلاف من الجنيهات ، وتحتاج في ادارتها الى ٣٠ رجلاً ولا تزيد سرعتها تحت سطح الماء عن ٢٠ ميلاً بحرياً في الساعة . أما الطائرة الجيدة فثمنها الف جنيه وفي استطاعة رجل واحد ان يديرها وان يقطع بها ٣٠٠ كيلومتر في الساعة وان يصيب الهدف بقنابله تماماً . ولو انني وزير حربية وليس عندي أسهم من شركات صناعة النولاذ لو فرت على شعبي الضرائب الكثيرة وعمدت إلى تدمير سفن العدو الحربية من الجو بدلاً من تدميرها من اعماق المياه . ومع ذلك ففي استطاعة العواصات ان تحرّم على سفن العدو مباحرة الساحل ، وفي استطاعة العواصات الكبيرة الحجم ان تطلق على المدن الساحلية انواعاً مختارة من قنابل الغازات السامة ، على الاقل لمدة بضع دقائق حتى تشرع طائرات العدو في مهاجمتها وبجمل القول ان السلاح الاساسي في الحرب القادمة هي الطائرات ، وانما يرجع تفوقها الى انها ذات ثلاثة ابعاد في حين ان وسائل الحرب الاخرى ليس لها الا بعدان . ولما كان الهجوم على سطح الارض يحصل في مكان محدود فن الممكن ايجاد الوسائل لدرئه ، وكلما كبرت قذائف المدافع سمكت الألواح المدرعة ( للحصون أو السفن ) . أما السلاح ذو الابعاد الثلاثة فهو الذي لا عاصم منه ( وقد اقترح أحد العباقرة ان تشدّ حول المدن اوتاراً تشبه اوتار البيانو تتدلى من المناطيد فتقع فيها طائرات العدو . وهي فكرة يستحق قائلها جائزة في مسابقات النكات ) ومن الممكن من الناحية النظرية ان تحمي المدن بملء مساحات هائلة محيطة بها ، بعدد خيالي من المدافع المقاومة للطائرات ، تطلق قذائفها فيرتد منها على شوارع المدينة سيل من المظلات المدرعة

\*\*\*

وخير وسيلة للدفاع ، هي الهجوم . فحينما تفارق ١٠٠٠ طائرة مدنها لمهاجمة المدن الانجليزية يجب ان تقوم من لندن ١٥٠٠ طائرة لمهاجمة مدن الدولة المعادية ، وبذلك تتدمر مدينتان لا مدينة واحدة

وللولايات المتحدة وروسيا من اتساع مساحتهما ما يجعل القضاء عليهما لا يتم بالسرعة التي ينتهي بها القضاء على غيرها من الدول العظمى ( انجلترا واليابان مجزأهما المكتظة بالاهلين هما اصلاح الاهداف للأبادة ) ولكن سرّباً من الطائرات يبارح تورنتو يستطيع ان يدمر بوسطون وفيلادلفيا وبلتيمور ووشنجنطن وشيكاغو وغيرها ، ولا سيما نيويورك فن السهل تحطيم جسرهما ونفقهما ونسف ابنيتهما ذات الابراج ( ناطحات السحاب ) فتنهار كأنها بيوت من ورق ولست اعرف للمساءلة حلاً ، فقد أصبحت وسائل الحرب عظيمة الخطر في شكلها الحالي ، فضلاً

عصام الدين حفي ناصف

القاهرة

عن تطورها في الغد



# الحرب الكيميائية

لجيبب اسكندر

ناظر القسم الثانوي بجامعة القاهرة الاميركية

- ١ -

الكيمياء من اهم العلوم التي يستخدمها الانسان في حياته العملية المتعددة النواحي . فهي تؤدي خدمات حيوية للتجارة والصناعة والزراعة والطب وكافة اعمال الانسان . وفي اوقات الحرب هي السيد المتسلط على جميع وسائل الحروب من سيوف ورماح وبنادق ومدافع وبارود ومفرقات وغازات سامة وكل ما يتبعها من ذخائر ووسائل نقل — كل هذه جميعاً كيميائية من اول صنعها حتى وقت نفاذها . وسنجعل كلامنا في هذا المقال مقتصرأ على استخدام الكيمياء في ناحية واحدة من نواحي الحرب هي الحرب الكيميائية ويطلقون عليها خطأ اسم حرب الغازات ان الاسم « حرب الغازات » لا يؤدي المعنى المقصود لأن معظم الغازات او ما يسمونه الغازات السامة التي استخدمت في الحرب العظمى ليست بغازات بل جلها سوائل واجسام صلبة في الاحوال المعتادة . فغاز الخردل الذي يسمونه ملك الغازات السامة سائل يغلي عند الدرجة ٢١٦ م . وحتى الغازات الصميمة التي استخدمت في الحرب لم ترسل الى ميادين القتال في حالتها الغازية بل كانت ترسل في صورة سوائل مضغوطة

والمقصود بكلمة « غاز » في الحرب الكيميائية كل ما يرسل من المواد ( الصلبة او السائلة او الغازية ) الى العدو في الهواء بعد خروجه من الاسطوانات او القنابل المشتملة عليه

للمحة تاريخية : مما لا شك فيه ان استخدام الالمان للغازات السامة لاول مرة في ابريل سنة ١٩١٥ يُعدُّ فاتحة عصر جديد في الحروب الحديثة . ويعتقد الرأي العام في العالم ان هذا العهد او النوع من الحرب من مخترعات الالمان العصرية . الحقيقة غير ذلك . لان استخدام الغازات في القتال قديم العهد . يرجع تاريخه الى ما قبل الميلاد . فالتاريخ يتحدثنا ان الغازات الخائقة قد استخدمت في الحروب القديمة بين اهل اثينا واسبارطة . فقد كان الاسبارطيون في حصارهم بعض البلاد يحرقون عند اسوارها خشباً مشبعاً بالنفط والكبريت بغية خنق المدافعين عنها وبذلك يسهل عليهم فتحها والاستيلاء عليها . كذلك استخدمت الغازات السامة في بعض الحروب في القرون الوسطى ويروي عن رجل يدعى Prester John وهو ملك اسبوي خرافي في القرن الحادي عشر انه صنع تماثيل مجوفة من النحاس وحشاه بالمفرقات والمواد القابلة للالتهاب وأضرم فيها النيران فكانت تنبعث من افواه التماثيل وانفوها



البحر وغازات خائقة احدثت في الاعداء رعباً وألحقت بهم ضرراً لا يستهان به  
وعلى كل فإن معظم دول اوربا كانت تتوقع استخدام الغازات السامة في الحرب قبل نشوب  
الحرب العظمى بزمان طويل والدليل على ذلك ان مؤتمر لاهاي الذي عقد سنة ١٨٩٩ فخره  
مندوبون من قبل دول اوربا وآسيا قرر الامتناع عن استخدام مقذوفات الغاية منها انبعث  
غازات سامة . وقد وقَّعت المانيا على هذا العهد في ٤ سبتمبر سنة ١٩٠٠

﴿ الحملة الغازية الاولى ﴾ واول حملة غازية في الحرب العالمية وقعت في ٢٢ ابريل سنة  
١٩١٥ . قام بها الالمان ضد الحلفاء مستخدمين فيها غاز الكلور . وقد وصلت اخبار تدبير  
هذه الحملة الكيماوية الى الجيش الانجليزي من بعض الالمان الهاربين الذين رووا لهم أن الجيش  
الالمانى قد دبّر خطة لتسميم العدو بسحب من الغاز السام وان الاسطوانات التي تحتوي على  
المواد السامة قد نصبت في الخنادق . ولكن الانجليز تلقوا هذا الخبر بالسخرية ولم يعيروه  
اهتماماً لظنهم ان هذه الفكرة صعبة التنفيذ في ميادين القتال . ثم لاعتقادهم ان الالمان كائنات ما  
كان بطشهم وحبهم للنصر لا ينفقون عهد لاهاي ولا يخالفون سنن الحرب الانسانية التي وقعوا عليها .  
ولكن خاب ظنهم فالحرب لا تعرف عهداً وانما هي خدعة . وفي عصر ٢٢ ابريل سنة ١٩١٥  
فاجأ الالمان الحلفاء باول حملة غازية . اختاروا لها المنطقة الشمالية من الايبرس عند ملتقى  
الصفوف الانجليزية بالصفوف الفرنسية . ولايستطيع احد من الناس ان يصور لنا ما احدثته  
هذه المفاجأة من الرعب والاثّر . لان الرجال الذين يعلمون ذلك جيداً وفي استطاعتهم وصف  
الحقيقة كما حدثت قد ماتوا جميعاً

في ذلك اليوم صعدت من الارض فجأة سحب من غاز اصفر ضارب الى الخضرة ساقها  
الريح نحو الحلفاء . فانتشرت في طريقها متخللة كل حفرة وخندق . فلما رآها جنود الحلفاء  
استولى عليهم العجب ولما دنت منهم استحال العجب خوفاً . ولما غمرتهم تحوّل الخوف المساء  
فالقوا سلاحهم وولوا الادبار طلباً للتنفس . ولكن عبثاً حاولوا الافلات من تلك السحب التي  
تعقبهم ولم يمض نصف ساعة حتى سقط ٨٠ ٪ منهم . فتقدم الالمان واحتلوا الصفوف  
الامامية ووجدوها ملاءى بالموتى . وقد صبغت وجوههم والتوت اجسامهم وامتلأت افواههم  
بالدم والرغو اللذين سالا من رئائهم المتفجرة مما ينبت بهول الميته التي لقيها هؤلاء القوم  
﴿ الشروط التي يجب توافرها في الغاز الحربي ﴾ وقد وقع اختيار الالمان على الكلور  
في الحملة الاولى لان فيه تتوافر جميع الشروط اللازمة للغاز الحربي السام . واهم هذه الشروط هي :-

اولاً — يجب ان يكون الغاز او المادة سامة جداً اذا وجدت في الهواء بمقادير قليلة  
ثانياً — ان تكون رخيصة يمكن صنع مقادير كبيرة منها بعمليات سهلة  
ثالثاً — ان تكون سهلة الانضغاط والتحول الى سائل واذا خفف الضغط عنها تحولت الى بخار واغاز



رابعاً — ان تكون ثابتة لا تتأثر برطوبة الهواء او بالمواد الكيميائية الاخرى حتى يصعب تغييرها وافساد فعلها

خامساً — ان تكون اثقل من الهواء حتى لا تتبدد بسهولة في طبقات الهواء العليا ومعظم هذه الخواص تتوافر في غاز الكلور الذي وقع عليه الخيار اولاً . فهو غازاً جديداً . فاذا عرض حيوان ( كلب ) للهواء الذي يحتوي الترم منه على ٢٥ ملليجرام من الكلور مات بعد ٣٠ دقيقة . ثم ان مقادير وافرة منه تحضّر بعمليات سهلة وذلك بحل ملح الطعام بالكهربائية وقد كان يباع قبل الحرب لاغراض صناعية في اسطوانات حديدية بقرش واحد للرطل . ثم انه سهل الاسالة يكفي لاسالته ضغط يساوي ١٦٥ جو عند الدرجة ٠ واذا برّد اسيل بضغط اقل . واذا خفف عنه الضغط تبخر واستحال غازاً اكثف من الهواء مرتين ونصف مرة . ولذا في استطاعته ان يسير مسافات بعيدة قبل ان يتبدد بانتشاره في الجو وقد استعمله الالمان بأن ملأوا اسطوانات بالسائل المضغوط وجعلوا بين الاسطوانة والاخر ذراعاً ووصاوها بأنايب مرتفعة ومتجهة نحو العدو . فلما هبت الريح فتحوها فخرج منها غاز بشدة . ولا عيب فيه غير انه عنصر نشط يتحد مع كثير من المواد ويمكن اتقاء فعله بطرق بسيطة كما فعل الانجليز والفرنسيون في الايام التي تلت الحملة الاولى . فهو يتفاعل مع الهيبوكلورور الصوديوم . وفي استطاعة الهيبوكلورور تحويل مقادير كبيرة من الكلور . لذلك استعمله ناجحاً في عمل الكمات البسيطة الاولى وهي عبارة عن قطعة من القماش مشربة بهيبوكلورور تربط على الانف والتم

ولا يخفى ان اتجاه الغاز يتغير باتجاه الريح لذلك عدل الالمان عن استعمال الكلور الهاد وادخلوه في مركبات كيميائية سائلة او فعلا ما هو اسهل من ذلك فأسالوه وافرغوا السوائل في قنابل يطلقونها على صفوف الاعداء حيث تنفجر فتخرج منها المواد السامة او دقائق صغيرة تملأ الفضاء . وقد وجد ان ٩٥ ٪ من الغازات التي استعملت في الحرب يدخل في صناعتها مباشرة او غير مباشرة غاز الكلور الذي استخدم صرفاً في الحملة الاولى

غاز الفوسجين \* الغاز الثاني الجديد استعمل في ديسمبر ١٩١٥ ويسمى الفوسجين مركب كيميائي كان معروفاً قبل الحرب لانه كان يستخدم في الصناعة لتجهيز بعض الاموال والفوسجين سائل يغلي عند الدرجة ٨ م . وهو اشد سُمّاً من الكلور . فبينما يموت الكلب في الذي يحتوي الترم منه على ٢٥ ملليجرام من الكلور بعد تعرضه له ٣٠ دقيقة اذا يموت في الذي يحتوي الترم منه على ٣ ملليجرام بعد تعرضه له نفس الزمن اي انه اثقل من الكلور في



وفي الصناعة لا يستخدمون الضوء في تركيب هذا الغاز بل يمرّون مخلوط الغازين في صناديق مشحونة بالفحم البلدي الذي يساعد على اتحادهما . وليس للفوسجين رائحة كريهة بل تشبه رائحة الخبطة الخضراء . ولا يشعر الانسان به حتى يستنشق منه قدراً مميتاً . واستنشاق القليل منه يضعف القلب ويؤثر فيه تأثيراً يدوم اياماً طويلة واذا اجهد المرء نفسه عقب ذلك فإنه يموت والفوسجين قليل النشاط الكيميائي . لذلك تصعب الوقاية منه . غير انه يتحلل بمادة تدعى Urotrodine كانت تستخدم في عمل الكمات الاولى التي تتركب من قطعة من القماش مشربة بمخلوط منه ومن الهيبو وكربونات الصوديوم والجلسرين

الكالوروبكرين في ربيع سنة ١٩١٧ استعمل الالمان غازاً جديداً غير سام كثيراً لكنه يسبب دوارة وقيئاً ويثير في العيون دموعاً فيضطر الجندي الى رفع كمامة الغاز وعندئذ يعرض نفسه لفعل غاز آخر كالفوسجين يطلقه العدو في نفس الوقت . وهذا الغاز الجديد يصعب حجزه كلية بكمات الغاز السام . واسمه كالوروبكرين Chloropierin وهو مركب كان معروفاً قبل الحرب مثل الكالور والفوسجين واول من حضّره كيميائي انجليزي يدعى Stenhouse سنة ١٨٤٨ من تفاعل الحامض البكريك ومسحوق ازالة الالوان ويحضر الكالوروبكرين في الصناعة بامرار البخار في مخلوط من الحامض البكريك ومسحوق ازالة الالوان فيتكوّن الكالوروبكرين ويخرج مع البخار . وهو سائل عديم اللون كالزيت لا يذوب في الماء . يغلي عند الدرجة ١١٢ م . وهو مركب ثابت لا يتحلل بالماء أو الحوامض أو القلويات الخفيفة . ومن حسن الحظ قد وجد ان الفحم المستعمل في كمات الغاز السام يمتص هذا الغاز والعين حساسة جداً تدرك وجود هذا الغاز في الهواء بسرعة فائقة مهما كان مقداره قليلاً . فالهواء الذي يحتوي على ٢٥ جزء من الغاز في كل مليون جزء من الهواء يجعل العين تغمض مضطربة بعد ١٨ ثانية والذي يحتوي على ٢٠ جزءاً من المليون يجعلها تغمض بعد ٤ ثوان فقط

غاز الخردل نتقل الآن إلى سيّد الغازات السامة وهو مادة جديدة لها اسماء كثيرة . يسميها الانجليز غاز الخردل أو الغاز المحرق لشدة تأثيره في الجلد . ويسميها الفرنسيون الايبريت لانها استعملت أولاً في منطقة الايبر . ويسميها الالمان الصليب الاصفر لانهم كانوا يفرغونها في قنابل عليها علامة الصليب الاصفر تمييزاً لها عن القنابل الاخرى ويسميها الكيميائيون dichlorethyl sulphide اكتشف هذا المركب كيميائي انجليزي سنة ١٨٦٠ ثم كيميائي الماني يدعى فكتور ماير سنة ١٨٨٦ ولكنه وجد ان دراسته لا تخلو من خطر فاهمله ومن ذلك الوقت اهمل هذا المركب في قواميس الكيمياء وظل في زوايا الاهمال حتى استخدمه الالمان في الحرب العظمى . وفي يولييه سنة ١٩١٧ امطروه على الانجليز ففتك بهم فتكاً ذريعاً . ومن ثم جعل الالمان يعتمدون عليه في الحرب وحذا الحلفاء حذوهم ويقال



ان في هجمة واحدة دامت عشرة ايام اطلق الالمان مليون قنبلة تحتوي على ٢٥٠٠ طن من هذه المادة وغاز الخردل ليس بغاز ثم انه لا يصنع من الخردل بل هو مركب كيماوي يجز من الكحول والكلور والكبريت. وهو سائل يغلي عند الدرجة ٢١٦° م ويتبخر ببطء ويبقى في الخنادق ويختفي في التراب والملابس اياماً طويلة . وكمامات الغاز الخانق لا تقي المرء منه وقاية كافية . لأن الجندي لا بد له ان يخلع الكمامة وقتاً من الاوقات فيهاجه الغاز الذي لا يزال منتظراً . وفي بعض الحالات تضطر الجنود الى لبس الكمامات ١٢ يوماً متتالية ليل نهار . وقد يظهر المكان خالياً من هذا الغاز ولكن عند ما تطلع الشمس وتسخن الارض يتبخر منها هذا السائل ويلقى بملابس الجنود وكماماتهم . وهو سام جداً كغيره من الغازات السابقة . ويمتاز عنها بأنه يلسع الجلد كاللبخار . ويحرق الجسم من الداخل والخارج فيحدث حروقاً مؤلمة اذا اهملت تحولت الى جروح خبيثة تسمم الجسم وتحدث الوفاة فضلاً عن انه يؤثر في الاجزاء الطرية كالعين والانف والحنجرة والرئتين

وأهم مميزاته انه يبقى طويلاً وانه لا يحدث ضرراً في الحال بل يحدث ضرره فيما بعد . فقد يتأخر فعله يومان او ثلاثة ايام في الطقس الدافئ . وفي الطقس البارد لا يبدو خطره الا بعد مرور اسبوع او عشرة ايام وقد يتأخر شهراً او اكثر حتى يدفأ الجو ويتبخر السائل . ويصعب جداً ازالته من الارض والامكنة التي يسقط فيها . فيبقى خطره مدة اسابيع او اشهر وفي بعض الحالات سنة او اكثر

وقد استعمل الالمان مقادير هائلة منه كما اسلفنا لايقاع العرب في نفوس الحلفاء واضعاف الروح المعنوية . ثم لاخلاء المواقع الحربية وتأجيل الهجوم . ويقال ان الالمان في ابريل سنة ١٩١٨ قذفوا بهذا الغاز بلدة فرنسية تدعى Armentieres حتى سال السائل في الشوارع ولم يرغم الانكليز على اخلاء المدينة والهروب فحسب ، بل ان الالمان انقسم لم يستطيعوا دخول هذه المدينة والاستيلاء عليها قبل اسبوعين من اخلائها

ولما كان هذا الغاز يلبث مدة طويلة في الارض يعدونه غاز دفاع . فاذا استعملت منه مقادير كافية في منطقة من المناطق عجز العدو عن احتلالها او عبورها . ثم انه يرغم العدو على اخلاء المواقع الحصينة التي لا يمكن اخذها بالمدافع والقنابل المتفجرة وكذلك يبطل عمل المدفعية القوية التي تمطر العدو بشدة وابلاً من الرصاص والقنابل

غازات اخرى \* علاوة على الغازات الاربعة السابقة اي الكلور والكلوروبكرين والفوسجين وغاز الخردل ، استعملت مواد اخرى كثيرة في الحرب يبلغ عددها ثلاثين غازاً مختلفاً . منها مركبات البروم والزرنيخ والسيانوجين وفيها ما هو اشد فتكاً من الغازات التي وصفناها . منها مسيلات الدموع ومهيجات العطاس فهناك غاز تسمى Phenylcarbylamin Chlorid



يجعل اشجع شجاع في ميدان القتال يبكي ويذرف الدموع مدراراً . وغاز آخر يسمى diphenylchloroarsine يجعله يعطس عطساً مستمراً . فالغرض من قذف هذه الغازات حمل الجنود على رفع الكمامات وعندئذ تقع فريسة الغازات السامة الاخرى التي تقذف معها

تقسيم الغازات الحربية \* لقد قسم الالمان جميع الغازات السامة التي استعملت في القتال الى ثلاثة اقسام سموها

(١) الصليب الاخضر : — ويشتمل على اشد الغازات سمّاً واقلها بقاءً في الجو او في الارض مثل الكلور والفوسجين

(٢) الصليب الاصفر : — الغازات التي تثبت طويلاً في الامكنة او الاشياء التي تسقط عليها مثل الكلور وبكرين

(٣) الصليب الازرق : — ويشتمل على غازات الدموع والعطاس مثل diphenylchloroarsine ولكل منها غاية حربية قد شرحناها عند الكلام على هذه الغازات . والاخير يرسل عادة مع الاثنين الاولين لحمل الجنود على رفع كمامات الغاز السام حتى تقع فريسة لهما

\* كمامات الغاز السام \* نجد في تاريخ الحروب ان آلات الدفاع تسير جنباً لجنب مع آلات الهجوم فكما جدّت آلة للهلاك ظهرت آلة للوقاية . ولم يحسن الانسان يوماً امام خطر جديد يهدده . فلما بدأت حرب الغازات استعمل للوقاية منها كمامات اولية عبارة عن قطع من القماش مبللة بمحولات بعض المواد الكيميائية مثل الهيبو و كربونات الصوديوم والبروتزين والجلسرين وكانت تربط هذه القطع على الفم والانف . ثم اخذت هذه الكمامات تتطور وتتحسن . واصبح لكل امة نوع خاص من الكمامات فلللمان كمامات خاصة وللفرنسيين كمامات خاصة وللانجليز والامريكان كذلك وجميعها لا تختلف في الجوهر كثيراً وان اختلفت في الشكل . وكمامة الغاز اجمالاً تتركب من قطعة تربط على الوجه وتتصل بانبوبة في صندوق صغير مملوء بفحم الخشب المصنوع من جوز الهند مختلطاً بمواد كيميائية كالصودا والجير وبرمنجنات البوتاسيوم واملاح النيكل لامتصاص الغاز السام وافساد فعله . وعند استعمالها تربط هذه الكمامة على الوجه ربطاً جيداً بالصمغ المارن ثم يعقل الانف بمشبك ويؤخذ التنفس من الفم فيمرّ الهواء أولاً في الصندوق حيث يفقد ما به من الغاز السام ثم يمر الى الفم . وعلى بعد خمسة اميال من ميادين القتال يعلق الجنود الكمامات على صدورهم ليكونوا على استعداد تام لاستعمالها عند سماع ناقوس السام المؤذن بالخطر وتستعمل الكمامات لوقاية العين والانف والجهاز التنفسي . اما وقاية الجلد من بعض الغازات كغاز الخردل فتستعمل لها ملابس وقفازات واحذية خاصة تصنع من بعض المشمعات ثم تعالج ببعض المواد الكيميائية وقد يوزع احياناً على الجنود بعض المراهم لدهن الجلد . هذا وهناك كمامات وملابس خاصة لوقاية الخيل والكلاب التي تستخدم في الحرب [ للبحث تمة ]



# غداة الحرب القادمة

نص البرقية التي ارسلها مكاتب المقطم  
من فلادلفيا في ١٣ اغسطس سنة ١٩٤٠

زهقت أمس نفوس ستة ملايين من سكان مدينة نيويورك وضواحيها ، اذ اقبلت على المدينة العظيمة ستمائة طائرة من طيارات « دول الاتفاق » فألقت فوقها ستاراً كثيفاً من غازي « الدايفنل كلوروارسين » و« الكاكوديل ايسوسيانييد » فقتلت كل رجل وسيدة وطفل وحيوان ونبات . ومات مليونان آخران من الناس في الضواحي البعيدة لما هبت الرياح خملت الغازات الخائقة اليها . وفي الانباء العالمية ان ٣٦ مليوناً قتلوا في بلدان العالم المختلفة بهذه الطريقة في العشر الساعات الاخيرة

ان نيويورك ولندن وباريس وكاليه وبروكسل وبرلين وينا اصبحت اليوم مدناً خاوية لا اثر فيها للحياة لأن هجوم الطيارات واطلاق قنابل الغاز عليها امس امات كل سكانها . ذلك ان الحرب اعلنت بين «دول الاتفاق» و«دول الحلفاء» في الساعة السادسة والنصف من صباح امس بعد خمسة ايام من المفاوضة المستمرة حاولت في خلالها حكومات الدول ان تفصل في الخلاف الناشئ عن مسألة «هاربر سايج» وظلت الولايات المتحدة الاميركية محتفظة بحيادها حتى فجر الامس مع ان دول الارض كانت قد انقسمت الى فريقين فأحدهما يعرف بدول الاتفاق والاخر بدول الحلفاء . وكان مجلس التحكيم الدولي في لاهاي قد عهد اليه بالفصل في الامر فأعلنته دول الاتفاق في الساعة الرابعة من صباح الامس انها لاتسلم بحكمه ، فقرّر مجلس الامة الاميركي ان يؤيد حكم المجلس الدولي فشهر الحرب على دول الاتفاق فكانت النتيجة ما رويت . وقد مات كل اولئك على اثر تنفسهم الغازات الخائقة فتمزقت رئاتهم وسقطوا في الشوارع او انكفأوا على مكاتبهم امواتاً

\*\*\*

وقد صحبت الطيار كارسن في طيارته فلبس كل مناقنعا و اقيامن الغاز وحملنا من الاكسجين في زجاجات من الصلب ما يكفيننا تسع ساعات وهبطنا مدينة نيوروك في الساعة السابعة والدقيقة الثامنة والعشرين من هذا الصباح وجسنا خلال شوارع المدينة ومبانيها مدة سبع ساعات فلم نر أثراً للحياة فيها . ولا يزال الهواء مثقلاً بالغاز ولسنا نشك في ان ستة الملايين من السكان الذين كانوا يمشون ويضحكون ويعملون ويتزهون اول امس قد اصبحوا اجساماً هامدة . والجثث على اكتفها في شارع التجارة والمال (وول ستريت) حيث تجدها اكواماً



متراكمة عند مداخل البنايات الشاهقة ولعل الجثث في مكاتب المدينة المالية وامامها في الشوارع لا تقل عن مليون ونصف مليون

والظاهر ان كل هذا وقع فجأة فلم يرد نبأ يشير الى احتمال وقوعه حتى في بورصة نيويورك المتصلة بانحاء العالم بكل وسائل المخاطبات. فالجثث تسد المداخل الى البورصة وهي متراكمة في باحتها الداخلية ، ولكننا ازحنا بعضها من طريقنا ومشينا فوق جثث اناس لم يعلموا ما هو واقع حتى تسرب الغاز الى الباحة من النوافذ والابواب. والظاهر ان احدهم جن جنونه اذ شعر بالغاز يشد الخناق عليه فرفع ذراعيه مستجيراً فتحطم زجاج ساعته فاذا هي واقفة على الساعة ٢٦٥٩ ولما كان سرب الطيارات المهاجمة قد اطلق قنابله الغازية في الساعة ٢٦٥٠ فلمرجح ان كل سكان الطبقات الارضية من حي منهتن قضوا في خلال ١٢ دقيقة بعد اطلاق الغاز

ونستطيع ان نقول على وجه من التدقيق ، من دون مبالغة في التقدير ، ان النظام المالي في الولايات المتحدة ، قد اصبح الآن في خطر. فكل عمال البورصات المختلفة والبنوك ومكاتب السمسرة من المديرين الى السعاة قد قضوا نجبهم ان كل الزعماء بين رجال المال والاعمال قد ماتوا

اننا وجدنا جثة رئيس بورصة نيويورك ملقاة امام مكتبه وقد وضع على انفه منديلاً كأنه يحاول ان يمنع الغاز من التطرق الى خياشيمه ورئتيه. ومات قابضاً على المنديل في محاولته اليأس. اما رده بنك «الفدرال رزرف» غاوية كالتعبور. والغرف المتسعة المفروشة بالطنافس، التي كان يجلس فيها بالامس رجال يسيطرون على حركة الذهب العالمية ، مظلمة قاتمة كأنها اطلال حضارة بائدة. وامام كل مكتب رجل وقد انكفأ عليه ميتاً. وفي اقبية البنك ملايين من الريالات الذهب والورق وليس ثمة من يحرسها فقد ذهب حراسها في سبيل كل حي في نيويورك

\*\*\*

اما في الحي الشرقي فالنار تلتهم الاخضر واليابس. ذلك انه لما سقط الغاز كالغمام الخانق في المصانع ومات العمال تفجرت المراحل وانابيب الغاز المضيء فسرت النار في المباني الخشبية القديمة سريانها في الهشيم فالتهمتها غير مبقية الا على السممت المسلح والصلب. ولا تزال الاله الجراء تغزو ما امامها وبين الفينة والفينة نسمع صوت انفجار جديد. ولا بد من ازالة نحو اربعة ملايين جثة من الشوارع والمباني قبلما تصلح نيويورك للسكن ثانية. ولولا ان النار التهمت جثث مليونين من الموتى في الحي الشرقي لزم تقل ستة ملايين جثة على الاقل

هذه صورة نيويورك الآن — خواء وموات !

\*\*\*

اما قسم التحرير في بناية جريدة «نيويورك تيمس» ، فيبدو لنا مما شاهدناه ان رجاله



ظلموا في عملهم الى النهاية . ذلك انهم عرفوا قبيل غيرهم بالهجوم فاقفلوا النوافذ ، ولكن الغاز مالبث ان تسرب الى غرف التحرير فقفضوا في كراسيهم . وقد عثرنا على برقيتين امام احد المحررين تحتويان على الانباء الاولى عن سرب الطائرات المهاجمة وهذا نص اولاهما

« عثر القسم الشمالي من الاسطول الاميركي في المحيط الاطلنטיكي على بحارة ثلاث سفن من حاملات الطائرات التابعة لاسطول دول الاتفاق . وكانت طيارات الاسطول الاميركي قد شهدتها من علو ١١ الف قدم فلما اقتربت منها رأت البحارة ينزلون من السفن ولم تلبث هذه السفن ان غرقت في اليم . فلما سئل البحارة في ذلك فهم ان الاوامر صدرت لهذه السفن بالاقتراب من نيويورك قدر المستطاع ثم اطلاق طياراتها الستائة المجهزة بقنابل الغاز الخانق » ويعتقد ضباط البحرية الاميركية ان اغراق السفن الحاملة للطائرات غرضه الحيولة دون اسرها . والنسافات الاميركية تبحث الآن عن الاسطول الذي رافق هذه السفن الى حيث وصلت » والظاهر ان امر قائد جيوش الاتفاق صدر الى الطائرات بمهاجمة نيويورك ثم بالطيران الى الفلوات الواسعة غربها حيث يحرق الطيارون طياراتهم ويسلمون انفسهم للاسر »

اما البرقية الثانية فبلاغ رسمي من قيادة الجيوش الاميركية يبين ان وزارة الحربية مستعدة لهجوم طيارات الاتفاق وان نيويورك محصنة اشد التحصين ضدها ، وتشيد خاصة بذكر مدفع خاص لمقاومة الطيارات المهاجمة . ويؤخذ من انباء الحالة الجوية التي عثرنا عليها في مكتب هذه الجريدة ان ضباباً كثيفاً كان يغطي وجه المدينة في الساعة التي حدث فيها الهجوم وهذا الضباب حال دون فعل المدافع الخاصة التي صنعت لمقاومة الطيارات والظاهر ان طيارات الاعداء لم تحمل بالضباب بل اعتمدت على آلاتها فلما دلتها الآلات على انها اصبحت فوق نيويورك رمت قنابلها ومضت في سبيلها

\*\*\*

ولما بدأ الهجوم تقاطر الناس الى الكنائس للضراعة فوجدنا نحو الف وخمسمائة من الاموات في كنيسة ترنتي و ٢٠٠٠ في كاتدرائية القديس پاترك و ١١٠٠ في كنيس عمانوئيل و ٨٠٠ في كنيسة رفرسيد . والموتى الذين وجدناهم في الكنائس كانوا من سلالات وشعوب مختلفة ومعظمهم كان راكعاً يصلي . ودخلنا مستشفى القديس لوقا فوجدنا الجراح ميتاً امام مائدة العمليات والليل عليها ميتاً بفعل الغاز الخانق وكان لا يزال تحت فعل المخدر — الايثر — وفي جناح آخر من المستشفى عثرنا على احد « الترجية » ينظف اذني مريض وطبيباً جالساً وامامه كتاب يقرأ فيه فصلاً في الادرنالين واستعماله في الاطفال بعيد الوضع وانتقلنا الى جامعة كولومبيا فرأينا رئيسها ملقياً صريعاً عند مدخل دار الكتب فيها حيث مكتبة . والظاهر انه احس بمجاهير الطلاب خارجة من مباني الجامعة فخرج ليرى سبب ذلك .



فسقطت في تلك اللحظة احدى قنابل الغاز على بناية مدرسة الحقوق فتشظت واصابته شظية تامة قتلته في الحال

أما فتیان نیویورک فمات معظمهم في المدارس قبيل انصرافهم إلى دورهم . وقد رأيت في احدى المدارس المعلمة ميتة وكأنها كانت قبل هجوم الطائرات تقرأ على تلاميذها — وكلهم دون العاشرة — قصة وطلبت اليهم ان يكتبوها فوجدنا أمام كل منهم ورقة عليها نفس الكلام وكان التلاميذ واحداً وثلاثين تلميذاً . وكان كل تلميذ جالساً مسنداً رأسه بيده ، الا واحداً وكأنه جزع اذ أحس بالغاز في حلقه فنادى المعلمة خفت اليه لتشجعه فأتانا معاً وذراعاها تطوقانه أما القطارات التي تسير في الانفاق تحت الارض ومحطاتها فكانت غاصة بالجثث فلم نستطع ان نزل الى بعضها . وكذلك قطارات السكك الحديدية ومحطاتها وبوجه خاص محطة « غراند سنترال » ومحطة « بنسلفانيا » وهما بمثابة العقدتين العصبيتين الرئيسيتين في خطوط السكك الحديدية الاميركية في الشرق

واذا بقي احدٌ حياً في نیویورک فلعله معتصم بالطبقات العليا في ناطحات السحاب مثل بناية الامبراطورية وبناية كريسار وبناية ولورث وغيرها . إذ يمكن ان الغاز لم يتسرب الى هذه الادوار العالية لانه ثقيل الوزن يهبط الى الارض . وقد حاولت انا وزميلي الطيار ان نصعد إلى بعض هذه الادوار فالفينا المصاعد لا تعمل لان التيار الكهربائي مقطوع وليس من يدير المصاعد وكانت عدتنا من الاكسجين قد اخذت تنفذ فلم نشأ ان نصعد سيراً على الاقدام . وانما نقول اننا صعدنا إلى الدور السابع فالفينا كل ساكن من سكانها ميتاً ثم ان الحديقة الكبيرة المعروفة بسنترال پارک تعلوها مسحة الموت فقد فتك غاز الاعداء بكل حي فيها حتى الاشجار والانجم والاعشاب

\*\*\*

ولما صعدنا إلى طيارتنا لبثنا متقنعين حتى بلغنا إلى علو ٤٠٠٠ قدم خوفاً من الغاز الخانق الذي في الهواء . فلما بدأنا نتنفس الهواء النقي الطلق اخذت من جيبي مسودة مقالة التقطتها في بناية احدى الصحف الكبيرة فاذا موضوعها « العزلة » يقرر فيها كاتبها ان الولايات المتحدة الاميركية حسنة الحظ لبعدها عن مواقع الحروب وانها لذلك في امن من هجوم الاعداء وان قائد الجيش الاميركي المقيم في منطقة نیویورک أنبأ الرئيس بأن الدفاع عن المدينة ضد هجوم الطائرات لا يعوزه شيء . فضحكت في ذات نفسي وقلت « ليس ثمة ما يمكن ان يصد هجوماً من الهواء اذا كان المهاجمون مستعدون لبذل الثمن من مال وارواح . ان النفاً من المدافع وعشرات من الطائرات لا تستطيع ان تصدّ هجوماً جويّاً نظماً على احدث الطرق » ونحن الآن متجهون الى فيلادلفيا وامامي الآلة الكاتبة اطبع بها وصف ما شاهدت



# المنذر بن ماء السماء

## ملك الحيرة

٥١٤ - ٥٦٣ م

بقلم يوسف رزق الله غنيمه وزير مالية العراق سابقاً

لم يرو لنا المؤرخون العرب شيئاً عن اشتراك المنذر بن ماء السماء في الحرب الشعواء التي اثارها على الروم سنة ٥٤٠ م اذ عبر الفرات قرب قرقيسيا وهبط على انطاكية وغزاها ودمرها ونقل سكانها الى العراق الا ان كلاً من الطبري وابن الاثير<sup>(١)</sup> ينقل الينا خبراً نظن له علاقة بهذه الحرب وبملوك الحيرة اللخمين وان احتاج الى تمحيص وتقد من وجوه عديدة واليك خلاصته : كان بين كسرى انوشروان وغطيانوس Justinian ملك الروم هدنة فوقعت فتنة بين رجل من العرب كان غطيانوس ماسكه على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من تخم كان ماسكه كسرى على عمان والبحرين واليامة والطائف وسائر الحجاز يقال له المنذر ابن النعمان. فأغار خالد على المنذر ابن النعمان فقتل من اصحابه مقتلة عظيمة وغنم امواله فكتب كسرى الى غطيانوس يذكره ما بينهما من العهد والصالح ويعلمه ما لقي المنذر من خالد وطلب ان ينصف المنذر ويأمر خالداً ان يعيد اليه ما سلبه منه فلم يحفل به<sup>(٢)</sup>. فغزا كسرى بلاد الروم في سبعين الفاً وكان طريقه على الجزيرة فأخذ مدينة دارا والرها وعبر الى الشام فلك منسج وحلب وانطاكية وفامية وحمص ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدن وسبي اهل انطاكية ونقلهم الى ارض السواد وأمر فبنيت لهم مدينة الى جانب مدينة طيسفون وافتدى غطيانوس المدن الرومية من كسرى . ويقول الطبري ان رومية المدائن كانت تشبه كل الشبه انطاكية حتى ان الاسرى الانطاكيين دخلوا رومية المدائن ووجد كل واحد بيته بدون صعوبة كأنهم في انطاكية ولم يخرجوا منها

ان هذه الرواية توافق الاحوال التاريخية كلها الا ان امراً واحداً يتطلب الحل . لا غريب في امر تولية المناذرة الحكم في عمان والبحرين واليامة والطائف بعد زوال ملك كندة من آل آكل المرار. قال المستشرق السرتشارلس ليل<sup>(٣)</sup> : ولما انقضى امر كندة وسبع ملوك الحيرة نطق مملكتهم فشملت النصف الشمالي من جزيرة العرب والجانب الشرقي منها مما يلي خليج

(١) الطبري ٢ : ١٢١ والكامل ٢ : ١٢١ (٢) وجاء ذكر هذه الواقعة في الشاهنامة للفردوسي في الترجمة العربية ١٢٦٦ : ١٢٩ (٣) في خطبة القاها في مؤتمر الدروس التاريخية بعنوان تاريخ العرب من شعرهم القديم ونشرها المقتطف في عدد فبراير ١٩١٤ ص ١٦٣ - ١٦٩



فارس ويكثر ذكر المنذر الثالث وابنه عمرو بن هند في اشعار ذلك العصر « . ونعلم ايضاً ان المنافسة بين الغساسنة والمناذرة على عرب الشمال كانت متأصلة في النفوس منذ حكم الكنديين وكان كل من الغسانيين والمناذرة ينازعون الكنديين هذا الحكم <sup>(١)</sup> . ولكن المشكل الوحيد الذي يقوم امامنا في رواية الطبري وابن الاثير قولهما المنذر بن النعمان ونحن نعلم ان ملك الحيرة كان المنذر بن امرئ القيس الثالث وهو المعروف بالمنذر بن ماء السماء وليس المنذر ابن النعمان . فيحل هذا المشكل رأيان اولهما ان المؤرخين الطبري وابن الاثير ذكرا سهواً المنذر بن النعمان بدل المنذر بن امرئ القيس وقد اشار الى هذا السهو كليان هوارث اذ قال يسميه بعضهم غلطاً ابن امرئ القيس البدء وبعضهم ابن النعمان <sup>(٢)</sup> . والرأي الثاني ان عميل كسرى في عمان والبحرين واليمامة والطائف كان احد اللخميين المسمى المنذر بن النعمان على ما رواه المؤرخون العرب ومن حوادث المنذر بن ماء السماء المشهورة عند العرب انه كان له نديمان من بني اسد وهما خالد بن فضلة وقيل ابن المضلل وعمر بن مسعود فشملوا فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه فأمر وهو سكران خفير لهما خفيرتان في ظهر الكوفة ودفعهما حينئذ فلما اصبح استدعاهما فاخبر بالذي امضاه فيهما فغمه ذلك وقصد حفرتيهما وامر ببناء طربالين عليهما وهما صومعتان وقال ما انا بملك ان خالف الناس امرئ <sup>(٣)</sup> . وسن الا يمر بهما احد الا سجد لهما وكان اذا سن الملك منهم سنة توارثوها وأحيوا ذكرها وجعلوها عليهم حكماً <sup>(٤)</sup> وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ويغري بدمه الطربالين ولبت بذلك برهة من دهره وسمى احد اليومين يوم البؤس وهو اليوم الذي يقتل فيه ما ظهر له من انسان وغيره وسمى الآخر يوم النعيم يحسن فيه الى كل من يلتقي من الناس ويحملهم ويخلع عليهم فخرج يوماً من ايام بؤسه فطلع عليه عبيد بن الابرص الشاعر الاسدي وقد جاء ممتدحاً فلما نظر اليه قال هلاً كان الذبح لغيرك يا عبيد فقال عبيد انتك بحان رجلاه <sup>(٥)</sup> وبعد كلام طويل بين المنذر وعبيد نسب العرب اليه منشأ امثال كثيرة في لغة الضاد . وبعد ان انشد عبيد بعض الاشعار قال له المنذر يا عبيد لا بد من الموت وقد علمت ان النعمان <sup>(٦)</sup> ابني لو عرض لي يوم بؤسي لم اجد بُدّاً من ان اذبحه فلما ان كانت لك وكنت لها فاختر احدي ثلاث خلال ان شئت فصدتك من الاكل وان شئت من الابل وان شئت من الوريد فقال عبيد ابيت اللعن <sup>(٧)</sup> ثلاث خلال كساحيات واردها شر وارد وحاديها شر حاد ومعاديها شر معاد فلا خير فيها لمرقاد

(١) زيدان: العرب قبل الاسلام ١ : ٢٠٧ (٢) ٦٧ : Huart : His. des Arabes I . وبدعوه الطبري ٨٦:٢ المنذر بن النعمان الاكبر وأمه ماء السماء وفي ٩٤:٢ قال نقلا عن ابن هشام وملك بعد ابني يعفر بن علقمة المنذر بن امرئ القيس البدء وهو ذو القرنين وأمه ماء السماء (٣) معجم البلدان مادة « غري » (٤) المسعودي مروج الذهب ٢٥٢:٦ تدل هذه الرواية على ان اوامر الملوك عندهم شرائع واجبة الطاعة (٥) راجع مجمع الامثال للميداني ١٠٧:١ (٦) ان صح هذا القول كان للمنذر بن ماء السماء ابن اسمه النعمان (٧) تحية الملوك ومعناها لا تأت بعمل يستوجب اللوم واللعن



ان كنت لاحالة قاتلي فاسقني الحمر حتى اذا ماتت لها مفاصلي وذهلت منها دواهي فشأنك وماتريد  
من مقاتلي فاستدعى له المنذر الحمر فشرب فلما اخذت منه وطابت نفسه وقدمه المنذر انشأ يقول:

وخيري ذو البؤس في يوم بؤسه      خلا لا ارى في كلها الموت قد برق  
كما خيرت عاد من الدهر مرة      سحائب ما فيها لذي خيرة انق  
وسحائب ربح لم توكل ببلدة      فتركها الا كما ليلة الطلق

ثم امر به المنذر ففصد حتى نزع دمه فلما مات غرّى بدمه الغريين

وبقي المنذر<sup>(١)</sup> على تلك السنة حتى مرّ به في بعض ايام البؤس حنظلة بن ابي عفر فاستمهل  
في قتله سنة بكفالة شريك بن عمرو فامهله المنذر . ورجع حنظلة بعد سنة في آخر نهار الاجل  
المضروب لينقذ كفيله شريكاً من القتل فراع المنذر هذا الوفاء وسأل حنظلة عن سببه فاجابه  
حنظلة ابرّ بوعده لانه كان على دين النصرانية الذي يأمر بالوفاء . فاثّر هذا الكلام في المنذر  
واكبر هذه الخلة الشريفة فتنصّر هو واهل الحيرة وابطل هذه السنة العاتية

وعلى ذكر تنصّر المنذر نقول ان امه كانت على النصرانية وهي مارية الملقبة ماء السماء  
على اشهر الاقوال<sup>(٢)</sup> الا انه تقلّب في اعتقاده بين وثنية عرب الجاهلية والمجوسية وقد ذهب  
بعضهم الى انه دان بالمزدكية<sup>(٣)</sup> وكانت زوجته هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي مسيحية  
وتسمى هند الكبرى وهي صاحبة الدير الذي باسمها وكانت قد كتبت عليه<sup>(٤)</sup>

« بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وام الملك  
عمرو بن المنذر أمة المسيح وأم عبده وبنت عبده في ملك ملك الاملاك خسرو انوشروان  
في زمن مار افريم الاسقف . فالاله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى  
ولدها ويقبل بها ويقومها الى امانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر »

وتزوج المنذر بن ماء السماء بأخت زوجته هند ايضاً واسمها امامة . وولدت له كل منهما اولاداً .  
وكان له من هند ولد اسمه عمرو بن هند خلفه في الملك ومن امامة ولد عرف بعمر وابن امامة<sup>(٥)</sup>

ومن حروب المنذر بن ماء السماء حرب « يوم عين اباغ »<sup>(٦)</sup> وكان سببها ان المنذر سار من الحيرة  
في معد كلها وحدث ان نزل بعين اباغ بذات الحيار وأرسل الى الحرث الاعرج بن جبلة ابن ثعلبة بن  
جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر الغساني ملك العرب بالشام<sup>(٧)</sup> اما ان تعطي العذبة فانصرف

(١) يستند بعض المؤرخين هذه الرواية الى النعمان الاول و يرويه غيره عن النعمان ابي قابوس ولكن الراي  
المرجح انه المنذر بن ماء السماء (٢) النصرانية وآدابها ٨٨ (٣) كذلك . ولكن هذا القول بخالف ما  
ذكره بعض المؤرخين من ان سبب تكتبته كان امتناعه عن قبول المزدكية (٤) معجم البلدان مادة دير هند الكبرى  
(٥) معجم البلدان في المادتين (قضيي) و « مرجح » (٦) الكامل لابن الاثير ١ : ٢٢٢ وعين اباغ  
ليست بعين ماء وانما هو واد وراء الأنبار على الفرات الى الشام . قال باقوت في معجمه وكان عندها في الجاهلية  
يوم مهم بين غسان وملوك الشام وملوك الحيرة قتل فيها المنذر بن المنذر ابن امرئ القيس اللخمي .  
قلنا والمشهور ان القتيل فيها المنذر ابن امرئ القيس (٧) وقيل ابو شعر عمرو ابن جبلة بن النعمان  
ابن الحرث الايهم ابن مارية الغساني وقيل هو ازدي تقاب على غسان



عنك بجنودي واما ان تأذن بحرب فارسل اليه الحرث انتظرنا ننظر في امرنا جمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل اليه يقول له انا شيخان فلا تهلك جنودي وجنودك ولكن يخرج رجل من ولدي ويخرج رجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فني اولادنا خرجت انا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فتعاهدا على ذلك فعمد المنذر الى رجل من شجعان اصحابه فأمره ان يخرج فيقف بين الصفين ويظهر انه ابن المنذر فلما خرج اخرج اليه الحرث ابنه ابا كرب فلما رآه رجع الى ابيه وقال ان هذا ليس بابن المنذر انما هو عبده او بعض شجعان اصحابه فقال يا بني اجزعت من الموت ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه وقتله فقتله الفارس والقي رأسه بين يدي المنذر وعاد فأمر الحرث ابناً له آخر بقتاله والطلب بثأر اخيه فخرج اليه فلما وافقه رجع الى ابيه وقال يا ابت هذا عبد المنذر فقال يا بني ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه فشد عليه فقتله فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي وكانت امه غسانية وهو مع المنذر قال ايها الملك ان الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام وقد غدرت بابن عمك دفعتين فغضب المنذر وامر باخراجه فلحق بعسكر الحرث فأخبره فقال سل حاجتك فقال له حلتك وخلتك فلما كان الغد عثر الحرث اصحابه وحرصهم وكان في اربعين الفاً واصطفوا للقتال فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل المنذر وهزمت جيوشه وفي رواية ان شمر بن عمرو الحنفي احد بني سحيم قتل المنذر غيلة وذلك ان الحرث ابن جبلة الغساني بعث الى المنذر بمئة غلام تمت لواء شمر هذا يسأله الامان على ان يخرج له من ملكه ويكون من قبله فركن المنذر الى ذلك وأقام الغلمان معه فاغتاله شمر بن عمرو فقتله (١) وجاء ان غساناً اسرت امرىء القيس بن المنذر يوم قتلت اياه فاغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام فقتلوا ملكاً من ملوك غسان واستنقذوا امرىء القيس بن المنذر واخذ عمرو ابن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها ميسون (٢)

وقال ابن الاثير (٣) بعد قتل المنذر أمر الحرث بابنيه القتيلين فحملا على بعير بمنزلة العدلين وجعل المنذر فوقهما فرداً وقال «يا لعلاوة دون العدلين» فذهبت مثلاً وسار الى الحيرة فأنهبها واحرقها ودفن ابنيه بها وبني الغريين عليهما في قول بعضهم الا ان بعض المؤرخين يستبعدون ذهاب الحرث الغساني الى الحيرة ويستبعدون اكثر منه دفن ابنيه وبناءه الغريين عليهما وفي يوم اباغ يقول ابن الرعلاء :

كم تركنا بالعين عين اباغ من ملوك وسوقة اكفاء  
امطرهم سحائب الموت تترى ان في الموت راحة الاشقياء  
ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء

ويظهر من مقارنة الحوادث ان موقعة يوم اباغ كانت سنة ٥٦٣ ميلادية ومما يذكر عن المنذر بن ماء السماء انه اوفد وفداً على ابرهة بعد ان فتح الاحباش بلاد



البحر<sup>(١)</sup> وينسب الى المنذر هذا بناء قصر الزوراء في رواية<sup>(٢)</sup>. ويقال انه كان يحير جاره شديد الشهامة عليه ومن ذلك ان ابا دواد الشاعر كان جاره . فنازع ابو دواد رجلاً بالحيرة من بهراء<sup>(٣)</sup> يقال له رقبة بن عامر فاخرج ابو دواد بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام فبعث رقبة الى قومه فقتلوهم فخبس المنذر ابا دواد وبعث كتيبتيه الدوسر والشهباء لمعاينة المجرمين<sup>(٤)</sup>

ومن حديث الادباء ان الوفود اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء بن امرئ القيس فاخرج المنذر بردين يوماً يبأ الوفود وقال ليقيم اعز العرب قبيلة فليأخذها فقام عامر بن احيمر بن بهدلة فاخذها واتزر باحدها وارتنى بالآخر فقال له المنذر أنت اعز العرب قبيلة قال العز والعدد في معد<sup>(٥)</sup> ثم في نزار<sup>(٦)</sup> ثم في مضر<sup>(٧)</sup> ثم في خندف<sup>(٨)</sup> ثم في تميم<sup>(٩)</sup> ثم في سعد<sup>(١٠)</sup> ثم في كعب<sup>(١١)</sup> ثم في عوف<sup>(١٢)</sup> ثم في بهدلة<sup>(١٣)</sup> فمن انكر هذا فلينافرنى فسكت الناس<sup>(١٤)</sup> ومما يذكر عن المنذر انه كانت له ابنة اسمها فاطمة كان يهاها المرقش الاصغر الشاعر وقال فيها الغزل<sup>(١٥)</sup> وقد نسب العرب بعض الاقوال المأثورة الى المنذر بن ماء السماء ومنها : العز تحت ظلال السيوف . وحصون العرب الخيل والسلاح . والحرب سجال عثراتها لا تقال<sup>(١٦)</sup> ونسب اليه الميداني<sup>(١٧)</sup> المثل القائل « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه » وذلك في حكاية طويلة يلخصها ان بني ضمرة بن جابر وقعوا في يد لقيط بن زرار فاساء ولايتهم واهانهم فوسط بنو نهشل المنذر بن ماء السماء لاسترجاعهم من لقيط فاسترجعهم ودعاهم امامه وكان يعجبه ما يسمعه عن خلال شفة بن ضمرة ولم يكن منظره يرضيه فقال له « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه » . فاجابه شفة أبيت اللعن واسعدك الهك ان القوم ليسوا بحزير يعني الشاء « يعيش الرجل بأصغريه لسانه وقلبه »<sup>(١٨)</sup>. وجاء ذكر المنذر في كثير من اشعار عرب الجاهلية الذين عاصروه<sup>(١٩)</sup> وقصارى القول ان المنذر بن ماء السماء من اشهر ملوك الحيرة<sup>(٢٠)</sup>

(١) زيدان العرب قبل الاسلام ١ : ١٥٩ و ٢٠٧ (٢) كذلك ص ١٥٩ (٣) بهراء بطن من قضاة من القحطانية وهم بنو بهراء بن عمرو بن الحافي بن قضاة (٤) الميداني مجمع الامثال ١ : ٣١ في تفسير المثل ( انا المنذر العرياني ) (٥) معد بطن من عدنان وقيل هو بطن متسع ومنهم تناسل جميع بني عدنان (٦) بنو نزار بطن من عدنان وهم بنو نزار بن معد بن عدنان (٧) مضر قبيلة من العدنانية وهم بنو مضر بن معد بن عدنان (٨) بنو خندف بطن من مضر من العدنانية وهم بنو الياس من مضر . وخندف اسم امرأة الياس عرف بنوها بها (٩) بنو تميم من طابخة وهو من عدنان وهم بنو تميم بن مرد بن اد بن طابخة وكانت منازلهم بارض نجد . وتزلوا من هنالك على البصرة والحامه وامتدت الى القرى من ارض الكوفة ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر (١٠) بنو سعد بطن من تميم (١١) كعب بطن من تميم من العدنانية وهم بنو سعد بن زيد مناة (١٢) عوف بطن من تميم من العدنانية وهم بنو عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة كان له من الولد عطار و بهدلة وغيرهما (١٣) بطن من تميم وهم بنو بهدلة بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة من تميم (١٤) شعراء النصرانية ١٣٣ (١٥) الاغاني ٥ : ١٧٩ (١٦) الامام ابو منصور الثعالبي النيسابوري : الايجاز والاعجاز ص ١٥ (١٧) مجمع الامثال ١ : ٨٧ (١٨) كذلك ٢ : ٢٥٣ (١٩) تشارلس ليل : المقتطف فبراير ١٩١٤ (٢٠) استلنا هذا المقال من كتابنا المخطوط « الحيرة : المدينة والملكة العربية » . راجع مقتطف اكتوبر ونوفمبر وديسمبر ١٩٣٢



# انا الميت الحي

توفيق مفرج

صاحب كتاب « آلام وأحلام »

الوداع ايها الشعر والحب  
الوداع ايها الشباب والقلب  
انتم الحياة ، فالوداع ايها الحياة  
الوداع ايها العاطفة التي لا تزال مضطربة متأججة في صدري  
الوداع ايها الفن — ايها الموسيقى — ايها الغناء  
الوداع ايها الخيال — الوداع ايها الالهام  
انا سائر في سبيلي  
انا اعدو وراء اشغالي واعمالي  
انا منصرف عن ادبي الى تجارتي ، وعن جمع الحكمة والافكار، الى جمع المال والدينار  
فالوداع يا قلبي !

\*\*\*

منذ عشر سنوات القيت بنفسي في بحر هذا العالم الواسع  
قلت للناس — انا اديب احب الادب وعالم احب العلم ومفكر احب التأمل والتفكير  
وقفت في زوايا الشوارع اعرض بضاعتي واقدم اثمار افكاري  
وكانت الجماهير العمياء تمر وتنظر نحوي بازدراء واحتقار، وفي نظراتها شفقة اشد  
من ذلك الازدراء ، ورحمة أذل من ذلك الاحتقار  
وكانت تموجات الاثير تحمل اليّ كلمات عابري السبيل يقولون :  
شاعرٌ تاعس وكاتب فقير !

\*\*\*

وكنت انا ادي بصوت عال  
عندي اشعار وعندي علوم !  
عندي فلسفة وعندي آداب !  
فلم يكن ثمة من يسمع



ولم يكن ثمة من يحجب

ولم يكن ثمة من يشتري

كسدت افكاري ، وبارت بضاعتي ، وضاعت آمالي  
فاضطرت ان انصرف عن الشعر والعلم ، الى التجارة والمال

\*\*\*

وبعد سنين جئت الى اولئك الذين احتقروني شاعراً وازدروني كاتباً وقلت

عندي اشياء جديدة

عندي اموال

عندي سيارات

عندي منازل وعزب واطيان

واذا باعداء الامس يتحولون الى اصدقاء

والذين يقولون شاعر تاعس فقير ، هم هم يقولون

تاجر عظيم ومتموّل كبير

راجت بضاعتي المادية لان الناس ماديون يفهمونها ويطلبونها . وكسدت بضاعتي

الادبية لان الناس لاهون عن الادب ، عن الشعر ، عن الفلسفة ، عن الخيال والفن

\*\*\*

اما انا —

فأنا التاجر الخاسر رغم ارباحي

انا الكاتب الغني الذي يشعر بفقره

بعثت روحي لاشترى جسدي

اضعت حياتي لاجد لذتي

هبطت من الحياة الى الموت ، ومن النور الى الظلمة ، ومن سماء الخيال الى حضيبض الارض

بعثت القصورة الجميلة في الهواء ، لاشترى داراً حقيرة على الارض

أنا الشاعر الذي قدّم دفاثره الى محكمة الادب العليا فاعلنت افلاسه

أنا الشاعر التاجر الذي مات شاعراً ليحيى تاجراً

\*\*\*

وها أنا الآن استعرض امام نفسي ما جمعت من مال فاجده لا يوازي كلمة واحدة من شعري



لان شعري وليد روحي وغذاؤها وحياتها  
هو رفيقها بعد الموت الى ما وراء الابدية  
هو سلواها في أفراحها وأحزانها لانه خالد مثلها  
هو جزء مني لا يتجزأ عني إن عشت ، ويبقى معي بعد أن أموت  
أما مالي فلسعة ألهو بها أياماً ثم أتركها لسواي

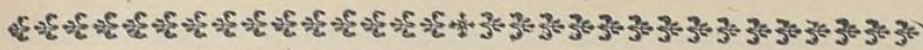
\*\*\*

فيا أيها العالم الجميل البديع الذي عرفته في تعاشر اهل الدنيا — قل لي كيف وأنا  
صحيح عقلاً وجسداً ، اهرق قلبي وانبذ شعري لاعود إلى تجارتني ومالي  
كيف أرضى أن أحيي يوماً لاموت أبداً  
أيها الذين يعرفونني — انظروا إليّ وأشفقوا عليّ  
أنا الميت الحي !  
انظروا كفني  
هو أوراق مالية مكتوب عليها تدفع ذهباً ولا تدفع إلا ورقاً  
انظروا إلى نعشي  
سندات وقراطيس  
انظروا إلى قبري  
هو قطعة من الفضة موشاة بالذهب  
أيها الناس !  
لقد ربحت العالم وخسرت نفسي  
أيها السماء  
خذي مالي وجميع ما ملكت يداي وارجمي اليّ شعري

\*\*\*

لبست ثوب الشاعر فمات جسدي جوعاً وبرداً  
ولبست ثوب التاجر فتنعم ذلك الجسد بالدمقس والحرير  
اما الروح التي تنعمت في جسد الشاعر لفقره وبؤسه  
فهي الروح التي تتألم في جسد التاجر لثروته وماله



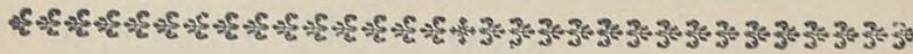


# عصر الانسانية المقبل

الانتقال من الفردية المطلقة الى التنظيم الاجتماعي

والبناء على مثال النمل والنحل

من بحث لا ندره موروي الكاتب الفرنسي المشهور



هل ثمة اساس لما يقال من ان تاريخ الانسانية تتداوله عصور يتلو جديدُها قديمها ؟  
 ليس تتابع الحوادث في التاريخ مستمراً فاذا عمد المؤرخ لدرس الماضي اخذ الشريط الذي  
 دوّن عليه الحوادث ، وقطعه قطعاً تسهيلاً لتناوله فيدعو قطعة منه «العصور الوسطى»  
 واخرى «العصر الحديث» وهكذا . ثم أليس من المتعذر اقامة الدليل على ان ابناء عهد ما كانوا  
 يشعرون بأنهم منتقلون من عصر الى عصر . فالحوادث التي تحسب الآن اعلاماً في طريق  
 التاريخ لم يحسبها كذلك الذين عاصروها . فبنطيس بيلاطس لم يتخيل قط ما سوف يكون  
 مقامه في التاريخ . فلما انقضت نحو ستمائة سنة على ميلاد المسيح قرر احد الرهبان ان يجعل  
 سنة ميلاده مبدءاً للتقويم المسيحي . ولما هجم الفرنسيون على حصون البستيل يوم ١٤ يوليو  
 سنة ١٧٨٩ تريث لويس السادس عشر ليدون في يوميته وصف حفلة صيد وقنص حضرها  
 ان الثورات الحقيقية هي بمثابة قنابل تنفجر بعد ما ترتد اسبابها الى آفاق الماضي الزاهية  
 وتيار التاريخ يكون أنا رهواً وأنا صاحباً متدفقاً . وهو قارة بطيئة فاذا استطلع  
 المؤرخ ضفافه الفاهة على وتيرة واحدة ثم يسقط فجأة من مرتفع فيحدث دويّاً وصخباً  
 ولو ان رجلاً من معاصري الامبراطور ديوقلطيانوس رأى رومانياً من عصر الامبراطور  
 اغسطس لعرفه رغم القرون الفاصلة بين عهدي الامبراطورين . او لو ان فرنسياً نام في باريس  
 سنة ١٦٦٦ واستيقظ سنة ١٧٨٨ لعرف الملك وبلاطه . واذا ألم بأراء الفلاسفة استغربها  
 ولكنها لم تذهله . ولكنه لو نام ثانية سنة ١٧٨٨ واستيقظ سنة ١٧٩٨ لوجد نفسه في عالم  
 لا يفهمه على الاطلاق . ولو ان اميركياً من العقد السابع في القرن الماضي ظهر في نيويورك  
 سنة ١٩٣٠ لحسب متوحشاً جاهلاً لا يعرف ابسط حقائق الحياة  
 فاذن نستطيع ان نحسب كل فترة قصيرة من الزمان حدث في خلالها انقلاب اساسي في حياة  
 الناس وافكارهم ، بواسطة عقيدة جديدة او سلسلة من المستنبطات او ارادة عبقرية متفوق ،  
 مفتتح عصر جديد . فهل نحن في مفتتح عصر جديد ؟ واذا كنا في مفتتحه فما اسباب  
 الانقلاب وما ينتظر ان يتصف به العصر المقبل . وقد قلنا ان اسباب الانقلاب تفعل فعل  
 القنابل ، فهل تحت اركان المجالس النيابية الآن ، مراجل تغلي وشيكة الانفجار ؟



في القرن السادس عشر غرس المصلحون البروتستانت، وبوجه خاص المصلح كلفن، فكراً جديداً في اذهان الناس. قالوا اننا لا نحتاج الى وسيط بيننا وبين الله، بين الكتب المقدسة وعامة القراء. فدعوا بذلك الى الحرية في ميدان العقيدة الدينية، ومهدوا الطريق للدعوة الى الحرية في ميدان التفكير السياسي. فالرجل الذي يستطيع ان يفسر التوراة يستطيع كذلك ان يحكم في شؤون الدولة. والرجال الذي يتساوون امام الله، يجب ان يكونوا متساوين امام القانون. فالفلسفة الفردية كانت مطوية في تضاعيف الاصلاح الديني

ومن الغريب ان الفلسفة المقابلة للفلسفة الفردية اي فلسفة الاشتراك في العمل - Collectivism - كانت مطوية فيها كذلك. « فبادىء البروتستانت عزلتهم عن غيرهم ولكن حماسهم في سبيلها وحشدتهم فجعلتهم قوماً واحداً » هكذا قال لوثيروس. فان افكارهم دفعتهم الى طلب الحرية، ولكن النزاع الشديد اقتضى التنظيم الدقيق والخضوع للنظام. فوحدتهم الاجتماعية لم تكن وحدة جماعة دينية وانما كانت وحدة جيش محارب. وعلى ذلك ايد لوثيروس بعض الامراء، وكانت حكومة كلفن نفسه بمثابة دكتاتورية. وقد سلم الناس بهذه المفارقات حينئذ لان الحمية الدينية جعلت الاستبداد مقبولا

ولكن لم يطل المطال حتى ظهرت بلاد لا تسلم بالاستبداد، فآتت العقيدة البروتستانتية فيها اشهى ثمارها. تلك البلاد كانت « نيوانجلند » ( الولايات الشمالية الشرقية في الولايات المتحدة الاميركية التي نزل فيها المهاجرون اولاً ) فقد كان معظم المهاجرين الغلاة « البيورitan » من طبقة اجتماعية واحدة. ولما كانت افكارهم قد وحدت بينهم في منفاهم لم يتعين عليهم ان يقاوموا اي اضطهاد في بيئتهم الجديدة. ففي نيوانجلند سارت الفردية البروتستانتية سيرها الطبيعي متجهة الى الديمقراطية الصحيحة

ومن البلدان البروتستانتية العظيمة — من انكلترا عن طريق فولتير ومنسكيو، ومن اميركا عن طريق لافاييت وفرنكان، ومن جنيف عن طريق روسو — استمدت الثورة الفرنسية فلسفتها في « حقوق الانسان ». وكان روسو تلميذاً لكلفن فبذر بزور مذهبي الفرد والجماعة ودعا الى دولة يكون السيد فيها كلياً السلطان لان السيد هو الشعب. وفي كلامه كثير مما يذكر كبروسي العقد الثالث من القرن العشرين

اما القرن الذي تلا الثورة الفرنسية فكانت السيطرة فيه للناحية الفردية من هذه الفلسفة. فطالبت الشعوب بحقوقها — وفوقها كلها حق التصويت لانه كان رمزاً للمساواة وضماناً للحرية. وكان التصويت اولاً ميزة تمتاز بها بعض الطبقات ( فكان مبنياً على مقدار الضرائب في انجلترا وفرنسا وحبس عن بعض السلالات الملوثة — الزنوج — في اميركا ) ولكن لم يشرف القرن التاسع عشر على ختامه حتى كان حق التصويت قد اصبح عاماً في طائفة من اكبر



البلدان ، على اثر ثورات واصلاحات اخذ بعضها برقاب بعض . ولو انه طُلب من عاقل ان يبدي رأيه في اتجاه الاجتماع سنة ١٩٠٠ لقال ان العالم في مفتتح عصر الحرية . وفازت دول الاحرار في الحرب العالمية ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) وعلى اساس الدعوة الى الحرية فاقبلت سائر الامم على تقليدها في نظامها الحكومي والاجتماعي

ولكن قوى خفية جديدة كانت تقوض دعائم الديمقراطية والفردية . فالتصويت العام جعل السلطة في ايدي الجماهير . فلم تحجم الاحزاب عن اي عمل للفوز بالاوصوات . فاصبح المحافظون من اتباع الدجل السياسي وحاول الاغنياء التأثير في الرأي العام بالساليب مبتدعة من الدعاية . وهكذا بدأت الديمقراطية تنحو نحو الدماجوجية ( الدجل السياسي ) والبلاتوقراطية ( حكومة الاغنياء ) ولولا الحرب العالمية والازمة الاقتصادية الخائقة التي تلتها ، لامكن ترقيع النظام القديم بالاصلاح والتعديل والاحتفاظ به الى مدى . على ان الديمقراطية تحتاج ، لتبقى راسخة البنيان الى تعليم الشعوب في فترات السلام والرخاء . فاذا هبَّت الزعازع فضَّل الناس السلامة على الحرية . ولا تطاق الحكومة المستبدَّة في هذه الحال ، الا اذا بدا في نظامها شيء جديد . كذلك استبدل كلفن حكومة الاقلية الارستقراطية في جنيف باستبداد ديني . وكذلك قضى الروس على استبداد القيصر واحلوا محله دكتاتورية العمال

اما الدماجوجية وسيطرة الاغنياء في بعض البلدان التي اخذت بمذاهب الاحرار ، فاورثت شروراً ومساوي طغت على مآثر الافراد . أما في ايطاليا وروسيا فالرأي الآن انه يجب ان يخلى السبيل للدولة . واما المانيا فيظهر انها تبحث عن قوة جبارة يستطيع ان يجد فيها شبابها المتصوف قبله للاجلال . ان نصف الامم المتمدنة اخذت تشيخ بوجهها عن الديمقراطية . والصحف في اميركا لا تفتأ تعرب من مخاوفها من النزعات الحرة ورغبتها في الحكومة القوية

ان في روسيا جيلاً جديداً غير ملم بمذاهب الاحرار في غرب اوربا واميركا ، بل هو يحترقها ويزدريها ، اذ بسطها احد له . ففي روسيا لا يبحثون قط في حقوق الانسان ، بل في واجبات الانسان . والفرد يرى شيئاً من النشوة الدينية اذ نسي ذاته ليشترك في ذات الدولة . ان وكر النمل وقفير النحل اصبحا النموذج الذي تبنى عليه الجماعات الانسانية . وهذا مناقض كل المناقضة للمثل التي كانت سائدة في القرن الماضي . فهل نستنتج ان التطرف الذي بدا في البلدان «الفردية» النزعة قضى على هذه المثل ؟ وهل يكون العصر الجديد عصر النمل والنحل ؟

اما القنبلة الثانية التي اشعلت مراراً في العالم الحديث ، فطفئت ثم اشعلت ثانية وثالثة فهي قنبلة العلم التجريبي . اشعلها اولاً بعض الشعوب القديمة كالليونان . وتلاهم العرب فزادوها لهيباً . ثم تعهدتها اوربا بعيد عصر النهضة والاحياء . ولكن الانفجار العظيم الذي نشهد آثاره جاء في مطلع القرن التاسع عشر . فقد خلق العلم التجريبي الآلة ، وهي أداة وضعت قوى الكون في متناول يد الانسان



وزيادة طاقة الانسان زيادة لا تتحدد عمل مفيد اذ يستطيع بها ان يزيد ما يصنعه من العروض ثم هي تمهد السبيل امامه لا ابتداء عروض جديدة ، وتمكنه من ملامه كانت لغلائها وندرتها فوق طاقتها . واذ حلت الآلة محل العامل ، عمد العلم الى الحقل فزاد غلاله وجوّد صنفا . وكل هذا لا تنكر فائدته . ولو ان مراقباً حاول ان يحكم على حالة العمران في مطلع القرن العشرين لقال هذا مفتتح عصر الرخاء . اما الآن وقد انقضى نحو قرن ونصف قرن على استنباط الآلة البخارية فاننا نرى نتائج لم تخطر ببال احد من ثلاثين سنة على الاكثر

فتوسيع نطاق الانتاج يفضي الى صنع عروض لا يحتاج الناس اليها كلها . والبضائع المصنوعة في طبقة عالية من الجودة والمتانة ولكن الناس لا يبتاعونها . وها هي المصيبة نزلت ببني الانسان . واية مصيبة هي — مصيبة كثرة البضائع والعروض التي كانت تحسب سبيلهم الى الرخاء . والآلة التي كان ينتظر ان تغني الانسان وتخفف اعباءه جلبت في اثرها العطل عن العمل والبؤس — وليس هذا لأن الآلة شرٌ بمجد ذاتها ، بل لضعف الذكاء الانساني وكان من أثر الاساليب العلمية التخصص في الصناعة والزراعة . فكانت كل جماعة قبلاً تصنع ما تحتاج اليه فكان لهذا أثره السيئ لأنه اذا انحلت الحقول سنة حلت المجاعة بالجماعة التي تعتمد عليها للحصول على الغذاء . اما وقد خلق العلم وسائل للمواصلات السريعة فقد اصبح من الميسور نقل الغلال من مكان الى آخر نقلاً سريعاً فبدأ المفكرين ان كثرة الغلال وسرعة المواصلات ازالتا شبح المجاعة من العالم

ولكن الاعتماد على المواصلات السريعة حمل الناس على تركيز الصناعة والزراعة في مواقع خاصة ممتازة . وهذا عمل مفيد لولا انهم اهملوا العناية بتوفير اسباب التبادل . وقد ابانت الازمة العالمية التي ما زلنا نعانيها ، ان شبح المجاعة ما زال يهدّد العالم . فغارس اشجار المطاط قد يموت جوعاً والى جانبه اكوام من غلته التي لا تباع . وزارع الحنطة قد يهرأ برداً وحواليه اكداً الحنطة . ففكرة الوحدة الاقتصادية العالمية قد منيت بالخيبة — الآن على الاقل

ثم ان الشك العالمي ، قد قتل في نظر البعض صدق الايمان . وبعض الناس يحبون من دون الايمان الصادق واما البعض الآخر فلا يستطيع ذلك . فالدين مكن البائسين من الصبر على آلامهم املاً في الجنة حيثما لا اوصاب ولا آلام . ولكن المادية العلمية دفعت الذين لا يرغبون في الملذات العقلية الى البحث عن اكفاء الشهوات العارضة . على ان الانغماس في الشهوة التي لا ضابط لها مناقض للطبيعة البشرية . فهو يهدم الجماعات التي تنصرف اليه ولا يلبث ان يصبح تقيض اللذة وهو الالم ثم ان الانسان لا يستطيع ان يعيش من دون مثل اعلى يرنو اليه . وفي عصرنا هذا اسبغ على القومية ثوب ايمان جديد . ولكن القومية العنيفة المحاربة لا تستطيع ان تعيش في جماعة اساس نظامها الاقتصادي التبادل الدولي ، او في عالم اشترك فيه العلم والتجنيد الاجباري لجعل



الحرب بمثابة انتحار للبشرية. فليس امامنا في ميدان السياسة الا عقيدتا الفاشية والبلشفية. في رومية وموسكو اصبحت الدولة مصدر الآداب ومعامة الفضائل. اما ونحن في عالم تعوزه العقيدة والحكمة، فقد لا نرى سبيلاً آخر للخلاص

والظاهر ان العصر الذي اشتركت فيه مذاهب الاحرار والعلم، لتحقيق السعادة الانسانية قد بلغ غايته. قد نستطيع ان نخلص الحرية السياسية من البوار ولكن يجب ان نضحي في سبيلها بالحرية الاقتصادية. ونحن الآن في مفتتح عصر كلمة السر فيه «التنظيم» وهذا التنظيم يحاول ان يتخذ في اميركا مثلاً شكل حكومة مؤلفة من خبراء، وفي بلدان اخرى شكل جماعات من المالين Cartels تسيطر على الحكومة من وراء ستار. فهل يكون البناء في العصر الجديد على مثال ما تفعله النمل؟ قد تفوز النزعة الاشتراكية. واذا نجحت التجربة الروسية تكون قد ابدعت مثلاً جديداً من النظام الاجتماعي. ولا يلزم ان تذيب طريقتها في تنظيم الحياة الاقتصادية بالفتح والثورة بل يمكن ان تذيب بالعدوى والتقليد. فالثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ لم تحدث انقلاباً عنيفاً في انكلترا ولكن مبادئ سنة ١٧٨٩ هي ام البواعث على الاصلاح الانتخابي الذي تم في انكلترا سنة ١٨٣٢ بل نستطيع ان نقول ان سقوط الباستيل كان اهم حادث في تاريخ انكلترا. ولعل سقوط القيصرية الروسية يحسب في المستقبل اهم حادث في تاريخ الولايات المتحدة ولكن عصر التنظيم الاجتماعي والاقتصادي قد ينتهي بالخيبة. ولم يثبت حتى الآن ان الذكاء الانساني يستطيع ان يسيطر على مستقبلنا الاقتصادي وتنظيم حاجات الناس واعمالهم. فهل من السهل ان نلائم بين عالمي الزراعة والصناعة؟ هنا لب المسألة وليس غير التجربة كفيلاً بالجواب. فاذا انتهى هذا العصر بالخيبة فقد نشهد انحطاطاً عالمياً. فتحمل الروح القومية كل امة على الاكتفاء بذاتها. ويقل التداول الدولي حتى يكاد يمتحى. وتصبح آية العصر الجديد شبيهة بآيات الحضارة الزراعية الغابرة

ومع ان هذه الخيبة ليست مستحيلة الا انها في نظرنا غير محتملة. واعتقد ان العصر المقبل سوف يتصف باتساع الثروة. على انني لست ادري أي الطرق يُعمد اليها في توزيع الثروة توزيعاً منصفاً، وانما احس ان لا بد من وجود حل ما بعد كثير من العناء والالام. ثم ان مقدار البضائع التي تستهلك آخذ في الازدياد مع ان عدد السكان يميل الى النقص. واذن فالانسان المتوسط سوف يكون اعظم ثروة مما هو الآن. ويكاد يكون في حكم اليقين ان ساعات العمل تكون اقل مما هي الآن. وسواء كان النظام الاقتصادي في العصر الجديد رأسمالياً أو اشتراكياً فالمرجح عندي ان الثروة فيه سوف تكون أعظم وساعات الفراغ أطول والمساواة اتم مما هي الآن. وقديمتي هذا النظام مستقرّاً تعلوه مسحة السعادة الى مدى ثم يحدث انفجار يضيع التوازن فيبدأ الانسان بحثه من جديد



# الوراثة والمحيط

للدكتور شريف عسيران

ضلّ الناس قديماً ضلالاً بيناً فجعلوا للمحيط الشأن الأكبر في حياة الفرد لا بل خبطوا خبط عشواء في تحديد تأثير الوراثة وتأثير المحيط وفرّقوا بينهما تفريقاً ظاهراً وجعلوا الكل منهما تأثيراً مستقلاً عن الآخر . كان الرأي القديم ان المحيط هو كل شيء وذهب هذا المذهب ثلثة من اساطين العلماء بل نجد في نص اعلان استقلال الولايات المتحدة صورة واضحة لعقيدة ذلك العصر فقد نص اعلان الاستقلال ان كل الناس خلقوا متساوين وعلى هذه الفكرة الاساسية فكرة ان المحيط هو العامل الأكبر في حياة الفرد نشأت اكثر الاوضاع الاجتماعية وما فيها من انظمة وقوانين الى غير ذلك من محسنات المحيط فالشطر الأكبر من المدنية في عرفهم هو المحيط الحسن وتقدم المدنية معناه تحسين المحيط

وعكس ذلك النظرية الحديثة التي تجعل للوراثة الشأن الأكبر في نشوء الفرد وما ينتج عنه من المظاهر الاجتماعية التي هي وليدة عمل الناس ونتيجة كفاءتهم الوراثية . ولا نتوغل الآن في تحليل نظريات الوراثة والمحيط والتفضيل بين الرأيين لاننا سنفصل ذلك في سياق البحث ونذلي باحدث الآراء المعززة بالادلة والبراهين العلمية . وقد قسمت البحث الى قسمين فأتناول في الاول الوراثة والمحيط واعقبه ببحث في توريث الصفات المكتسبة

﴿ تأثير المحيط في تعيين الصفات ﴾ بيّنا ان صفات الفرد تتوقف على عوامل خلاياه وعلى السيتبلازم والمفرزات الداخلية ورأينا كيف يتمكن من تحويل الانثى الى ذكر والابله الى نبيه بواسطة المفرزات الداخلية فهل من الممكن تجهيز عوامل خارجية لها نفس التأثير فيه . والجواب نعم لانهم كما بيّنا تمكنوا من استخلاص خلاصة الغدة الدرقية وهو الثيرودين الذي يعطونه للبله فيصيرون اصحاء . وقد استخلصوا خلاصة اكثر الغدد الصماء فتقدم هذا العلم تقدماً بيّناً في العشرين سنة المتأخرة وزاد في الخمس سنوات الاخيرة فما يدرينا ما يحدث بعد مائة سنة او الف . لا بد ان يكون التقدم في هذا الناحية وغيرها من نواحي الحياة عظيماً

فهل للمحيط الخارجي التأثير الذي للمحيط الداخلي فتختلف الصفات باختلافه . اننا نعرف ان افراز الغدد الصماء تحت تأثير الجهاز العصبي . فالخوف والغضب يزيدان افراز الادرنالين وزيادة افراز هذه المادة أو نقصها يؤثران في سلوك المرء . وقد رأينا فيما مضى كيف ان الحردون المائي المعروف بال Axolotl يتحوّل من حيوان مائي الى حيوان بري باطعامه خلاصة الغدة الدرقية فتتلاشى خواشيمه وذنبه وتتغير كل صفاته . ووجدوا ان نفس التأثير يحصل في هذا



الحيوان بجباره على ترك الماء وتعويده الحياة البرية وتعريضه لدرجة خاصة من الحرارة فيتبدل من حيوان مائي الى بري كما لو اطعمناه خلاصة الغدة الدرقية . وعلى الأرجح ان هذا التبدل ناشئ عن تأثير العوامل الخارجية في الغدة الدرقية فيجعلها تزيد افرازها في الدم فيحصل التبدل . ان العوامل الخارجية تفعل فعلها بالتأثير في المفرزات الداخلية التي هي مصدر التغيير والتبديل ليس الجسم وحده يولد المواد الكيماوية كالمفرزات الداخلية التي تؤثر تأثيراً كبيراً في الصفات الوراثية بل هناك مواد أخرى طبيعية خارج الجسم لها فعل يشبه فعل المفرزات الداخلية . فقد دلت الابحاث الحديثة في الغذاء ان الجسم لا يكتفي في نموه بالمواد الاساسية النيتروجينية والدهنية والنشوية والمعادن بل هناك مواد تحققوا فعلها ولم يهتدوا الى تحديدها وتسمى الفيتامين فاذا كان الطعام خلوها منها فان الجسم يضعف ويتأخر ويصاب بامراض مختلفة وقد اكتشفوا حتى الآن خمسة انواع من الفيتامين نذكرها باختصار وهي :

( ١ ) فيتامين A . وهو يكثر في الحليب والزبدة والدهن وصفار البيض وزيت كبد الحوت وفي الخضر كالسبانخ والخس والقربيط والطماطم وما أشبه وفقدان الغذاء له يعيق النمو ويولد استعداداً لعدوى الامراض ويسبب في الاولاد خاصة مرض يسمى الرمد الجاف ( Xerophthalmia ) فتجف سوائل العين وتقرح اغشيتها وتهرباً فيفضي ذلك الى فقد النظر احياناً او ضعفه ويعزى العشو ( عدم النظر ليلاً ) الى فقدان هذه المادة من الغذاء الفيتامين B وهو غزير في صفار البيض والحليب واوراق الخضر كالخس والجزر والقربيط وما أشبه وفي الاعضاء كالقلب والكبد والكلية الخ

ان فقدان الغذاء له يؤخر نمو الجسم ويعرضه لخطر الامراض وهو المرض المعروف بالبري بري ومعناه « لا أقدر » اي ان المصاب لا يستطيع عمل شيء لشدة مرضه ومن أهم علامات ضهور العضلات وشلل الاعضاء وخفقان القلب واسهال وانحطاط عام في الجسم يرافقه استسقاء وهو كثير خاصة في اليابان والصين وما جاورهما وينشأ من أكل الارز المقشور لان الفيتامين موجود في القشر الفيتامين C يكثر في عصير الليمون الحامض والبرتقال وفي الطماطم والفول والخس والتفاح والبن ( الحليب ) والبيض وفقدانه يسبب مرض الاسقربوط وهم اعراضه انحطاط في الجسم واضطراب القوى العقلية والجسدية وألم وورم في المفاصل ونزف دموي تحت الجلد وفي غشاء التم المخاطي واللثة بوجه خاص وتساقط الاسنان ويشتد الصداع وغيره من الآلام العصبية ، ونقصه من اسباب نخر الاسنان في الاطفال

الفيتامين D غزير في زيت كبد الحوت وغيره من انواع زيوت الاسماك ومنه مقدار يسير في الزبدة وزيت جوز الهند . اما نقصه فيسبب مرضاً من اشدة الامراض وهو منتشر انتشاراً هائلاً بين الاطفال من سن الستة اشهر الى السنتين ولا نبالغ ان ٩٠ بالمائة من الاطفال حتى بين الشعوب المتمدنة يصابون به ويظهر ان له علاقة وثيقة بنمو العظام ونور



الشمس أو بالحري الاشعة فوق البنفسجية لها نفس التأثير الذي لهذا الفيتامين . وهذا المرض هو المرض المعروف بالكساح الذي يسبب تشوهات في العظام كاعوجاج القدم وانحنائها وبروز عظام الصدر وارتخاء عضلات الجسم وتأخر نموه واضطراب الامعاء وفقدان شهية الطعام وبروز البطن والصدر بصورة غير طبيعية وضخاياه في الاطفال اكثر من ان تحصى فاعطاء الطفل قليلاً من زيت كبد الحوت أو عصير البرتقال أو تعريضه لاشعة الشمس أو الاشعة فوق البنفسجية تزيل هذا المرض وتعيد المصاب الى حالته الطبيعية

الفيتامين B<sub>1</sub> يؤثر في التناسل وهو موجود في ورق الخس وفي القطناني واللحم الجدي و صفار البيض فاذا خلا منه طعام الام مات الجنين في اليوم ١٢ - ٢٠ من تكونه فنقصه سبب من أسباب العقم وقد اكتشف رولف حديثاً نوعاً سادساً سماه فيتامين G وهو موجود في البيض والحليب والخميرة ونقصه يسبب مرض البلاغرا Pellagra وهو من الامراض المنتشرة في ايطاليا واسبانيا وغيرها من الامصار الاوربية والولايات المتحدة وبقي سببه غامضاً حتى أعلن حديثاً هوكلاند مدير دائرة الكيمياء الحيوية في واشنطن اكتشاف الفيتامين واهم علامات هذا المرض عوارض جلدية وعقلية ومعوية فيظهر طفح جلدي وتقرح في الفم يرافقها اسهال واضطرابات عصبية . فهذه المواد عوامل خارجية تؤثر في صفات الفرد فتجعل الابل سليماً والعقيم تتوجأ وتبرئ المصابين بالعاهاات الناشئة عن فقدان تلك المواد وهي دليل على تأثير المحيط الخارجي . وهنا يظهر تناقض في اقوالنا فقد بينا فيما سلف ان الكروموسوم والسيبتلازم هما العامل في نشوء الصفات ولنعترف الآن ان الصفات تتغير بفعل العوامل الخارجية ايضاً اي المحيط وسنورد بعض الامثلة التي توضح الحقيقة وتكشف الستار عنها وتبين العلاقة بين الوراثة والمحيط

وجد R. A. Emerson ان مختلف الالوان في الاذرى وراثي وحينما تنمو هذه النباتات في الحقول المعرضة للشمس يصير بعضها احمر ( بكل ما فيه من ورق وزهر الخ ) ويبقى البعض اخضر . واذا زرع كل من هذين النباتين الملونين على حدة خرج كل بلونه . واذا ناسلنا الاحمر بالاخضر تبعا في نظام وراثتهما قانون مندل اي ٣ غالب الى ١ كامن . ولكن اللون يتوقف على المحيط فالانواع التي تنبت الاحمر لا تنبت الا اذا زرعت في الشمس اما اذا زرعت في الناء فينشأ النبات اخضر فاذا كان عندنا نوعان احمر واخضر فالاحمر لا ينمو احمر الا اذا زرع معرضاً لنور الشمس وأما الاخضر فينمو اخضر سواء ازرع في الشمس او الناء . واذا كان عندنا نوعان احمران وزرعنا احدهما في الشمس والاخر في الضوء فالاول ينشأ احمر والثاني اخضر . فهذه الامثلة توضح لنا علاقة العوامل الوراثية بالمحيط فالعوامل لا تخرج اللون المطلوب الا اذا كانت في محيط خاص والمحيط لا يولد اللون المطلوب الا اذا كانت هناك عوامل خاصة فالعوامل تتوقف على المحيط والمحيط يتوقف عليها . فلا نستطيع ان نقول هذه الصفة وراثية وتلك محيطية فلاخراج صفة من الصفات ينبغي ان تتوافر لدينا عوامل خاصة ومحيط خاص . فالعوامل لا تخرج



الصفة المطلوبة اذا كانت في المحيط الخاص والمحيط لا يخرجها الا اذا توافرت العوامل الخاصة وقد وجدوا ان عوامل اخرى تؤثر في اللون منها فقر الغذاء فالارض الفقيرة بالمواد الغذائية تنبت اللون الاحمر في بعض النباتات. وخزن المواد النشوية في الانسجة يولد اللون الاحمر ايضا ذكرنا بعض الامثلة من مملكة النبات ونذكر الآن غيرها من مملكة الحيوان. يربي العلماء ذباب الفواكه في زجاجات خاصة فيها موز نهري فيصير هواءها رطباً فالذباب الذي ينمو بهذه الصورة يظهر عيب في بطن بعض افراده. فالاجزاء التي تتركب منها البطن لا تكون واضحة ومن المحقق ان هذا العيب وراثي يتوقف على نوع العامل ولكنه لا يظهر الا اذا نشأ الذباب في محيط خاص والمحيط الخاص لا يؤثر فيه ما لم يكن ذلك العامل موجوداً. ويوجد عيب آخر في هذا الذباب اذ تكون له أرجل أو عقد مكررة وهذا العيب يورث بالطريقة الجنسية وهو ناشئ عن خلل بالعامل اكس (X) ولكنه لا يظهر اذا نشأ الحيوان في محيط دافئ فالمحيط البارد يسبب تكرار الساق والرجل في الذباب الموجود فيه عوامل هذا العيب. اما الذي يكون خلواً من العيب فينشأ صحيحاً ولو كان في محيط بارد. ويوجد نوع ضخم من هذا الذباب حجمه ضعف الحجم العادي وهذه الضخامة وراثية تظهر اذا تغذى الحيوان تغذية جيدة وهو في الدور الدودي ولا تظهر ان لم يتغذى الحيوان الغذاء الخاص في ذلك الدور وتتلخص العوامل المحيطية المارة الذكر بما يلي: (١) نور الشمس (٢) الغذاء (٣) الرطوبة والجفاف (٤) البرد والحر

﴿علاقة الوراثة بالمحيط﴾ ان المرء يث عوامل مختلفة تكون فرداً ذا صفات معينة فنفس العوامل تنشئ صفات مختلفة تحت تأثير المحيط ولا تناقض بين العوامل والمحيط فاختلاف بعض العوامل لا ينشئ الصفات المختلفة الا في محيط خاص فبعض الصفات تتوقف على العوامل وحدها فتدعى وراثية ونفس تلك الصفات تتغير بتغير المحيط فتدعى محيطية فالعوامل تظهر نوعاً من الصفات والمحيط نوعاً آخر

فاذا اخذنا نوعين من الاذرى احمر واخضر عاملهما واحد فالفرق بين لونهما يعود الى المحيط واذا قبلنا نوعاً احمر مع غيره اخضر نمى في نفس المحيط فالفرق بينهما وراثي

﴿شأن الوراثة والمحيط﴾ ايهما اهم في صفات الفرد الوراثة او المحيط او بكلمة اخرى ايهما اهم في بناء البيت المواد التي يبنى منها أو طريقة بنيانه. ان لكل منهما ميزة خاصة فبعضها ناشئ عن اختلاف العوامل وغيرها عن اختلاف المحيط فيؤثر المحيط في بعض الانواع في الصفات الاساسية كالجنس ولا تأثير له في غيرها. ففي ذباب الفواكه الذي درسوه حق الدراسة من هذه الوجهة لا تأثير للمحيط في الصفات البارزة كال حجم والشكل واللون والبنية والجنس تتوقف على العوامل الوراثية كما ورد في الامثلة التي ذكرناها من تسطيح العيون وعيب البطون ومضاعفة السيقان وغيرها. وفي كثير من النباتات وبعض الحيوانات السفلى تتوقف اكثر الصفات على المحيط. والخلاصة ان الصفات البارزة في اغلب الحيوانات كالمواشي والارانب وكل ذوات الثدي لا تتوقف على المحيط فاختلاف



اللون والشكل والبنية والجنس ناشئ عن اختلاف العوامل الوراثية واثراً المحيط فيها ضعيف جداً ﴿موقف الانسان﴾ ان بعض الصفات الجسدية تكون العين مثلاً تتوقف على العوامل وكذلك لون الشعر ولكن ليس هذا القول قاطعاً لان لون الشعر يتغير في الشيخوخة. ومن الممكن ان يكون اختلاف لون الجلد ناشئاً عن العوامل او المحيط ويتوقف معظم طول القامة وقصرها على اختلاف العوامل. والبدانة والنحافة تتوقفان غالباً على العوامل وبعض الاحيان على كيفية المعيشة. ويتوقف شدوذ تركيب الجسم كزيادة الابهام والاصابع وايدي وارجل ذات نسيج او اصابع ذات عقدتين وما اشبه على العوامل. وهناك عيوب في التركيب كاعوجاج الساقين وانفراج القدمين وغيرها من العيوب العظامية التي تظهر في داء الكساح تنشئ عادة من المحيط اما اختلاف الجنس فهو محض اختلاف في العوامل

﴿الخصائص الفسيولوجية﴾ ان اختلاف بعض الخصائص الفسيولوجية ناشئ في البشر عن اختلاف العوامل الوراثية ولا اثر فيه للمحيط. فالاستعداد الى نزف الدم (الهيموفيليا) ناشئ عن عيب في الكروموسوم X ويورث بالطريقة الجنسية كما بينا. وكذلك اصناف الدم التي قسموها الى اربعة فئات Blood groups ولدينا ادلة كثيرة تبين ان افراز الغدد الصماء ناشئ عن اختلاف العوامل ولم يتوصلوا بعد الى درس الخصائص الفسيولوجية في البشر الدرس الكافي من هذه الوجهة ولا زال حديثي العهد بها ومن الممكن ان تكشف كثيراً من مخبئاتها

﴿الامراض﴾ ان كثيراً من صفات البشر تعزى الى عوامل خاصة تحت تأثير محيط خاص ومنها الامراض المختلفة وقد نشأ من هذه العلاقة (علاقة العوامل بالمحيط) عقيدة فاسدة وهي ان الصفات اما وراثية بحتة لا تأثير للمحيط فيها واما محيطية لا تتأثر بالوراثة ولكن الحقيقة غير ذلك فان للوراثة والمحيط تأثيرهما. ولناخذ التدرن الرئوي (السل) مثلاً فان عدوى هذا المرض تتوقف على باشلس السل ففي بعض الاشخاص استعداد خاص للعدوى او بالتعبير الوراثي عوامل خاصة فيها استعداد لقبول المرض فالشخص الموجودة فيه هذه العوامل يكون معرضاً للعرض اكثر من غيره ممن لا توجد فيهم ومما لا شك فيه انه يوجد عنصر وراثي لقبول العدوى ولكن الشخص الذي فيه هذا الاستعداد لا يصاب اذا لم يتعرض للجراثيم المرض ويصاب اذا لم يستعمل طرق الوقاية ويبعد نفسه عن المحيط الذي فيه الجراثيم. والناس درجات من هذه الوجهة فبعضهم سريع التأثر بالجراثيم وغيرهم اقل منهم تأثراً وهكذا تتفاوت الدرجات حتى نجد فئة ذات حصانة طبيعية. فيتضح مما ذكرنا ان للعوامل شأناً كبيراً في حصول العدوى ولكن نجد في الوقت نفسه ان المحيط ربما كان اكبر شأناً وما قلناه عن السل ينطبق على كثير من الامراض كالجدري والطاعون والتيفوئيد وذات الرئة وغيرها. فان الناس يرثون استعداداً خاصاً اي تنشأ فيهم عوامل خاصة تعرضهم لفنكاتها ولا تنشأ هذه العوامل في غيرهم فتي عرض القسم الاول نفسه لجراثيم المرض فانه يصاب به واذا استعمل الوقاية بعدم



تعرضه لها أو باستعمال التلقيح ضدها فإنه لا يصاب ايضاً . ويعتقد الناس ان العلة أو العيب الوراثيين لا بد من حصولها معها احتاط المرء ولكن الحقيقة غير ذلك فان المرء يرث مزاجاً خاصاً لقبول العلة وتصيبه في احوال خاصة ولا تصيبه في احوال اخرى كما بينا . ولا تقتصر الوقاية على تأثر المرء الحاضر بالمحيط بل ان للمحيط الماضي أثراً لا ينكر فمن أصيب بالجذري أو تلعق ضدها في الماضي لا يصاب بها في الحاضر في الغالب ومن تعرض لاقصى درجات الحر والبرد لا يعود شديد التأثير بهما فلو اخذنا ثلاثة اشخاص لم يصابوا بمرض ما حين انتشار وباء ذلك المرض كالطاعون مثلاً فاحدهم لم يصب بسبب مناعته الوراثية وآخر لانه اصيب بالمرض قبلاً أو تلعق ضده والثالث توقاه فابتعد عن المحيط الموبوء وهذه الامثلة تبسط لنا تأثير الوراثة والمحيط في آن واحد

✽ علاقة الصفات العقلية بالوراثة والمحيط ✽ ان للصفات العقلية والاخلاقية شأنًا كبيراً في المجتمع فما علاقة العوامل والمحيط بها وما تأثيرها في الاخلاق والسلوك او حياة الانسان الفنية والعلمية والادبية ؟ بعضهم ينسب كل شيء للمحيط . يقول وطسن اننا لا نرث صفاتنا واخلقنا ومواهبنا الخاصة بل يجبرنا آباؤنا على اكتسابها . ويدعي البيولوجيون عكس ذلك فينسبون كل شيء الى الوراثة فليهما اصدق . ويجدر بنا توصلاً للحقيقة ان نبحث في هل علم الوراثة الحديث الذي رأيناه ينطبق على النبات والحيوان ينطبق على الانسان ايضاً

ثبتت من الابحاث التي ذكرناها سابقاً ان صفات الفرد تتوقف على العوامل الوراثية فتغيرها تتغير الصفات ولكننا لم ننف انما تتغير بطرق أخرى وقد بينا العلاقة بين الوراثة والمحيط وتعلق الواحد بالآخر فلا حاجة للاعادة . وبيت القصيد من بحثنا الآن ان نعرف هل الصفات العقلية تختلف باختلاف العوامل الوراثية . ان التجارب التناسلية والوراثية تؤيد هذه الحقيقة فالنظام الوراثي يبين لنا كيف تنتقل الصفات من الآباء الى الابناء بقانون مندل والاتصال الجنسي الخ وهذا دليل كاف على ان الصفات العقلية تنتقل بالوراثة . فان النظام التناسلي ينطبق على الانسان كما ينطبق على الحيوان ففي الانسان ٤٨ كروموسوماً تنشط ٢٤ زوجاً في الابوين وتنتقل الى الابناء وتورث . ومن قوانين الوراثة ان البنية وطول القامة وقصرها والصفات الفسيولوجية والاخلاقية والسلوكية والعقلية تتوقف على العوامل الوراثية ولا يوجد صفة من الصفات لا تتأثر بها . فهل هناك صفة لا تتأثر بها وهل بعضها يتأثر بالمحيط

نلجأ الآن الى التجارب العلمية ونستنيها فنطبقها على الحيوان اولاً ثم نرى اذا كانت تنطبق على الانسان . ان الصفات السلوكية في ذباب الفواكه تتغير بتغير العوامل . والعامل الدافع لهذا الذباب لكي يتجه نحو النور موجود في الاكس كروموسوم ومركزه في النقطة ٢٧،٥ من مصوّر الكروموسومات الخاص بالذباب المذكور . فوجود هذا العامل بحالة خاصة يجعل الذباب يطير للجهة التي يأتي منها النور Positive Phototaxis ومعناه الانجذاب الايجابي نحو النور . ووجود ذلك العامل بحالة أخرى لا يجعل الذباب يطير نحو النور . فهاتان الصفتان



المختلفتان تنتقلان بالارث الجنسي فلو زواجنا الآباء التي تطير نحو النور بالامهات التي لا تطير نحوه فان صفة الطيران نحو النور لا تظهر في الابناء بل في البنات وثمة عدة صفات اخرى حسية في الحيوانات تنتقل بهذه الطريقة . ان الالفة والوحشية تتوقفان في الحيوانات على العوامل الوراثية فبعضها تكون اليفة وغيرها وحشية . وتتوقف في الانسان بعض صفات الحس عليها فعمى اللون وهو من الصفات الوراثية ينتقل بواسطة الكروموسوم X بالاتصال الجنسي وكذلك قوة النظر والسمع وضعفهما يورثان بطريقة مندل وقوة العقل وضعفه يتوقفان على العوامل الوراثية ويورثان بحسب قانون مندل . ومما يدل على ان هذه الصفات وراثية تكرر ظهور صفات متشابهة في العائلة الواحدة او فيمن يمتثلون بعضهم الى بعض بقراءة شديدة حينما لا يكون اختلاف في محيطهم . وعليه نرى استمداداً لبعض انواع الجنون يسري في أعضاء العائلة الواحدة . ولا يعني هذا ان الافراد الذين فيهم هذه العوامل يصيرون مجانين حقاً بل معناه انهم ينجنون في احوال لا تؤثر في غيرهم اذا لم تكن فيهم تلك العوامل ( اي عوامل الاستعداد للجنون ) . اننا نعلم ان البلادة والبطء وغيرها من الخصال تتوقف على مقدار افراز الغدد الصماء ونوعه ويتوقف هذا بدورها على العوامل الوراثية فالاشخاص الذين لا تفرز غددهم الدرقية الافراز الكافي لا تنمو مواهبهم العقلية النمو المطلوب فيصيرون قوماً « بلهأ » ومتى أعطينا خلاصة هذه الغدة زول منهم هذه العاهة . ولدينا عدة شواهد من هذا القبيل اتينا على ذكرها لما بحثنا في الغدد الصماء . ويظهر لنا ان توقف الصفات العقلية على العوامل الوراثية لا يكون رأساً بل بواسطة الغدد الصماء التي بدورها تتوقف على العوامل والصفات العقلية تتوقف على هذه الغدد فأى خطر يطرأ على العوامل يؤثر بالغدد وهذه تؤثر بالصفات العقلية

ان سلوك الفرد يتوقف على تأثره بالمؤثرات او هو ملائحته للاحوال ( الماضية والحاضرة والمستقبلية ) التي تصادفه . والمؤثر الداخلي هو العقل ولا يتجاسر احد ان يقول ان لعلاقة لسلوك الانسان باحوال الحياة فسلوكه حين وجود الطعام يختلف عن عدمه فما اثر العوامل في هذا السلوك . من البديهي ان العوامل لا تؤثر في الغدد تأثيراً مجرداً عن الظروف التي تحيط به بل تجعل التأثير تحت الظروف الواحدة مختلفاً باختلاف الافراد . فان بعض الافراد يتأثر بجزء من المحيط وبعضهم يتأثرون به كله وآخرين لا يتأثرون بتأثيراً ويكون بعضهم سريع التأثر وغيرهم بطيئه فهل العوامل هي المسيطرة على هذا الاختلاف . وهنا تزداد المسألة تعقداً . فان اختبارات الافراد الماضية والاحوال التي تمر بهم اثناء نشأتهم تغيرهم وتغير مبلغ تأثرهم بالظروف فسلوك الشبان يختلف عن الجائع والتعبان عن المرتاح والشخص الذي يعلم شيئاً عن مجيئه وهكذا نرى الشواهد عديدة على اختلاف السلوك باختلاف الظروف ومن البديهي ان للعوامل الوراثية والمحيط تأثير في سلوك المرء وقد ضربنا امثلة كثيرة تبين علاقة الوراثة بالمحيط فما



هي الصفات العقلية التي تنشأ من اختلاف العوامل . بينا ان اختلاف العوامل يولد فروقا في العقل فهي التي تجعل الفرد عاقلاً او مجنوناً فدماء او فهمياً وهي سبب اختلاف قوة الحواس وضعفها واختلاف الذكر والانثى والصفات الجسدية والفسولوجية فهل للعوامل الوراثية تأثير في غير الاختلافات التي ذكرناها عقلية وسلوكية من الصفات المعنوية في الشخص الصحيح ؟ هل لها تأثير في الذكاء وعكسه في حب النفس والتضحية والميل الى الفنون الجميلة كالموسيقى والشعر وقابلية المرء للطب والهندسة والرياضيات وغيرها . من الصعب الجزم في امور كهذه لان ذلك يحتاج الى تجارب دقيقة في توارث هذه الصفات والبشر يعيشون في احوال متباينة ويتعذر ضبط نسلهم بالتدقيق واجراء التجارب عليهم كما نجربها على الحيوانات ولهذا نطبق عليهم النتائج التي نستخلصها من التجارب على الحيوانات . فان درسنا العوامل يربنا انها تحدث فروقا كبيرة في الصفات الوراثية ولكل فرق كبير فروق عديدة صغيرة ولا نرى ما يمنع تطبيق هذه الحقيقة على صفات الانسان العقلية ان هذه العوامل تحدث خمسين لونا من الوان العين في ذباب الفواكه فاذا كان هذا اثرها في تركيب الباب البسيط فاذا نقول في دماغ المرء وتعتقداته التي تحيّر الفكر هل نتظر فيه تنوعاً اكثر . فما لاشك فيه ان تنوع الصفات العقلية والسلوكية ينشأ عن اختلاف العوامل الوراثية وبعض هذه العوامل مقيدة بالمحيط والمحيط مقيد بها كما بينا ولا يوجد عامل خاص لكل موهبة من المواهب البارزة بل في المرء عوامل مختلفة فامحادها بمختلف الاشكال يولد اختلاف الصفات فلو فرضنا ان البشر يعيشون جميعاً في محيط واحد فلا بد من اختلاف صفاتهم نظراً لاختلاف عواملهم الوراثية . ولننظر في مدى تأثير المحيط ونعني بالمحيط كل ما مرّ بالفرد منذ كان خلية واحدة حتى صار شخصاً كاملاً فمحيطه الداخلي والخارجي داخلان ضمن هذا التحديد

ان كل العلماء متفقون على ان جانباً كبيراً من تصرف المرء يتوقف على محيطه الماضي ومعنى ذلك ان سلوك شخصين فيهما نفس العوامل الوراثية (كالتوائم) يختلف باختلاف ما مرّ عليهما فالفرق بين الجوع والشبع والتعب والراحة والعلم والجهل يولد فروقا في تصرف الفرد فما تأثير المحيط في العقل والاخلاق والمواهب وغيرها من الصفات وما مقدار بقاء ذلك التأثير . من الصعب ان نذكر تجارب تكون القول الفصل في هذا الموضوع . فالفردان الموجودان في محيط واحد تختلف عواملهما الشخصية فلا يمكن ان نتخذها حكماً في الامر وأحسن حل لهذه المعضلة التوأمين المنشقان من خلية واحدة فان في كل منهما نفس العوامل التي في الآخر فلا يمكن ان نعزو اختلاف صفاتهما الى العوامل الوراثية لانها واحدة في الاثنين . ووضعهما في محيط مختلف يحل المشكلة ويهديننا سواء السبيل . ومن الاسف ان حوادث كهذه نادرة وتأثير المحيط فيها قليل جداً لدرجة لانستطيع ان نحكم حكماً جازماً في القضية وقبل ان نتبسط في تأثير المحيط نذكر شيئاً عن نشوء التوائم وانواعها لنزيد البحث ايضاحاً وفهماً



## البسات الساخرة

بِرَغْمِكَ مِثْلِي أَيُّهَا الزَّهْرُ تَعْتَدِي  
 وَتُوفِي عَلَى الدُّنْيَا وَفِيكَ ابْتِسَامَةٌ  
 وَمَا بَسْمَتِي إِلَّا مَقَالَةٌ سَاخِرَةٌ  
 وَلَيْسَ يَجَازِي الدَّهْرُ فِي حَالِ غَدْرِهِ  
 أَتَبَسُّمُ مِثْلِي هَازِئًا مَتَرَفَعًا  
 خَلَصْتُ مِنَ الْآلَامِ؟ الْإِبِلُ تَعَدَّدَتْ  
 نَجَوْتُ مِنَ الْقَيْدِ الْمَذَلِّ وَلَمْ تَعُدْ  
 فَطِيرٌ عَنْ حِمَاكَ الْآنَ... لَسْتُ بِنَائِلٍ  
 إِلَى أَنْ يَمُرَّ الْقَاطِفُونَ فَتَنْتَهِيَ  
 نَعَمْ! أَنْتَ مِثْلِي أَيُّهَا الزَّهْرُ مُرْتَغَمٌ  
 وَمَا الْعَطَرُ إِلَّا أَنَّهُ وَتَوَجَّعٌ  
 يَغْنِي شَجِيءُ الْقَلْبِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ

\*\*\*

تَرَدَّدَ فِي أَفْقِ الرِّيَاضِ صَدَى الَّذِي  
 وَمَالَ جَمِيعُ الزَّهْرِ فِي خَطَرَاتِهِ  
 أَقُولُ، وَشَاعَ الْحُزْنُ فِي كَلِمَاتِي  
 وَذَرَفَ مِنْ دَمْعِ النَّدَى قَطْرَاتٍ

مَنْ لَامِلُ الصَّبْرِ فِي



## آثار جرش الفخمة

﴿جغرافيتها﴾ جرش بلدة قديمة تقع على هضاب جلعاد Gilead بعيدة عن طريق السياح على ٤٥ كيلو متراً من مدينة عمان (عاصمة إمارة شرقي الاردن) من الجهة الشمالية ويسكنها الآن نقر من الجرش استوطنوها في سنة ١٨٧٨ م في عهد السلطان عبد الحميد وتحيط بها الجنائن من جميع جهاتها ولذلك فهي تعد من أجمل مدن شرق الاردن

﴿نبذة من تاريخها﴾ ما يعرف عن تاريخ هذه المدينة نزر يسير . فلا يعرف تماماً متى بنيت ومن بناها ولم يصلنا شيء من تاريخها إلا ما نجده من القطع الصغيرة في كتب بعض المؤرخين الاقدمين . فيوسيفوس<sup>(١)</sup> Josephus يقول أن الاسكندر الكبير كان قد فتح المدينة سنة ٨٣ ق.م ويؤيد هذا<sup>(٢)</sup> Jamblichus بقوله أن فريقاً من اتباع الاسكندر كانوا قد سكنوها وخرّبوها وبقيت من ذلك الوقت خراباً إلى أن فتح الرومان هذه البلاد واستعمروها وكان من نتيجة هذا أن بناها المستعمرون في سنة ٦٥ ب.م . وأخذت من هذا التاريخ تنمو وتتقدم حتى أصبحت في أيام الامبراطور انطونينوس (١٣٠—١٨٠) ب.م ثاني مدينة بين المدن العشر<sup>(٣)</sup> Decapolis ومن أهم المدن العظيمة التي كان لها شأن خطير في تاريخ الامبراطورية الرومانية

ولقد ذكرها كثيرون من مؤرخي الرومان والايغريق امثال بطليموس Ptolemy واسترابون Strabo وبلينيوس Pliny وذكرها ايضاً ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان فقال عنها أنها كانت مدينة عظيمة وأنه شاهد فيها آباراً خربة وكان في وسطها نهر جار (وهو لا يزال إلى يومنا الحاضر) يدير عدة رحى عامرة

وذكر المدينة ايضاً فريق من السياح الاجانب الذين زاروا هذه البلاد منهم السائح J. S. Buckingham في كتابه «رحلة بين قبائل العرب» Travels Among the Arab Tribes في سنة ١٨٢٥ م وهو يصف قبور المدينة وآثارها وصفاً اجمالياً . وقد ذكرها ايضاً السائحان الانكليزيان فرنجل واريبي James Frengles & Charles Leonard Irby في كتابهما «رحلة إلى مصر ونوبيا» Travels in Egypt and Nubia فوصفا اعمدة المدينة والشوارع وصفاً وافياً

(١) مؤرخ يهودي عاش سنة ٣٧—٩٥ ميلادية (٢) عاش حوالي سنة ٣٣٠ م . وهو اكبر ممثل للفلسفة الافلطونية الجديدة السورية Syrian Neoplatonism سوري المولد

(٣) وهو اسم يطلق على أهم المدن العشر في الامبراطورية الرومانية في الشرق الادني راجع The Historical Geography of the Holy Land By George Adam Smith pp. 596





هيكل أرتيميس العظيم



انقاض هيكل زئوس المطل على الفورم





المدخل العمومي لهيكل ارميس من الشارع المعبد



ختم صلصالي لعلي بن ابي طالب وجد في جرش

امام صفحة ٨٥

مقتطف يناير ١٩٣٣



## آثار جرش

مقدمة : — إن آثار هذه المدينة هي من أروع ما هو باقٍ في هذه البلاد من آثار العمران القديم . فالأعمدة الكبيرة القائمة في وسطها والمعابد الكثيرة المنتشرة في أرجائها تترك في النفس أثراً لا يزول مع مضي الأيام ولا غرو في ذلك إذ أن فترة استعمار الرومان لهذه البلاد كان من دون شك هذه المدينة وهي تقع في مربع غير هندسي طول ضلعه الواحد ما يقارب الميل ويحيط بها سورٌ سمكه ٨ أقدام ولهذا السور ستة أبواب<sup>(١)</sup> . واليك الآن أهم ما فيها من الآثار

## (١) قوس النصر : (The Arch of Triumph)

عندما نصل إلى المدينة من الجهة الجنوبية يقع نظراً أولاً على قوس النصر القائم على ثلاثة أقواس ، منتصفاً مزيناً بأربعة أعمدة عليها طائفة من النقوش الجميلة . وإذا ما دخلنا هذا القوس وجدنا على يسارنا ، وذلك بعد السير مسافة قصيرة ، ملعباً كبيراً كان الرومان يقيمون فيه ألعابهم ويظهر من البناء أنه كان يستعمل أيضاً للالعاب المائية ويقال أنه كان يستعمل للعبة الكرة والصولجان<sup>(٢)</sup>

ومساحة هذا الملعب تقرب من ٦٠٠ ياردة مربعة وعلى بعد ٣٠٠ ياردة شمالاً من قوس النصر بوابة المدينة كانت تدعى بوابة فيلادلفيا وهذا الاسم هو الاسم القديم لمدينة عمان الحالية

## (ب) معبد زئوس أو المعبد الجنوبي The South Temple

وبعد المرور من هذه البوابة إلى داخل المدينة نجد على يسارنا معبداً قائماً على مرتفع يحف به صفان من الأعمدة في كل صف منهما ثمانية أعمدة . ولم يبق من هذه الأعمدة في محلها سوى خامود واحد وكانت مساحة المعبد الداخلية تساوي ٥٠ ٪ / ٧٠ قدماً مربعاً

(ج) الملهى العمومي Theater : إلى الجهة الغربية من هذا المعبد ملعب كبير يرتفع من باحته مدرج مؤلف من ٢٨ حلقة من المقاعد وهو على حال حسنة من العمران ومقاعد مقسمة وهي لا تختلف كثيراً عن تقسيم مقاعد بعض انديتنا في هذا الوقت وكان الرومان يمثلون فيه رواياتهم المسرحية (د) : الميدان (The Forum)

وهو بيضوي الشكل تحيط به الأعمدة الايونية<sup>(٣)</sup> . ويبلغ محيطه ٣٠٨ أقدام . أما الغاية منه فيقول الدكتور<sup>(٤)</sup> C. S. Fisher أنه كان محلاً للاجتماعات السياسية والاجتماعية وارضه مرصوفة بحجارة جميلة في دوائر متوازية ذات مركز واحد ويقال أنه كان يستعمل أيضاً باحةً للأسواق ويوجد حوله الآن ٥٧ عاموداً قائماً ولا يمكن أن يكون هنالك أكثر من ١٠٠

(١) راجع ما هو مكتوب عن جرش في دائرة المعارف الانكليزية Encyclop. Britannica

(٢) وهي لعبة اصلها فارسية انتقلت الى الهند ولقد قلها الانكليز عن الهنود الى بلادهم في سنة ١٨٦٩ م

(٣) راجع Murray's Hand Book of Palestine & Syria (٤) استاذ كبير في علم الآثار قضي

سنين عديدة في مصر وسوريا وفلسطين منقياً عن بعض الآثار ولقد كان رئيساً لبعثة جامعة في جرش



عامود وهذا يظهر من الآثار الباقية الى الآن ويتبين طول العامود الواحد من ١٦ - ٢٠ قدماً  
(هـ) الشارع العمومي (The Main Street)

وهو يمتد من الميدان إلى نهاية المدينة من الجهة الشمالية ، وعلى جانبه أعمدة كورنثية .  
ويقطع هذا الشارع شارع آخر في زاوية قائمة وفي نقطة التقاطع تقوم أربعة أحجار كبيرة طول  
الواحد منها ٧ أقدام وعرضه ١٢ قدماً وسمكه ١٢ قدماً ايضاً . ويوجد على جانبي هذا الشارع  
أعمدة كورنثية كالشارع الاول وهو يمتد إلى القرية الحالية وذلك بعد ان يقطع النهر الجاري  
في وسطها بحجر كبير مبني من الحجارة الكبيرة

وهذه الحجارة الاربعة « Pedestals » هي مركز المدينة لانها تقع على مفرق بعض الطرق  
ويقع في شمالي الشارع العمومي بوابة الشام ولقد تقب عنها حديثا الماجور هورسفيلد Horsfield<sup>(١)</sup>  
وهي تشابه في هندسة بنائها بناء بوابة فيلادلفيا Philadelphia الواقعة جنوب الشارع المذكور  
(و) : معبد أرتميس Artemis<sup>(٢)</sup>

يحسب هذا المعبد من أعظم آثار جرش واروعها يقع على رابية تشرف على البلد من  
جميع نواحيه وهو على حالة لا بأس بها من العمران ويرجع هذا إلى عدم تأثر بنائه بمجوات  
الزمان كالزلازل والحروب . ويحيط به حائط أساسه لا يزال موجوداً . وجدران هذا المعبد  
استعملت في العصر المسيحي كحجر لكثير من الناس . وتدل الحفريات الاخيرة ان العرب استعملت  
هذا المعبد حصناً ولقد تخرب هذا الحصن على أيام بلدوين الثاني Baldwin II في سنة ١١٢١ م  
وأعمدته الباقية في الجهة الشرقية منه لا تزال قائمة على ما كانت عليه والدهليز الذي تقع عليه  
هذه الاعمدة الفاخرة ظهر بعد ان تقبوا عنه سنة ١٩٣٠ . وكان يتعبد في هذا المعبد كثيرون  
من عبدة الاصنام ولكن لما جاءت النصرانية قل عدددهم وضعف شأنهم ولم يكن منهم الا ان يتركوا  
معبدهم للمسيحيين الذين استعملوا كثيراً من فسيفساء المعبد وحجارته فيما بعد في بناء كنائسهم  
جرش والبعثات الاثرية

كانت جرش ولا تزال قبلة لكثير من السياح وكان بعضهم يأتيها على سبيل درس آثارها  
ومعابدها ومن أهم من قام بهذا العمل العالم الالماني Gothlieb Schumacher<sup>(٣)</sup> شوميكير  
الذي تعد اعماله أساساً لمن جاء من بعده . وكذلك العالم Puchstein<sup>(٤)</sup> فانه قام ببعض الحفريات  
للمبحث عن بعض النقوش الخطية

(١) وهو من كبار الموظفين الانكليز في حكومة شرقي الاردن

(٢) اراجع Preliminary Report of Jerash Campaign 1931 By Dr Fisher & Dr McCown

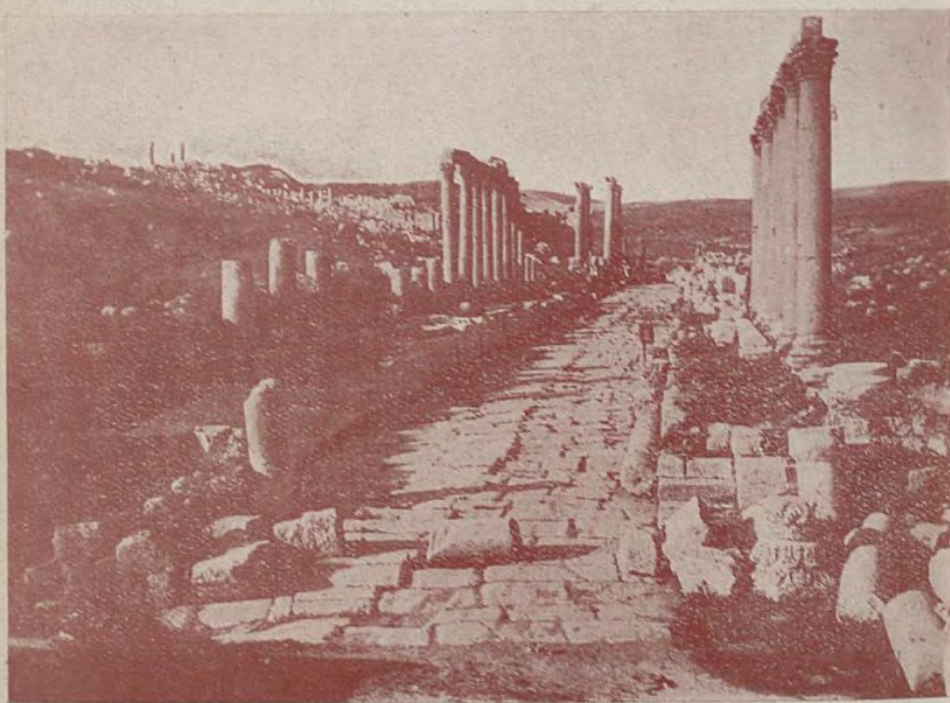
(٣) مهندس الماني كان يعيش في حيفا وكان يشتغل لحساب Palestine Exploration Fund

(٤) عالم الماني جمع وقرأ النقوش الخطية التي وجدت على سطح الارض في جرش . ولكن بعد التنقيب  
الحديث تمكنت البعثات الحديثة من العثور على ما يزيد عن ٢٠٠ نقش خطي وهي مكتوبة على حجارة صغيرة  
وكبيرة في الحجم واكثرها مكتوب باللغة اليونانية وقليل باللغة اللاتينية وايضا باللغة العربية



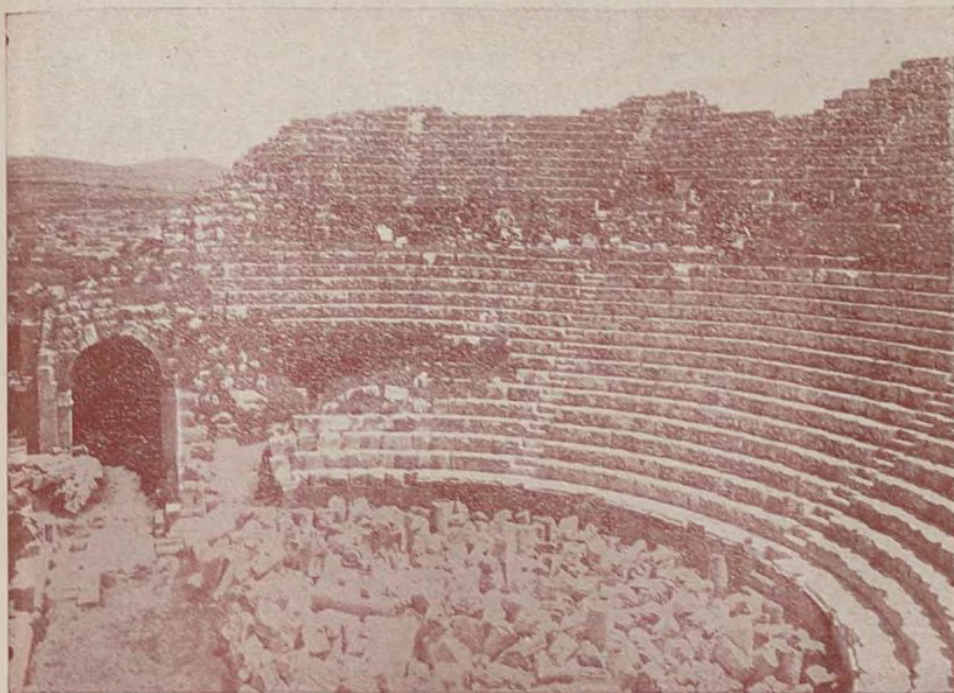


قوس النصر في الجانب الجنوبي من المدينة



الشارع العام وهو معمد على الجانبين وطوله نحو ١١٠٠ متر





المسرح الذي كان يتسع لاربعين الفاً من المشاهدين



بعض الاعمدة حول الفورم



وعندما احتل الانكليز هذه البلاد اشتركت حكومة شرق الاردن وحكومة فلسطين وارسلتا بعثة تحت رئاسة الاستاذ جارستانغ Prof. Garstang (أحد رؤساء دائرة الآثار في فلسطين سابقاً) وأستاذ علم الآثار في جامعة ليفربول في الوقت الحاضر) لترميم عمارات المدينة ثم قام بالحفر بعد هذه البعثة الاستاذ كروفوت Crowfoot (وهو أحد رؤساء دائرة المعارف في السودان سابقاً) فرسم كثيراً من خرائط الكنائس والمعابد. أما البعثة التي قامت بعملية الحفر في سنتي ١٩٣٠ و ١٩٣١ فكان يرأسها الدكتور فيشر ممثلاً لمدرسة الآثار الاميركية في القدس بالاشتراك مع جامعة يال Yale

وأهم ما قامت به بعثة سنة ١٩٣٠ كان ما يلي (١)

- (١) التنقيب حول معبد أرتميس Artemis والعثور على دهليزه
  - (٢) الحفر حول بعض الاماكن التابعة لهذا المعبد
  - (٣) الحفر حول بعض الاماكن التي تلتقي نوراً على تاريخ المدينة بوجه إجمالي
- أما نتائج الحفر فكانت

- (١) العثور على كثير من آثار العرب والبيزنطيين والرومان في هذه المدينة
  - (٢) العثور على فسيفساء جميلة ذات ألوان زاهية
  - (٣) العثور على بعض من القبور البيزنطية
  - (٤) العثور على معبد صغير على مقربة من معبد Artemis
- أما نتائج ما قامت به بعثة سنة ١٩٣١ فكانت (٢)

- (١) الحفر في «الميدان» forum والعثور على بيوت حجرية عربية يرجع تاريخها إلى سنة ١١٠٠ م
  - (٢) العثور على كثير من النقوش الخطية
  - (٣) إثبات أن الجهة الجنوبية من المدينة كانت اقدم محل فيها
  - (٤) التنقيب حول بوابة فيلادلفيا وكذلك حول قوس النصر
  - (٥) العثور على ختم مكتوب عليه بالعربية «علي ابن ابي طالب» أما الخط فليس بكوفي وهو الخط الذي كان يستعمل في عهد الخليفة المذكور وعليه فلا يعرف تماماً ان كان هذا الختم هو الختم الحقيقي للخليفة الرابع أو انه كان لاحد عماله أو هو ختم مقلد فقط. وهذه مسألة أتركها للمختصين بتاريخ العرب
- داود . ت فيشر

(١) راجع المقال المكتوب عن جرش في Bulletin of the American School of Oriental Research No 43 Oct. 1931 by Dr. C. C. McCown.

(٢) راجع المقال المكتوب عن جرش في المجلة نفسها عدد ٤٥ في شهر فبراير سنة ١٩٣٢ . وايضاً The Campaign at Jerash in Sep. & Oct. by Dr. C. S. Fisher



# الحضارة الفينيقية

وتأثيرها في التمدن القديم

للشيخ بولس مسعد

عن رفقة فينيقية بمصر

اثباتها بالآثار الناطقة

آثار جبيل

اجمع المؤرخون وعلماء الآثار على ان علاقة فينيقية بمصر انما هي علاقة تاريخية قديمة العهد قائمة على اساس راسخ من المصالح المتبادلة بدليل ما وجد في غير مكان اوري من ساحل لبنان ولا سيما في جبيل المدينة الفينيقية الشهيرة من التحف الاثرية المهداة الى ملوك المدينة من فراعنة مصر وفي جملتها الآنية الخزفية التي استخرجت من مدفن اكتشف فيها سنة ١٩٢٢ وقد نقش عليها اسم امنمحت الثالث وخليفته (١٧٩٣ - ١٨٠٠) امنمحت الرابع . ومنها تحف اخرى وجدت في برين من القبور الخمسة التي اكتشفت هناك لامراء جبيل الذين عاصروا الفراعنة في تلك الحقبة وعلى هذه التحف كتابات هيروغليفية متقنة . ومما قاله المسيو مونتة استاذ علم الآثار المصرية في جامعة ستراسبورج واحد اعضاء المجمع العلمي الفرنسي في مصر وهو الذي عهد اليه معهد الآداب العلمي في باريس في التنقيب عن الآثار في جبيل : ان الآثار التي عثر عليها هناك تدل على ان لتاريخ جبيل علاقة وثيقة بتاريخ مصر ولا سيما من الوجهة الاقتصادية فان الفراعنة كانوا يعملون على جبيل في استيراد ما لا تنتجه ارض مصر من الاخشاب الصلبة والمواد الاولية الضرورية . والكتابات التي وجدت تدل على انهم جردوا الجمالات منذ اربعة آلاف سنة في طلب هذه المواد ولا سيما خشب الصنوبر والارز والجوز والسنديان والخرنوب لانهم كانوا يصنعون منه الزوارق المقدسة وتوايت الكهنة والاسوار الخشبية التي كانوا يقيمونها امام الهياكل . ويستوردون من جبيل السفن القوية التي امتاز الجبيليون بصنعها كما جاء في التوراة . ويستجلبون منها القطران لحفظ الموميات والقار لتحنيط الاجسام لا اعتقادهم ان القار يجعل الاجسام الالهية غير قابلة للفساد . ومن اجل ذلك كانوا يطلون به تماثيل الملوك انفسهم كما يرى في تمثالي توت عنخ آمون وتمثال اوزيريس . والآثار المستكشفة تشير الى ما كانت مصر تعلقه من الاهمية على علاقتها



الحسنة مع فينيقية ولا سيما مع جبيل . ويستدل من كتابة نقشت على مسلة موجودة في متحف تورينو بإيطاليا ان سنفرو من السلالة الرابعة قصد الى جبيل وأخذ منها سفينتين مصنوعتين من خشب العنبر طول الواحدة مائة ذراع . وقد وجد في المكان الذي اقيم عليه هيكل ربّة جبيل عدة اوانٍ بينها تحف مهداة الى ملوك جبيل من بابي الاول وبابي الثاني وميكارينوس وهو الذي شاد احد الاهرام الكبيرة اي ان تاريخ هذه التحف يرتقي الى عهد السلالات المصرية الثلاث الاولى

ولم تقتصر علاقات مصر وجبيل على الوجهة الاقتصادية بل تناولت المسائل الدينية ايضاً بدليل ان المصريين اقاموا هيكلًا لآلهة جبيل في المدينة نفسها كما يتضح من الآثار التي استكشفت . ويستدل من التماثيل والنقوش في هذا الهيكل على ان بناءه يرتقي الى عهد السلالة المصرية الرابعة والى ما قبلها . وفي ذلك دليل ايضاً على ان الفراعنة لم يكرهوا الفينيقيين على انتحال ديانتهم . وقد وجدت كتابة منقوشة على آنية مقدمة الى الهيكل المشار اليه هذا تعريها : « من اوانس المحبوب من الاله الشمسي الموجود على بحيرة فرعون » ومعنى ذلك انه محبوب من الاله المحلي اله جبيل . واوانس يزعم انه محبوب من هذا الاله كما هو محبوب من الشمس الالهة مصر الكبرى التي يمثلها هو . وفي ذلك دليل على ان مقدم هذه الآنية كان سائداً في جبيل كما كان سلطاناً على مصر . واما بابي الاول فانه رفع نفسه الى مقام اله جبيل عملاً بما كان متبعاً في العصور الخالية من اتخاذ الملوك بمنزلة آلهة متجسدة تحمي المدينة وبمنزلة الامثلة الحية للالهة الامون . ولذلك كانت تماثيلهم تزان برسوم ترمز الى سلطتهم السامية . والآثار التي وجدت في هيكل عشتروت المجاور لهذا الهيكل وذكره لوقيان تدل على مقدار السيادة التي كانت لفراعنة مصر على تلك المدينة ، وهذه الآثار وجدت تحت بلاط الهيكل . وهي تدل على انه شيد ما بين القرن الخامس والعشرين والقرن التاسع عشر قبل المسيح اي بين عهدي السلالة السادسة والسلالة الثانية عشرة . وقد تهدم مراراً وكان الرومان آخر من جدد بناءه . على ان عهد بابي الاول في جبيل لم يكن زاهراً ولذلك اعرض الجبيليون عنه دلالة على زوال هبة الفراعنة في تلك الحقبة من ارض الفينيقيين

واظهر ما يستوقف الانظار من الكتابات التي عثر عليها المسيو مونتة ذكر إدونيس المتواتر في تاريخ جبيل مقروناً بذكر عشتروت . وقد وجد بين الآثار التي عثر عليها ملفاً عليه حروف هيرغليفية يستدل منها على انه لاحد ملوك جبيل وقد ورد فيه اسماء الهة نيغا وهي الالهة التي تشير اليها الكتابات المنقوشة على الاهرام . وعثر في جبيل على رسم محفور يمثل اله البلاد والاهتها يعبدان فرعون . وفي ذلك دليل على ان الفينيقيين كانوا يعبدون الهاً والالهة اي ذكراً



وانثى يظهر ان لها علاقة بادونيس وعشثروت وقصتهما مماثلة لقصة اوزيريس وايزيس الواردة في الكتابات الهيروغليفية بمصر كما قال فلوطرخس فان بطل الرواية في « قصة الاخوين » يشبه ادونيس ويسكن وادي نهر ابراهيم يموت فيبعثه اخوه ثم يحول الى شجرة مثل اوزيريس وينقل الى مصر

وقد التى المسيو مونت في المعهد العلمي الفرنسي في القاهرة في ٩ يناير سنة ١٩٢٣ خطبة قال فيها انه كان في جبيل اله الشمس والاهان آخرا ن يحرسان المدينة وان فرعون مصر اعترف جهرأ بأنه صديق وابن هذه الالهة كما انه ابن الاله « رع » . ومغزى ذلك ان هذا الملك ما كان يستطيع ان يطلأ ارض فينيقية من غير ان يعترف بالاله . والخلاصة ان مصر اضطرت بحكم الحاجة الى انشاء علاقات ودية مع فينيقية لتتمكن من الحصول على ما كانت تقتقر اليه من محصولاتها ولا سيما الارز والصنوبر والسنديان والقار والقطران . وبسبب هذه العلاقات عرف المصريون ديانات الفينيقيين فنقلوا بعضها الى بلادهم وانتحلوها

وقد نشرت التيمس الانجليزية رسالة للمسيو مونت آتى فيها على خلاصة اعماله الاثرية في جبيل ومما جاء في هذه الرسالة ان ذكر جبيل ورد في ما كتب عن آلهتها التي كان المصريون يعبدونها او في ما كتب عن محصولات والبضائع التي كانت مصر تستوردها من فينيقية نظير خشب الصنوبر والعنبر والارز والخرنوب والقلفونة والقار . واخذ المصريون عن الجبيليين صناعة بناء السفن لانهم كانوا في حاجة اليها لجلب البخور من بلاد العرب . ووجدت صورة بارزة تمثل احد الفراغة ساجداً لاله جبيل وإلهتها . وعثر على معبدين احدهما مصري والآخر فينيقي وكان امام الاول اربعة تماثيل كبيرة وفي داخله تمثال للالهة يكاد يكون سليماً . أما المعبد الفينيقي فلم يكن باقياً منه سوى البلاط المرصوفة به أرضه وقد وجدوا فيه كثيراً من التماثيل والحلي والكؤوس والاسطوانات واكثر الكؤوس كان مصرياً وعلى بعضها اسماء بعض الفراغة نظير ميغارينوس واوانس وبابي الاول وبابي الثاني . وعثر على غرفة تحت الارض فيها نلوس حجري ضخمة يحوي تحفاً بينها كأس من السبج مطوقة بالذهب وقد نقش عليها اسم امنمحت الثالث الذي ملك على مصر من ١٨٥٠ الى ١٨٠٠ ق.م. وفي شهر سبتمبر سنة ١٩٢٣ عثروا على دهليز صاعد من هذه الغرفة وجدت فيه كتابة هيروغليفية جاء فيها : « ان زو أحد امراء جبيل لم يرد ان ينشئ لنفسه مدفنًا يدفن فيه وحده بل اراد ان يدفن مع والده ليرى احدهما الآخر كل يوم في العالم الثاني » . وعثروا في غرفة أخرى تحت الارض على كثير من الآنية الخزفية المطلية بينها كأس مصرية مصنوعة من حجر رمادي اللون وهي بديعة الصنعة وعلى غطائها كتابة هيروغليفية هذه ترجمتها : « من الاله الكامل الحي ابن امنمحت الشمس الى خدمه دائماً » والمقصود بالخدم أهل جبيل . وحقه جواهر من السبج على قواعد من المذهب وغطاؤها من الذهب



والسبج وحوله أطار ذهبي منقوش على الاسلوب المصري وفي وسط الغطاء كتابة هيروغليفية هذه ترجمتها: «الآله الحي الكامل سيد البلادين ملك مصر العليا والسفلى معزورع المحبوب من تم اله هلمبوليس المعطاة له حياة ابدية كالشمس». ومعزورع أحد الالهة التي كان يعرف بها امنمحت الرابع الذي ملك على مصر من ١٨٠٠ الى ١٧٩٢ ق.م. وهو الذي ارسل هذه الهدية الى ابن ملك جبيل الذي انشأ الدهليز بين مدفن أبيه ومدفنه وقد ورد اسمه في كتابة هيروغليفية على صل منتفخ الاوداج يلتف حول مخرصة من البرونز وهذه ترجمتها: «صنع للامير ابي سخيمو المتوفي — امير جبيل ايب سخيمو ابي المعاد الى الحياة». وفي ذلك ما يدل على ان الفينيقيين كانوا يستعملون الكتابة الهيروغليفية قبل ان استعملوا الكتابة المسماة في مراسلاتهم السياسية بثلاثة قرون ولكن القلم الذي كانوا يكتبون فيه وقتئذ اقرب الى الهيروغليف الحي منه الى الهيروغليف المصري



طوق من الذهب وجد في جبيل سنة ١٩٢٤

وعثروا في مدفن ثالث على تابوت خشبي مزخرف بالقيشاني والذهب وعلى آنية من الخزف بينها مخرصة من البرونز وطوق من الذهب بديع الشكل بمائل الطوق المصري المؤلف من عقود لؤلؤ معلقة بين رأسي باشتين من الذهب مع هذا الفرق بين الطوقين وهو ان العقود ابدلت بسقر باسط جناحيه ويحمل في كل من رجليه خاتماً ذهبياً يرمز الى تجدد الحياة وخلودها. وهناك مدفن رابع عثر فيه على آنية خزفية مزخرفة مع قطعة من اناج البستر نقش عليه بالهيروغليفية ما ترجمته: «الى نفس الامير الشريف شيخ الشيوخ أمير جبيل المعاد الى الحياة»



وهناك كثير من التحف الأثرية الثمينة في جملتها آنية من الفخار وشارات ملكية واسلحة عليها كتابات هيروغليفية مهداة من الفراعنة الى ملوك جبيل وجرار ودلاء وصحون واطباق من الخزف والبرونز وآنية من الرخام عليها كتابات هيروغليفية وقطعة ذهبية تمثل مرتين الملك جالساً امام الصقر وهو شعار فراعنة مصر ومداية ذهبية وحجارة كريمة وخاتم من الذهب وخنفسة من الحبشة وعقود من اللؤلؤ والبلور وسواران ذهبيان وصولجان من خشب وذهب عليه شعار من الفضة يمثل الشمس وسلاح من البرونز بقبضة ذهبية وخنجر ذهبي وعصا من ذهب وخشب وصولجان من البرونز وكأسان احدهما من ذهب والاخرى من حجر وطاسة من الفضة وانا من العظم فيه مسامير من الذهب ورسائع ذهبية وقبضات اسلحة

وعثر بالقرب من جبيل على مدفن يرتقي تاريخه الى عهد رمسيس الثاني في القرن الثامن ق.م. وجد في أحد غرفه ناووس عليه كتابة فينيقية هي اقدم ما وجد من نوعها حتى سنة ١٩٢٥. وقد اكبر علماء الآثار قيمتها لما يتوقعون ان يكون لها من الشأن في تاريخ الاقلام الفينيقية التي لم يستطيعوا الى اليوم ابداء رأي فاصل فيها وهذا علاوة على ما ينتظر ان يستخرجوا من الكتابات التي وجدت في هذا المدفن من الحقائق التاريخية الهامة التي تصلح اساساً لتعيين العلاقات القديمة بين مصر وفينيقية تمييزاً جلياً واضحاً

وقد عثر احدثهم في جوار جبيل على تمثال ذهبي صغير طوله ٨ سنتيمترات يمثل امرأتين مصريتين واقفتين وعاريتين من الملابس ويدا كل منهما منبسطتان على ركبتيها وقد برزت انداؤهما وفي موضع الحمة من كل ثدي حجر كريم وهو مرتكز على قاعدة تدلت من اسفلها حلقة مربوط بها حجر من السيلان . وهذا الحجر معروض الآن في المتحف اللباني

وفي شهر مايو سنة ١٩٣٢ نشر مدير المعارف في لبنان بياناً بأخروا عثر عليه في جبيل من آثار الاقدمين والتحف الأثرية النادرة فقال ما يؤخذ منه ان اعمال الحفر وصلت الى الهيكل الفينيقي الذي يرجع عهد انشائه الى القرن الثامن عشر قبل المسيح وقد عثروا فيه على آثار ثمينة هي انفس ما اكتشف من نوعها حتى الآن . «من هذه التحف فأس من الفضة وثلاثة قووس من الذهب الخالص مثلت على احدها صورة كلب وكبش في غاية الدقة لم يعرف لها مثيل في تاريخ فينيقية ونصال وقبضات من الذهب يتركب منها ثلاثة خناجر واحدى هذه النصال مزدانة برسم رجل فينيقي يركب حماراً بينما اناس امامه يسوقون سعادين وأسداً وماغز. وقبضة ذهبية كسر جفت دقيقة الصنع. وعدة اسطوانات ذهبية وفضية صغيرة دقيقة الصنع. واربعة تماثيل من البرونز المطلي بالذهب محفوظة حفظاً جيداً واكبرها يبلغ طوله ٣٥ سنتيمتراً ويمثل شخصاً واقفاً وعلى رأسه قبعة كاللبادة . وشخص يمثل ابني الهول - السفنكس - طوله ١٢ سنتيمتراً من الشبه (البرونز) المطلي بالذهب»



## آثار صور وصيراء

وهناك تحف أثرية أخرى بالغة منتهى الجمال والدقة في الصنعة وجدت في السنوات الأخيرة سواء كان في جبيل أو في سواها من المدن الفينيقية اللبنانية ولا سيما في صور وصيداء حيث وجدوا عدة نواويس حجرية ورصاصية عليها نقوش جميلة وصور حيوانات وحشرات ممثلة بأشكال متنوعة . وهناك تحف أثرية أخرى بينها آنية من ذهب عليها كتابة هيروغليفيه وثلاثة تماثيل وجدت بين صور وصيداء أحدها محطم والثاني بشكل جذع أو مذبح للتضحية والثالث بشكل سمكة . وبالقرب منها تابوت من الرصاص موضوع في ناووس من الرخام منقوش عليه رسم أبي الهول . ووجدوا في قرية صانوي بحوار صيداء أربعة نواويس من المعدن وناووساً من الرخام وجرتين من الخزف عليها كتابات هيروغليفيه وزهرية خزف وقطعتين من الذهب تملآن صولجاناً وعدة قطع ذهبية أخرى . وعثروا في قرية كفر جرة التابعة لصيداء على مدفن قديم فيه كثير من التحف الأثرية المثبتة بينها آثار مصرية ترجع في تاريخها إلى القرن السادس ق. م. وهناك تحف أخرى وجدت في مدافن فينيقية في تلك البقعة يرتقي عهدها مع آثار كفر جره إلى عصر القضاة أو الكهنة أي إلى الحقبة الفاصلة بين عهدي الاسرتين المصريتين الثانية عشرة والثامنة عشرة وتتناول خمسة قرون تبتدىء في القرن الثامن عشر وتنتهي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وبين الآثار التي وجدوها هناك تحف نفيسة ماثلة للتحف التي عثروا عليها في مدافن الاسرائيليين في فلسطين وبينها كثير من الجعران من حجر الجحش والحجر الكلسي . ووجدوا هناك مدفين آخرين يرتقي تاريخهما إلى عهد الكهنة وعثروا فيهما على ريش فاخر في جملة آنية خزفية وآنية من البرونز وخناجر وفؤوس ونصال وجعران وطابع بشكل عمود وغير ذلك

ومما لا ريب فيه أن الآثار القديمة التي لا تزال مدفونة في هذه المنطقة الساحلية تضارع في عظم شأنها آثار جبيل ولو أن هذه المدينة ذات مكانة خاصة للصبغة الدينية التي كانت لها في ما سلف من الدهر . ونحن في غنى عن القول أن ما استكشف إلى اليوم من آثار الاقدمين ولا سيما آثار الفينيقيين في تلك البقعة الساحلية الممتدة من صور إلى اللاذقية إنما هو عشر معشار ما هو مدفون في أرضها من الكنوز الأثرية التي لو غني باستخراجها وادخارها كلها في المتحف الوطني اللبناني الذي انشئ خصيصاً لها لكانت ثروة عظيمة للبنان وأثراً تاريخياً جليلاً يحدت العالم بحضارته القديمة الممتازة التي كان المسيو مونتة آخر من قال فيها : «أنها تضارع حضارة مصر وكلمدية»



# تعلم اللغات الأجنبية

طريقة جديدة بديعة

« كل لسان انسان ». كذلك جرى المثل العربي القديم. أما وأنحاء العالم المتمدن أصبحت مرتبطة اوثق ارتباط بوسائل المواصلات والمحادثات السريعة وبصلات التجارة المتبادلة، فهذا المثل العربي القديم أصبح ضرورة يقتضيها العصر الحديث

فالمسافر الذي يرحل الى بلاد لا يعرف لغة اهلها تمر امامه مشاهد الحياة وال عمران كما تمر امام عينيه على ستار الصور المتحركة من دون ان ينفذ الى كنهها ، ولكنه اذا كان يعرف لغة القوم تمكن من التغلغل في نفسياتهم فيتحدث معهم بها فيتكشف له الحديث عما يساورهم من آمال وآلام ، ويستطيع أن يقرأ ادبهم فيتسع افق نظره الى الحياة بل يصبح قادراً أن ينظر الى الحياة وال عمران بعيونهم فكأنه يضيف بذلك حياة جديدة الى حياته فيصدق عليه المثل العربي « كل لسان انسان ». ثم اذا كان من رجال المال والاعمال سهل عليه ان يتصل بعماله في البلدان المختلفة ، من غير ترجمان او وسيط ، فيتحدث معهم بلغتهم ، ويبلغ في حديث ساعة من هذا القبيل ، ما لا يبلغه في مراسلات يتبادلها معهم بالبريد في خلال اسابيع او شهور ؟

يضاف الى ذلك ان معرفة الانسان بلغة قوم غير قومه ، واطلاعه على ادبهم وفلسفتهم يمهدها له سبيل فهمهم على ما هم حقيقة ، فلا تذهب به الاوهام والتصورات في تحليل ما يقولون ويفعلون ، كل مذهب . وهذا الفهم دعامة الوئام الدولي ، الذي ينشده العالم في المؤتمرات العالمية من اقتصادية وسياسية وحربية . ونذكر ان بريان داعية السلام في القرن العشرين قال على اثر اتفاق لوكارنو : « لقد تكلمنا لغة اوربية وهي لغة جديدة يجب ان نتعلمها » اشارة منه الى انه تفاهم مع شترزمان الالماني

فتعلم اللغات الحية واجب على ابناء هذا العصر سواء نظرنا اليه من ناحية الثقافة الشخصية او من ناحية المنفعة العملية او من ناحية التفاهم الدولي

\*\*\*

والطريقة المثلى لتعلم اية لغة اجنبية يجب ان تتصف بالصفات الآتية : —  
يجب ان تكون مما يمكن استعماله على حدة من دون ارشاد معلم خاص ، كما يجب ان تكون مما يصلح للاستعمال في فرق التدريس ، جارية على احدث ما عرف في علم التربية من وسائل درس اللغات



ويجب ان تمكن المتعلم من التحدث بها في موضوعات الحياة اليومية مع معرفة ما يجب معرفته من قواعدها بوجه عام ليكون الكلام بها سليماً من الخطأ المزمري  
ثم يجب ان تمكن المتعلم من التفكير باللغة نفسها مباشرة لأنه اذا فكر بلغته الاصلية وجب عليه ، لدى المحادثة ان يترجم الكلام لفظاً لفظاً وعبارة عبارة ، فلا يسلم حينئذ من العجمة علاوة على التردد والتعثر في اثناء الكلام  
يضاف الى كل ذلك ان طريقة التعليم يجب ان تمكن المتعلم من النطق باللغة كابنائها وبلهجتهم فاذا خاطبهم بها لم يحسب بينهم غريباً

\*\*\*

قرأنا منذ بضع سنوات كتاباً للكاتب الانكليزي المشهور المستر ولز ( H. G. Wells ) عنوانه « خلاص الحضارة » عرض فيه ، في فصل مسهب لمشكلة التعليم والطرق التي يجب ان تتبع لكي يخرج المتعلم كامل التعليم منقفاً مهذباً يصلح ان يعيش في عالم يقتضي الترابط بين اجزائه التفاهم التام بين طوائفه وشعوبه . وفي الصفحة ( ١٦٠ - ١٦١ ) قال ما يأتي في تعليم اللغات : —

« ان المدرسة الحديثة يجب ان تحتوي على عدد كبير من الجراموفونات . ولكنها لا تستعمل في تعليم الموسيقى والتمرينات الرياضية فقط بل في تعليم اللغات كذلك . فبدلاً من ان يضطر معلم اللغة الى التظاهر بأنه يجيد اللغة الأجنبية التي يدرسها لتلاميذه ، وهو لا يعرف الا مبادئها ، يصبح عوناً لاداة التعليم الكاملة — وهي الجراموفون .... وفي السنة الاولى من تعلم اية لغة اجنبية يساير المعلم اقراص الجراموفون فيتعلم التلميذ منها اللهجة السليمة والنطق الصحيح . وتدرس كل لغة في مختلف اقطار العالم بلهجة واحدة ومقدار واحد من المصطلحات — وهو عمل مرغوب فيه »

كانت امنية المستر ولز مقدمة لاستنباط الطريقة الجديدة في تعلم اللغات التي جعلناها موضوع هذا المقال . فان المستر رُسْتِنْ تدبّر امنية المستر ولز بعد ما عالج تعليم اللغات خمساً وعشرين سنة وخبر نقائصه ومقتضياته فخطر له ان يحقق هذه الامنية فانشأ طريقة النجوافون

وأساس هذه الطريقة ان من يرغب في تعلم لغة اجنبية يجب عليه ان يتعلمها كما يتعلم الطفل الكلام . فان الطفل يصغى اولاً الى من يتكلم حوله فتخزن ذاكرته الاصوات ومعانيها ، فاذا فضجت اعضاء النطق فيه نطق بالالفاظ كما سمعها من والديه واخوته وغيرهم ممن يحيط به . فجاء المستر رستن بأستاذ انكليزي فوضعا ثلاثين درساً انكليزياً تتناول موضوعات الحياة اليومية ووضعا لكل درس صورة تحتوي على الاشياء المذكورة في الدرس . ثم جعل الاستاذ ينطق



بالجمل التي في الدرس ، بما هو مشهور عنه من سلامة اللهجة وفصاحتها ودون ذلك على قرص من اقراص الجراموفون . وطبعت الجمل في صفحة من كتاب امام الصورة . وفعلنا ذلك في بقية الدروس . وهذه الدروس مفسرة بلغة كل طالب الخاصة . فهي مفسرة بالالمانية للالمانى وبالفرنسية للفرنسي

فاذا شاء رجل ان يتعلم الانكليزية أخذ هذه الاقراص التي دوت عليها الدروس المختلفة ، ووضع القرص الاول على الجراموفون وأداره وجلس يصغي اليه . وهو ينظر الى الصورة . فيتعذر عليه اولاً ان يتبين الالفاظ ومقاطعها . ولكنه يعيد الكرة على القرص نفسه ثانية وثالثة ورابعة حتى ترسخ الالفاظ في ذهنه . وهو في اثناء ذلك ينظر الى الصورة فيربط بين الاسماء ومسمياتها . فيتعلم اللغة الأجنبية كما يتعلم الطفل لغة والديه ثم ينتقل الى الدرس الثاني فالى ما يليه وهو في خلال ذلك يزداد تبيناً للالفاظ ومقاطعها ، وفهماً لمعانيها ، فاذا حاول بعد بضعة دروس ان يقول جملة باللغة الجديدة التي يتعلمها قالها بداهة باللهجة ابنائها من دون ان يعتمد الى ما يريد ان يقوله ثم الى اختيار اللفظ الموافق له ثم الى التفكير في بناء الجملة بحسب القواعد المرعية

هذه هي الفكرة التعليمية التي تقوم عليها الطريقة الجديدة . وقد جربت فوفت بالغرض المقصود ايّما وفاء . وهي تستعمل الآن فيما يربي على ٨٠٠٠ مدرسة في انكلترا والمانيا والسويد والنرويج وفرنسا وغيرها . وشهد لها كبار الادباء والمعلمين بالفائدة التي تجني من استعمالها . وقد قرأنا عن فتى كان يتعلم في المدرسة بلندن اللغة الاسبانية وكان يستعين على تعلمها بطريقة اللنجوافون في داره ، فلما جاء الممتحن الاسباني الى لندن ليمتحن الطلاب ، عجب للهجة هذا الفتى الاسبانية وسأله في اية مدرسة من مدارس اسبانيا درس اللغة الاسبانية

\*\*\*

ولما وثق المستر رستن من وفاء هذه الطريقة بالغرض التي انشئت له استعان با كبر اساتذة اللغات في البلدان المختلفة لوضع دروس في اللغات المختلفة فثمة دروس انكليزية لالبناء الالمان والفرنسيين وغيرهم وثمة دروس فرنسية لالبناء الانكليز والالمان والايطاليين وغيرهم ودروس المانية لالبناء الفرنسيين والانكليز ودروس ايطالية واسبانية الخ والمعهد معني الآن بوضع الكتب والدروس اللازمة للناطقين بالعربية

واذا كان ثمة من يعرف لغة من اللغات واراد ان يتوسع في ادبها وجد اقراصاً في بعض اللغات وقد دوت عليها قطع ادبية مختارة كما يتلوها افصح الفصحاء ، والى جانبها كتب في تفسر ما غمض منها . فالطريقة مستكملة للشروط التي يجب ان تتوافر في تعليم لغة اجنبية وعندنا انها من افضل ما ينفق فيه المثقفون جانباً من اوقات فراغهم

هذه  
وبرمي  
وقد  
على  
ولا  
الهاي  
الذي  
من  
«  
جا  
الفلس  
ذري  
الك  
وكذ



# الفيلسوف سبينوزا

على ذكر الاحتفال بانقضاء ٣٠٠ عام على ولادته  
من كتاب « الفلسفة في كل العصور »

انتهت من تأليف هذا الكتاب معتمداً بضعة عشر مؤرخاً للفلسفة من اشرى رجالها ، في  
اوربا واميركا ، كاردمن ، وتلي ، ولوس ، وترز ، ومارفن ، وجانيه وسيل وغيرها  
وبعد انجاز التأليف اسعدني الحظ برعاية طائفة من اساتذة الفلسفة ومساعدتهم فجاء سفر  
نقياً مضبوطاً ، سهل المأخذ ، وافياً بالمرام ، في تاريخ الفلسفة وزعمائها ، ومذاهبها ، وتطورها ، وعصورها  
وتلبية لرغبة القارئ قدمت له المقالة التالية في « سبينوزا » ، سادس خمسة هم اساطين  
الفلسفة في كل ادوارها وهم : افلاطون . ارسطو . ليس . ديكارت . ليبنتز . كنت : والسادس  
« سبينوزا » والكلام فيه مقسم الى ثلاثة اقسام ، هي ترجمته ، وفلسفته ، ورأيه في الخلاص  
(١) ترجمته

ولد « باروخ سبينوزا » بامستردام هولاندا ١٦٣٢ . وهو من اصل يهودي برتوغالي .  
هذه الرتباني « موسى اوتيريا » ، وهو مفكر يذكركنا بأتباع « ابن ميمون » المدرسين  
ويرمي الى التوفيق بين الفلسفة والديانة اليهودية  
رفض « سبينوزا » شرح التوراة بحسب فلسفة « ارسطوطاليس » . واثقاً « بابن عزرا »  
وقد قرأ الادب الجرمانى على الطبيب « فرنز فان دن اند » وهو زنديق شهير ، والطبيعات  
على الطبيب « لودويغ ماير » . وحرمة المجمع الاسرائيلي سنة ١٦٥٦ ، فلم يكلمه احد حتى  
ولا شقيقته ، لانهم حسبوه كافراً . فلاذ رجل يدعى « برينسبرجر » . وبرز امستردام الى  
الهاي . وعاش مع « فندبريسبيك »

ولم يؤلف شيعة ، على ان كل فلسفة بعده ممتزجة كثيراً او قليلاً بفكاره . وكان الجليل  
الذي تلاه ينبذه نبذ الخداء المرقع . لكن « لسنغ » رده الى شهرته . فدهش « جاكوبي »  
من كون « لسنغ » سبينوزياً ، ولا فلسفة عنده الا فلسفة « سبينوزا »  
ثم وجه « هرر » الانظار الى كتاب : الاخلاق : اشهر مؤلفات سبينوزا ، ولقبه  
« شليرميخر » : بالقديس المحروم ، ودعاه احد الشعراء : الانسان النشوان بالله ، ثم لفت  
« جاكوبي » اليه نظر شاعر المانيا العظيم « جيته » . فقرأ هذا كتاب « الاخلاق » فوجد فيه  
الفلسفة التي تصبو اليها نفسه . فارتقى باعتناقها من الغرام الممجى ، الذي ساد اشعاره ، الى  
ذرى الشعر الفلسفي . وبلغ « نخت » « وشلنغ » و« هيغل » مذاهبهم المتنوعة في « الوهية  
الكون » بمقارنتهم فلسفته باستمولوجيا ( فلسفة المعرفة ) كنت

وقد تولدت : ذاتية : فلسفة « لسنغ » من عبارة « سبينوزا » الشهيرة : حفظ الكيان :  
وكذلك شعار فلسفة كل من المفكرين « شوبنهاور » و« نيتشه » و« برغسن » . فشعار الاول : الارادة .



والثاني : القوة . والثالث النشاط . وعلا قدر «سبينوزا» في انكسارها مع انتشار الثورة . وترجم «شلي» رسائله في : الدين والسياسة . و «جورج اليوت» كتابه في الاخلاق . ومات سنة ١٦٧٧ . وفي القرن الثاني بعد وفاته اقاموا له في هولندا نصباً عديم المثال «دورانت» (٢) فلسفته

«سبينوزا» تلميذ «ديكارت» من حيث المنطق والمنهج . الا أنه سار بمذهب «ديكارت» الشنائي الى تأليه الكون : معتمداً على اسناد «ديكارت» التصورات الى الله . ويتناول تفكير «سبينوزا» ثلاثة موضوعات : الله والطبيعة والانسان ، او الجوهر وصفاته وصيغته [جانبه وسيل]

### ﴿الله﴾ : الله اول الفلسفة وآخرها

قسم «سبينوزا» الكون الى قسمين متمايزين مجموعهما الله . وكانت فلسفته جانحة الى مذهب «ديكارت» بحذف الله من الكون ، كأنه لا صلة له تعالى به . واساس ذلك عنده ماهية الكون ، التي بها تتلشى الاشياء . ونقطة تفكيره هي : ان الاشياء المحدودة وهمية غرض الفلسفة عند «سبينوزا» الهرب من عالم الظاهرات ، التي لا تهب سعادة حقيقية ، واحراز النعمة التي يهواها العقل والقلب ، ولا يدانيها تغيير وهي وحدها الجديرة بحببتنا ، لانها وحدة الكون السرمدية ، التي تضم في ذاتها الاشياء الفانية ، وتهب لها اليقينية . وبلغه دينية هي — الله — فعوض استبداله تعالى من الاشياء ، اذا هو هي . فقادنا نقصها الى كماله . فان الفلسفة تتناول الواحد اليقين ، لا الاشياء الفانية

(المؤلف : لكي نفهم فلسفة «سبينوزا» نرجع الى الميتافيزيقا التي يعتددها واليك بيانها) الجوهر والصفات والصيغ : تندرج كل حقيقة تحت ثلاثة رؤوس : الجوهر ، والصفة ، والصيغة الجوهر : وهو ما وجد بذاته (دون استناد الى آخر) ، وفهم بذاته (دون افتقار الى ما سواه) الصفة : هي ما صاغها الفهم كلباب الجوهر ، او خلاصته الصيغة : او تطور الجوهر : هي ما قام بغيره ، وفهم به

فالجوهر واحد ابدأ . لان المادة والعقل (وهما صيغتان) يقومان بالله ، لا بذاتهما . والماهية واحدة ، ازلية ، غير محدودة ، هي مناط الاشياء كافة . اما الصفات فلباب تلك الماهية ، والاشياء تغيرات الصفات او تطوراتها ، وهي فانية . وان علاقة الله بالكون طبيعية ، لا منطقية ﴿الصفات﴾ : صفات الله لا تصح عدداً ، لكننا نعرف منها اثنتين فقط ، هما : الفكر والامتداد . فالفكر يحرك المادة ، والمادة تثير الفكر ، فهما متفاعلان . وبينهما تمام المطابقة . فكل صيغة فكر ، هي صيغة امتداد . ولما كان لا تداخل بين الفكر والامتداد فالفكر يتوضح بمنهج فكري ، والامتداد بصيغة مادية ، فلا لبس بينهما . وسواء نظرنا الى الطبيعة بالفكر او بالامتداد فالنظام ، او ترابط العلل ، واحد



الله علة تصورها الدائرة في العقل ( هذا هو الفكر ) وهو أيضاً علة وجود الدائرة في الطبيعة ( هذا هو الامتداد ) . فقد انشأ تعالى الصورة في فكرنا بصفته الفكرية ، وأوجدها في الطبيعة بصفته الامتدادية ( المؤلف : يعني «سبينوزا» ان الفكر والامتداد صفتا الجوهر ) الله العلة الاولى لكل الاشياء وهو تعالى كلها ، ولباب وجودها . فالذين نسبوا القصد الى الحوادث الجزئية برهنوا على جهل مطبق . فاذا سقط حجر من علي ، فاصاب احداً فقتله قالوا ان الحادث فعل غائي ، اراد به الله ان يقتل ذلك الانسان . على انه ليس من غاية في الطبيعة . واعتقادنا القصد فيها مبني على تأنيسنا الله . فنعزو كل حادث اليه تعالى عزواً مباشراً . ونبحث في قلوبنا عن قالب نسبك الله فيه ، ناسبين اليه تعالى امثال نقصنا . لذا نرى آلهة الناس تدير الطبيعة خدمة للانسان . فيختار كل واحد طريقاً خاصاً لعبادة الله ، الذي ميزه عن سواه ، ووفق مصالحه . فيصير التميز خرافة سائدة متأصلة في النفوس . على هذا الاساس يحدد الناس في استجلاء الغاية النهائية . فلا يرون في الحرب والزلازل والابوثة ضرراً . وبالرغم من تكذيب حوادث كل يوم اوهامهم ، مبينة ان الخيرات والشرور تصيب الاختيار والاشرار سواسية ، نرى الناس لا يقلعون عن وهمهم

على ان شهادة الطبيعة صريحة ضد وهمهم . فان حرارة الشمس تكون خيراً في حال وشرّاً في حال آخر . وكذلك بلة المطر . وقد تكون هذه وتلك لا خيراً ولا شرّاً ، كالموسيقى فهي خير للمسرور ، وشر للحزين ، وليست هذا ولا ذاك للاصم . فالذين لا يفهمون الطبيعة فهماً صحيحاً يحكمون ، وهما ، بانتظام الاشياء ، فالمتعجب عندهم منتظم ، وغيره فوضى . ويؤثر المرء نسبة النظام الى الطبيعة ، قائلاً : عمل الله كل شيء حسناً

( على ان النظام في عقولنا لا في الطبيعة ) وكذلك الجمال محصور فينا ، في اختبارنا وفي حكمنا . فلا يجوز ان ننسب لله قوى كالتي في الانسان . فاذا كان لله عقل وارادة فهما خلاف ما للانسان . فماذا نصفه تعالى ؟ وهو اكثر من جوهر مجرد ! ... ( روجرس )

### ( ٣ ) الخلاص

﴿ الاستعباد الانساني ﴾ : نحن في ثورة عواطف ، لنقص محبتنا وتقلبها ، لاعتمادنا الاشياء الغامضة المستقبلية ، دون الثابتة . فنحب ونبغض ، ونفرح ونحزن ، ولا ندرك السلام . فنحن عبيد العاطفة والجهل الذين يقيّدان الناس . فاذا لم يكن للانسان يقينية في نفسه فكل جهوده عبث

حين يتوقف حفظ الذات علينا فلنا «فعل» . وحين يتوقف على خارج عنا فلنا «شوق» . فما هو اساس الفرق بين الافعال والاشواق ؟ يرجع الجواب عن ذلك الى الصفات والصيغ . فلنا اذا اعتبرنا ظاهرات معرفتنا العالم ، في احوال وعينا ، فلنا « صيغ » . . . ففيما نظن اننا ند تحسسنا العالم الخارجي لم نتحسس الا شعوراً ، نتج عن التفاعل بين الموضوع وبين حواسنا



باعتبار كونه ناتجاً عن فاعلين فهو (أي الشعور) يمثل أحدهما (التحسس لا الأشياء). وهذا هو تعليم نسبة الحسّ ومرجع هذا التعليم « بروتاغوراس ». فعرفتنا الحسية ناقصة وغير مطابقة وهناك طريقة أخرى لاعتبار العقل الانساني . فانه عدا كونه فانياً ، هو قسم من طبيعة الله . بناءً على كون كل موجود كائناً في الله . فتصوراتنا ، في جوهرها وابعاد حدودها ، ازلية ، فهي مطابقة . فيرجع الفرق بين الافعال والاشواق الى الفرق بين الافكار المطابقة والافكار غير المطابقة . فالاولى كائنة في الله ، والثانية فينا . الاولى أفعال ، والثانية اشواق

والعواطف تصورات ملتبسة او شهوة . والشوق الذي في النفس الى درجة عالية من الكمال هو « لذة » وبالإشارة الى اللذة والالم يجب تحديد العواطف على الصورة الآتية  
الحبة لذة يصحبها تصوّر خارجي : البغض ألم يصحبه تصوّر نجس  
الرجاء لذة غير حاصلة ، ونشأت عن تصوّر شيء مستقبل وهكذا

فلا متلاك الحرية جانبان (١) الهرب من العواطف (٢) الهرب من التصورات غير المطابقة . والفعال واحد . فالنعمة الحقيقية هي المعرفة الصحيحة (سقراط) واعظم خدمة للحياة هي تكميل الفهم والذهن بشبع النفس الناشئ عن معرفة الله وصفاته واعماله . فالتخير ما قاد الى المعرفة . والشر ما طمس معالمها . فقوتنا فهمنا . وضعفنا جهلنا . وليس البغض وحده رذيلة ، بل أيضاً الجبن ، والخجل والذل ، وجهلنا قدر انفسنا . فمن عاش بحسب الذهن يترفع عن الرأفة والخنوع ، ويقابل الحياة بصدر رحيب ، ولا يطيع سوى وجدانه . فالحرية ثمرة الفلسفة يزعم الناس انهم يفعلون احراراً ، لانهم عن وعي يفعلون ، كالطفل اذا جاع فانه يأكل ، وكالجندي في الجبهة ، فانه يجاهد . وقد فاتهم ان الحافز هو وراء الافعال . وان كل الافعال ثمرة الضرورة الالهية (المتحركة في الوجود ، فالانسان ميسر يتوهّم انه مخير) فعلى المرء ان يفهم تلك الضرورة ، لا أن يحاربها

متى رأينا الأشياء في الله ، مرة واحدة ، زالت المعاكسات فينا . فصدر الالم حبسنا ما لا سبيل لنا الى الحصول عليه . فلا يشتاقر المرء الا لما هو في متناول يده . فالقوة تطهر المعرفة وتميزها . ومعرفة الله تتغلب على العواطف . وبذلك تستولي على العقل محبة ازلية . ذهننا حر من الحواجز ، لانه قسم من الاله غير المحدود . «حقائق الاختبار كحقائق البديهة — كلها — مستمدة من الحقيقة الواحدة — الله . عن هذه المعرفة ينشأ شبع النفس . وكلما زدنا معرفة زدنا خيراً وبركةً وحباً لله . وهذا الحب هو حب الله ذاته فينا

يتلخص تعليم الحرية في القواعد الآتية : — ١ : العمل بحسب ناموس الله ، والاشتراك في طبيعته . ٢ : صرف النظر عما ليس في الحول ٣ : عدم البغض او احتقار الآخرين او حسدهم الخ . ٤ : معرفة الامة كيف تحكم وتحكم ، كاحرار لا كعبيد (روجرس)

يمثل سبينوزا ارقى صورة للاخلاق واقسام مذهبه هي : —



١ الله ٢ اصل العقل ٣ اصل العواطف وطبيعتها ٤ قوة العقل او الحرية الانسانية  
 ﴿الله﴾ : اذا كان الجوهر مستقلاً فهو غير محدود. فلا يكون في الوجود الا جوهر  
 واحد. ولا يوصف الجوهر باوصاف الشخصية أو الفردية ، لان تلك الاوصاف مختصة بالمحدود  
 الله والطبيعة واحد . هو المبدأ الفيض في الكون — الطبيعة الطابعة والطبيعة

المطبوعة وعبارته اللاتينية هي هذه *Notura naturan et natra naturata*

﴿الصيغ﴾ : هي اشواق الجوهر وتطوراته . فلا تدرك الا فيه

الانواع سرمدية ، والافراد بائدة ( افلاطون ) يتجلى الجوهر الازلي بطرق لا تحصى  
 في نظام التطورات ، وفي نظام الاجسام . فمجموع التطورات هو العقل المطلق ، غير المحدود.  
 ونظام الصيغ هو حركة وسكون . والاتفاق معاً مجلى الكون . وهذا المجلى سرمدى ، الا  
 ان تتفأً منه تتغير . فالطبيعة جسم عضوي ( كبير جداً ) تتغير صورته وتظل ذاتيته . فاذا  
 رمنا ان تصور الله بصورته الازلية فهو : صفاته غير المحدودة . واذا رمنا ان نتصوره في  
 الزمان فهو الكون . فالله هو الكون [تلى]

منهج «سبينوزا» الرياضي دليل تأثير «ديكارت» فيه . فاليقين الرياضي والفلسفي واحد.  
 لأن الأدلة الرياضية جلية بطبيعتها ، فلا يسلم سبينوزا بالغاية في الكون ، اذ لا غاية في  
 الرياضة . وعنده عوض الغايات تعليلات . فان الفضاء علة الاشكال الهندسية ، بل هو شرط  
 وجودها الضروري . فهي غير ممكنة من دونه . وواضح ان ليس هنالك غاية

فنقطة شروع «سبينوزا» مضمون الكون المنطقي ، لا علة الاشياء او خالقها . والله  
 عند «سبينوزا» الطبيعة . فمن اراد ان يفهم فلسفته فليبدل كلمة ( الله ) حيث وجدها (بالطبيعة)  
 فهو مراده. وتصور انعدام الصيغة ممكن ، لانها بالجوهر تقوم. أما تصور انعدام الجوهر فمستحيل ،  
 لأنه بذاته يقوم (فهو واجب الوجود) وبه تقوم الصيغ . فالازلية مختصة بالجوهر . وهو  
 الوحدة الشاملة . والصيغ جزئية هو مجموعها ، يؤلفها ولا تؤلفه . كالامواج بازاء البحر ،  
 وكالمربعات الصغيرة في المربع الكبير . فقد كان قبلها ويبقى بعدها . الا ان الامواج لا توجد  
 دون البحر ، ولا المربعات الصغيرة دون السطح الذي هي عليه

الانسان مؤلف من صفتين - الفكر والامتداد - فلا يفهم في الله غيرها - لان المثل يفهم المثل  
 ليس الانسان جسداً ، فقط ، ولا ارادة كذلك . لان الاول امتداد ، والثاني فكر .  
 فهو مجموع الاثنين . وقد تكون كلمة «طبيعة» اكثر انطباقاً على الامتداد غير المحدود . فالله  
 والطبيعة ، لفظان يعربان عن الفكر والامتداد ، وهما نعت الكائن . الجوهر شرط ، وكل  
 موجود شرطي . فامتداد الجوهر شرط الهيمولي ، وفكره شرط الفكر . الاول اساس الدائرة في الطبيعة  
 والثاني اساس تصورهما في العقل . الجسم مؤلف من ذرات ، والعقل من تصورات [ اردمن ]



# بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِقْتِصَا

## نظرات في الحالة الزراعية

للمستتر جاردن وزير اميركا المفوض في مصر

المستتر ولیم جاردین وزیر الولايات المتحدة المفوض في المملكة المصرية من اعلام الاميركيين الذين جمعوا الى الاشتغال بالسياسة العلم الغزير والخبرة الطويلة في ميدان الزراعة. وُلد سنة ١٨٧٩ في ولاية ايداهو في مشجر ranch فنشأ وترعرع بين الخيل والماشية حتى ليستطيع ان يفاخر بأن قول المتنبي فكانها نشأت قياماً تحتمهم وكانهم ولدوا على صهواتها

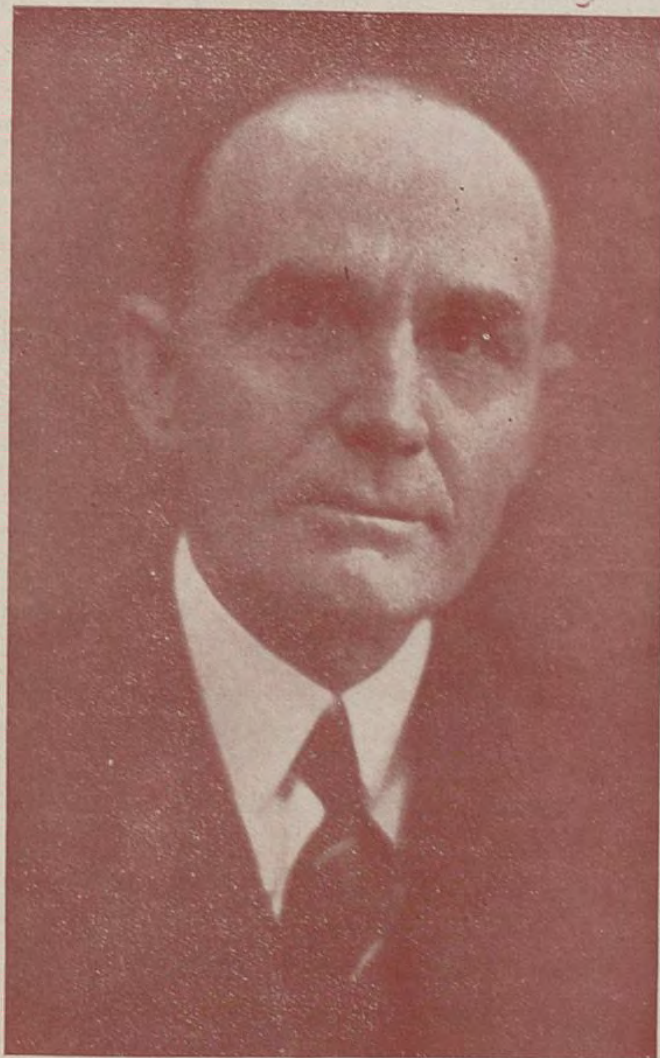
ينطبق عليه . ولما كان في الحادية والعشرين من العمر انتظم في كلية ولاية يوتا الزراعية وتخرج فيها سنة ١٩٠٤ ثم درس فيها سنة ثم تولى ادارة شركة زراعية كبيرة فكان في طليعة الذين استعملوا المحارث البخارية في الزراعة. ثم عاد الى الكلية التي تخرج منها استاذاً في الزراعة. ورأت وزارة الزراعة الاميركية ان تستفيد من خبرته فعينته خبيراً في الحبوب في فرعها الخاص بالولايات الغربية ففوض في هذا المنصب اربع سنوات انشأ في خلالها ستة محطات للتجارب الزراعية في الولايات المتحدة الغربية للبحث في الوسائل التي تمكن الفلاحين من زيادة محصولاتهم رغم قلة المطر . فطارصيته واستدعته كلية كنساس الزراعية للانضمام اليها ففعل وبعد سنتين عين مديراً للأعمال الزراعية وعميداً فيها ثم انتخب رئيساً لها . ولما كان في هذا المنصب دعاه المستر كولج لتقلد منصب وزير الزراعة . والى القراء اثرأ من آثار تفكيره

\*\*\*

تجتاز الزراعة في جميع انحاء المعمورة أزمة من أشد الازمات التي عرفها تاريخ العصر الحديث. غير أن هذه الازمة الخطيرة لا تقتصر على المشتغلين بالزراعة وحدهم بل تتناول جميع رجال الاعمال كبارهم وصغارهم ، ولكن مصر تختلف عن معظم البلدان بان تربتها أهم موارد الثروة فيها ، وانها تستمد معظم هذه الثروة من محصول واحد وهو القطن . ولهذا السبب تستطيع مصر اكثر من اي بلد آخر أن ترجع اسباب ازمتها المالية الى مصادرهما بشيء من الدقة. فثمن القطن هو « البارومتر » الذي به نقرأ ثروة الشعب المصري صعوداً وهبوطاً . وقد اصاب القطن كما اصاب غيره من الحاصلات الزراعية في كل مكان هبوط في الاثمان غاية في الخطورة اما في امريكا فيصعب تقدير الاسباب الحقيقية لهذه الضائقة المالية التي حلت بها ، لان



الزراعة هنا  
تقل قيمة  
الزراعة التي  
يشمل عدة  
والقطن وال  
حالة القطن  
بها، بخلاف  
المصرية فال  
وفي  
بالذكر من  
(١)  
على اختلاف  
المنتجات  
في الانتاج  
(٢)  
الزراعية و  
(٣)  
كانت هي  
الفاكهة و  
والخبر. ك  
فان النساء  
التياب في  
الكميات  
(٤)  
الفداين  
خصوصاً  
تخصص  
وغيرها م  
نحو ٨٠



المستر جاردن  
وزير اميركا المفوض في مصر



الزراعة هناك ليست العامل الوحيد الذي يتخذ مقياساً للثروة فيها . فهناك صناعات عدة لا تقل قيمة عن الزراعة ، كصناعة القولاذ والفحم والنحاس والمنسوجات والسيارات وآلات الزراعة التي بلغ الكساد فيها النهاية القصوى . يضاف الى ذلك أن الانتاج الزراعي في امريكا يشمل عدة حاصلات تتساوى جميعها في القيمة تقريباً كالقمح والذرة والماشية وصناعة الالبان والقطن والفاكهة والخضر . وقد لحق بهذه كلها تقريباً خسارة مالية فادحة . فاذا افترضنا رجوع حالة القطن إلى نصابها السابق فان ذلك لا يؤدي الى انتعاش السوق هناك الا بدرجة لا يعتد بها ، بخلاف الحالة في مصر فان ارتفاع اثمان القطن ينعش الحالة المالية في جميع أرجاء البلاد المصرية فالضائقة في مصر أقل تعقداً بكثير منها في ولايات اميركا المتحدة . وفي خلال السنوات الاخيرة ظهرت عوامل كثيرة كان من شأنها إيجاد أزمة زراعية نخص بالذكر من هذه العوامل ما يأتي :

(١) مضاعفة الانتاج الزراعي في خلال الحرب العظمى سداً للحاجات الجيوش من طعام وحاجيات على اختلاف انواعها . فنشأ عن ذلك تراكم الحاصلات بعد أن وضعت الحرب اوزارها وتضخمت المنتجات الزراعية التي تركتها الجيوش ورائها بعد تسريحها . وقد زاد الطين بلة تسابق الزراع في الانتاج رغم التخمة التي اصابته العالم ورغم زوال الاسباب التي أدت الى هذا التضخم (٢) أن معظم أمم العالم وطدت العزم على تموين نفسها بقدر المستطاع من حاصلاتها الزراعية ومواردها الخام

(٣) تغير العادات فيما يختص بالطعام واللباس واستبدال بعض الاطعمة والانسجة التي كانت هي وحدها شائعة الاستعمال ، بغيرها من المواد . مثال ذلك أن مقادير وافرة من الفاكهة والخضر ومستخرجات الالبان والدجاج وغيرها من المواد الغذائية قد حلت محل اللحم والخبز . كذلك في الملابس أخذت البضائع الحريرية تنافس السلع القطنية . وفضلاً عن ذلك فان النساء في كثير من الممالك أخذن يقتصدن في ملابسهن عاماً بعد عام لا فيما يختص ببعض الثياب فحسب بل بالكميات اللازمة لهذا العدد ايضاً ونتج من ذلك نقص المقطوعية ونقص الكميات المستهلكة وهبوط الاثمان

(٤) استخدام الآلات الزراعية التي ساعدت على تخفيض ثمن الانتاج وزراعة ملايين من الفدادين في اراض جديدة كانت قبل ذلك مهملة — بدلاً من الخيول والبغال في بعض البلدان خصوصاً في ولايات امريكا المتحدة ، وقد أدت هذه الحالة ايضاً الى زرع ملايين من الافدنة التي كانت تخصص لتموين تلك الخيول والبغال ودواب العمل الزراعي بحاصلات اخرى كالقطن والقمح وغيرها من الحاصلات التي يستهلكها السكان . ففي ولايات اميركا المتحدة وحدها كان هناك نحو ٨٠ مليون فدان من الاطيان التي كانت تزرع خصيصاً لتموين الدواب الزراعية بالحنطة والعلف



وقد استحال كلها الآن الى اطيان من نوع آخر تنافس بقية الاراضي في انتاج القطن والقمح وغيرها . يضاف الى هذه العوامل كلها زيادة الانتاج بسبب تحسين الاساليب الزراعية وما أدت اليه من التخمّة في الاسواق

(٥) وفرة الضرائب التي اضطرّت الحكومات أن تفرضها على الأهالي تسديداً للديون التي تراكت على عواتقها من جراء الحرب العظمى وقد سبّب هذا بالطبع نقصاً فاحشاً في قوة الشراء (٦) نقل وسائل التجارة الدولية من أمانها المعتادة ، وتقلقل الحالة المالية عقب الحرب العظمى وتعرض قيمة النقود الورقية للصعود والهبوط ، وتغير الحوائل التجارية وما تلا ذلك من عدم الثبات التجاري بعد ظهور روسيا السوفيتية كعامل في تدهور الحالة المالية وميل الميزان التجاري

لقد أبنت الآن بصفة عامة بعض الأسباب التي أدت الى مرض هذا الجسم الزراعي . والمسألة العظمى الآن هي القضاء على اسباب الداء ، ووصف الدواء ، ولابد من اختلاف وجهات النظر في العوامل التي أدت الى الكساد الزراعي ، غير ان الكل يتفقون على أن جهود العاملين ينبغي أن توجه الى رفع مستوى الحياة بين الزارعين او بعبارة اخرى زيادة الدخل بينهم في كل أسرة . وكيف يمكن الوصول الى هذه النتيجة ؟ لديّ وسيلتان : احدهما زيادة ثمن الحاصلات الزراعية وتخفيض ثمن الانتاج ونفقات البيع والشراء وفي الواقع أن أكثر الصناعات نجاحاً هي التي خفضت فيها اثمان الانتاج ونفقات البيع والشراء ، ولم لا تكون الزراعة على قدم المساواة مع الصناعات ؟ يمكن بلوغ هذه الامنية اذا طبقنا على الزراعة المبادئ التي نطبقها على الصناعات الناجحة مع مراعاة الفروق بين الزراعة والصناعة . وقد كان لهبوط الأمان في الماضي وفي هذه السنوات النصيب الأول من العناية واهتمام الجمهور بالمناقشات العامة ، ولم يفكر الناس في العناصر الأخرى التي تجعل ثمن كل وحدة من وحدات الانتاج اقل مما هي عليه الآن

وقد فكرت الحكومات والمصالح المستقلة عنها في العهد الأخير أن تحدّد سعر عدد من الحاجيات كالمطاط والبن والقمح والقطن والنحاس ، وقد نجحت هذه الطريقة في بعض الاحيان في فترات قصيرة ولكن كانت نتيجةها الفشل في النهاية ، لأنها اوقعت ارباب الانتاج في مشاكل مالية عسيرة إذ أخلت بالتوازن بين العرض والطلب

وتقليل الانتاج في الزراعة بأنقاص مقدار الأطيان المزروعة لغرض تحسين الثمن يختلف في هذه الحالة عنه في حالة الصناعة ، وذلك لأن صاحب المصنع يستطيع أن يضع هذا العبء — عبء نقص الانتاج — على العامل الذي يترك عاطلاً يتسكع في الطرقات في الوقت الذي يقفل فيه المصنع أو يفتح لانتاج مقادير محدودة . أما في الزراعة فإن العمال الذين يفصلون من



أعمالهم لغرض نقص الانتاج لا يؤثران إلا قليلاً فيه . وهذا هو السبب الذي يجعل الزارع الحكيم يعلم حق العلم أن نقص الانتاج لا يؤدي الى النتيجة المطلوبة لأنه يزيد النفقات بعد توزيعها على كل وحدة من وحدات هذا الانتاج . وفضلاً عن ذلك فإن الزارع يخاف أنه اذا نقص الانتاج يستمر غيره من المزارعين على حالهم ولا ينقصون الانتاج — ما لم يجبرهم القانون على ذلك — وبذلك يبقى هو وحده متحملاً لنقصات الانتاج بغير أن ينتفع بزيادة الثمن المشددة ولذلك لا يجد في مسألة تقليل الانتاج فائدة تذكر

غير أن هناك فرقاً بين نقص مقدار الاطيان المزروعة نقصاً مطلقاً بغير تحديد وبين نقص المزروع من محصول خاص في اطميان خاصة في جهة خاصة والاقتصار على زرع بعض الاطيان بمحاصيل ومقادير تختلف باختلاف الحاجة اليها وأمانها حسبما تقضي به الظروف المحلية أو الاهلية أو العالمية . ومن المهم جداً أن يكون هناك توازن بين الانتاج، والحاجة ، وانخفاض الأثمان لأن ذلك يعود على المنتج والمستهلك كليهما بالنفع ، كما أن كثرة الانتاج تؤدي الى تخمة الأسواق وهبوط الثمن وهذا لا يفيد إلا المضاربين . وقد فطن الزراع الناجحون في أعمالهم إلى الخطأ الناتج عن وضع الأثمان فوق كل الاعتبارات الأخرى وإهمال غيرها من العوامل ، وأيقنوا أن نقص الانتاج لازم لتحسين الحالة المالية ، وأخذوا يتلقنون دروساً من رجال الصناعة وذلك باستعمال طرق فنية حديثة وآلات زراعية جديدة حتى ينتفعوا في أراضيهم ومعداتهم وأعمالهم أحسن انتفاع . وفي خلال الاثنتي عشرة سنة الماضية زاد انتاج فلاحى أمريكا ٢٥ في المائة عما كان عليه سابقاً في معظم انواع المحاصيل ، غير أنه مما يؤسف له أن هذه الزيادة لم تعد عليهم إلا بفائدة قليلة ، لأن هذا الانتاج مضافاً اليه محصول الأراضى الجديدة المزروعة زاد في مقدار العرض وفرق مسافة الخلف بين العرض والطلب ونقص الثمن حتى بلغ أقل من ثمن الانتاج

ولناخذ القطن مثلاً لذلك، وهو المحصول الذي توجه مصر وغيرها من الممالك الأجنبية بما فيها من ولايات أمريكا المتحدة عنايتها اليه . فمن سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩٢٩ بلغت الزيادة في سكان العالم ١٠٠ الف نسمة في حين أن زيادة ما يستهلكه الفرد الواحد من سكان العالم من القطن لم تبلغ إلا ٩ في المائة أو نصف رطل ، أي أن زيادة الاستهلاك بلغت ٣ ملايين «بالة» بحساب ٥٠٠ رطل للبالة الواحدة أو ١٥٠ مليون قنطار . وفي هذه الفترة عيها ١٩١٣ - ١٩٢٩ زاد الانتاج العالمي في القطن من ٢٠ مليون و ٢٢٠ الف بالة بحساب البالة ٥٠٠ رطل الى ٢٥ مليون و ٦١١ الف أو ٧ ملايين بالة في حين أن الزيادة في الاستهلاك هي ٣ ملايين بالة أو بعبارة أخرى أن مقدار القطن الزائد عن المقدار المستهلك بلغ ٤ ملايين بالة وليست هناك لغة افصح من لغة الأرقام تعبيراً عن الأسباب التي إليها يعزى هبوط اثمان القطن



ورغم وجود عوامل أخرى واعتبارات ذات قيمة فإنه لا يمكن أن ننسى أن العالم ينتج مقادير من القطن تزيد عن المستهلك زيادة توجب هبوط الأثمان وتفاقم الحالة الاقتصادية. وتعزى زيادة المقدار المستهلك من القطن التي اشرت إليها الى الأشياء الكثيرة التي أستخدم القطن في صناعاتها في السنوات الأخيرة ، ولولا هذا الاستعمال لما بلغت اثمان القطن ما بلغت في السنوات الأخيرة ولا يمكن التكهن بالمدى الذي يمكن بلوغه باستعمال القطن في أشياء لم يدخل في صناعاتها حتى الآن ، غير ان المجال فسيح للبحث عن هذه الأشياء وبذل جهد المستطاع في إيجادها . واذا استمر الزارعون في زيادة انتاج القطن فلا بد لهم ان يبحثوا عن الوسائل التي يستخدم في استعمالها

ومما هو جدير بالذكر انه بينما نجد زيادة الاستهلاك في مقدار القطن لكل فرد من سكان العالم لم تبلغ ٩ في المائة في اثناء الخمس عشرة السنة الماضية ، قد بلغت هذه الزيادة في الصوف ٤١٦٦ في المائة وفي الحرير ١٢٠ في المائة ، وفي الحرير الصناعي ١٥٠٠ في المائة وهذه جميعها تنافس القطن اشد منافسة ومن السهل اذاً أن نرى قيمة توجيه الانظار الى سياسة مستقبلية عالمية فيما يختص بزراع القطن ويجب ان نعلم ان الزارعين الذين ينتجون اكبر مقدار من اجود الاقطان باقل نفقات هم الزارعون الذين سيكون لهم النصيب الاوفر في الاسواق العالمية ، أيا كانت البلاد التي هم فيها

ومن اهم الوسائل التي يستطيع بها الزارعون أن يزيدوا أرباحهم ويفيدوا المستهلك في الوقت عينه ، هي تجنب طرق التوزيع التي تكلف نفقات باهظة والتي يلجأ إليها في عصرنا الحاضر . وقد تسبب عن نمو الصناعة السريع في خلال ربع القرن الماضي تركيز السكان في مراكز صناعية بعيد معظمها عن مراكز الانتاج التي يمول السكان بالطعام ومواد خام أخرى ، وهذا مما يجعل نفقات التوزيع بالغة جداً غير معقول . وقد كانت طريقة التوزيع هذه وافية بالغرض المقصود عند ما كانت الصناعة منتشرة في البلاد ومقسمة الى وحدات صغيرة وعند ما كان الفلاحون يكفون أنفسهم بما ينتجون في مزارعهم . واما اليوم فقد اتسعت المدن الكبرى وتضاعف سكانها وأصبحت مسألة التوزيع معقدة كثيرة النفقات ولا بد من درسها درساً جيداً حتى نستطيع أن نقوم بسد حاجتنا على الوجه المرغوب فيه من الوجهة الاقتصادية ، وكما قلنا انظاراً في انحاء المعمورة في كل بلد من بلدانها نرى من السكان من يعوزهم الطعام واللباس وقد يستطيعون ان يستهلكوا ضعف ما يستهلكونه الآن فيما لو بلغت اثمان حاجياتهم الضرورية ثمناً يكون في المتناول . وفي اعتقادي ان من اهم الفرص السانحة للفلاحين اليوم هي تحسين حالة التوزيع لانه بذلك يزداد الطلب وتكثر الارباح . وقد اصبح المزارعون في خلال الخمس عشرة سنة الماضية ذوي كفاية عظيمة ومقدرة واسعة في جميع انواع الانتاج



وقد كانت الجهود موجهة في خلال السنوات الماضية الى تحسين حالة الفلاح من وجهة الانتاج . فجاءت نتيجة هذه الجهود بالثمر الجيد ، وقد حانت الفرصة الآن لتوجيه العناية بكل ما اوتينا من قوة وذكاء الى مسألة توزيع المحصول في الاسواق تلك المسألة التي طال املها . وفي الصناعات الاخرى يهتمون بمسألة البيع كما يهتمون بمسألة الانتاج ونشأ عن ذلك انهم بلغوا نتيجة يحسدون عليها في تخفيض النفقات التي يطلبها ايصال السلع الى مستهلكيها اينما وجدوا ، وقد بلغوا هذه النتيجة بواسطة الانتاج بكثرة ، والتوزيع بكثرة مع قلة النفقات ، ويعزى بلوغ هذه النتيجة الى الآلات التي وفرت عليهم العمال ، والى الاعلان المنظم ، وتركيز رؤوس الاموال الضخمة والمسؤولية في يد رجال ذوي نفوذ قادرين على تصريف مصنوعاتهم في اسواق العالم وعلى هذا المنوال ينبغي للفلاحين ان ينسجوا . ويختلف تنظيم هذا العمل باختلاف المكان وحاجة السكان . غير ان تنظيم الانتاج والبيع من اهم وسائل النجاح لان اسواق العالم تشتري عادة الحاصلات التي يبلغ ثمنها حداً معقولاً

\*\*\*

وتتعاون حكومة ولايات اميركا المتحدة بواسطة مجلس الزراعة الاتحادي الجديد تعاوناً تاماً مع الهيئات الزراعية وذلك بامدادها بالمال والنصيحة حتى تؤسس شركات تقوم بالتوزيع لاننا اصبحنا نعتقد ان هذه الشركات انسب لنا من اي طريقة اخرى . وقد اصبح لدينا الآن عدد من شركات التعاون الناجحة كشركة زراع الفاكهة في كاليفورنيا التي يوزع المنتجون بواسطتها ٨٠ في المائة من حاصلاتهم وبهذه الطريقة توزع في الاسواق بكيفية معتادة تمنع التخم في الاسواق وهبوط الثمن وتنفع المنتج والمستهلك كليهما فاذا احصينا ملايين الوحدات الزراعية الصغيرة التي تنتج وتوزع محصولاتها ، مستقلة عن الاخرى ، وجدنا ان الواحدة تستفيد مالياً لو اتحدت لبيع حاصلاتها بعد حزمها جيداً وتسجيل علاماتها والاعلان عنها ، وقد يكون نوع التنظيم في هذه الحالة مختلفاً باختلاف الجهات كما اسلفت . غير ان الفكرة الاساسية تنحصر في وضع هذا النظام في ايدي رجال مديرين محنكين حتى تأتي مجهوداتهم بالغرض المقصود

ان الحالة الاقتصادية كما هي الآن تتطلب استثمارا كبر العقول وأظهر الزعماء لانعاشها . ويعتقد الكثيرون اليوم ان الانعاش لا يتم الا بملاحظة العوامل الدولية لانه مهما عظم مقدار المحصول الذي تنتجه امة من الامم فان اثمان محصولاتها تتأثر كما تتأثر اثمان السوق العالمية ، والحالة الاقتصادية العالمية تتأثر بما تنتجه الامم الاخرى ، والتعاون من جانب ارباب الانتاج في كل مملكة قد يعمل على تحسين الحالة في تلك المملكة غير ان المسألة تدعو الى همة اكبر ونشاط اعظم من جانب قادة الاعمال وزعمائها في جميع انحاء العالم



## بَابُ شُؤْنِ رُبِّ الْمَرْأَةِ وَتَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة وأهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهرات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

### الوقاية

آراء وأهاليث صبيحة للركن نور شخاشيري

حديث المائدة

قبل أن أحدثك عن انواع المآكل التي نعيش عليها وقيمة ما فيها من غذاء ومتوسط ما يتطلبه الجسم منها اريد أن أوجه نظرك الى شأن النظام في الأكل فان أثره في الصحة أقوى من تأثير الطعام ذاته فيها وهو للجسم كالأساس للبناء سواء بسواء فكما نرى اهتمام المهندس بالأساس ان يكون قوياً في مواده محكماً في وضعه قبل شروعه في البناء لكي يطمأن الى مصيره من العلو والاتساع كذلك يجب ان يكون اهتمامك بضبط مواعيد الاكل والحرص عليها وعدم التفريط بها لا يقل عن اهتمام المهندس بالأساس لانه يضارعه في الشأن والخطورة. وما طهي الطعام والتفنن في اعداده وبذل العناية في اختيار الوانه الا بمثابة اجراءات لتحضير بقية المواد التي نستعين بها لاقامة البناء فاذا كان الاهتمام بها عظيماً دون الاهتمام بالأساس جاء البناء فاسداً من أساسه متداعياً للسقوط عندما تعصف بجوانبه العواصف والأعاصير او بعبارة أوضح اذا كان اهتمامك بالنظام ومواعيد الأكل دون اهتمامك بطهي الطعام والتفنن في تحضيره جاء بناء الصحة ضعيفاً في أساسه لا يصمد لغارات الجراثيم المرضية بل يكون مرتعاً خصيباً لها تنمو فيه وتتكاثر من غير كبير عناء. وأنت من هذا ترى ان الاهتمام بالنظام او الأساس اولي بمن يبني صحة نضيرة وحياة نشيطة وبدونه لا يستمتع بطيبات المآكل لحظة الا يشعر بنقيضها لحظات وكم من اكلة طاب مذاقها كانت منشأ العلل ومبعث الاسقام لالسبب سوى ان آكلها لم يراع نظاماً في اتهاها فاما ان يكون قد ازدردها من غير أن يحيد مضغها أو أن يكون قد أدخلها على طعام لا تزال المعدة قائمة بهضمه أو أنه تناول منها مقداراً كبيراً لا يميزه



نطاق المعدة بحال . وهذه عوامل كلها او بعضها فيها اساءة كبيرة وسوء تصرف غير محمود العاقبة وأهم هذه العوامل ادخال طعام على طعام أو الأكل بلا نظام . ولكي تقدر خطورة هذا الاسراف في الأكل بمواعيد مضطربة وما ينشأ عنه من اضرار ظاهرة تحس بها في الحال « كالآلم والمغص والقيء والاسهال وأحياناً ارتفاع الحرارة » واضرار خفية لا تحس بها إلا بعد زمن طويل أو قصير « كالتهابات المعوية والكلوية واحتقان الكبد وتصلب الشرايين وغير ذلك » اعرض امامك حالة عامل يشتغل بالأمانة ويحرص على انجاز عمله في حدود طاقته من غير تقديم ولا تأخير وأنه كلف عملاً فوق طاقته او قبل ان ينجز العمل القائم به احتج وحاول الهروب منه ولكن بصمت ومع هذا الاحتجاج والمحاولة لا يكف عن العمل ولا يتوقف ثانية عن الدأب في انجاز ما بين يديه . والعمل الدائم هو في ذاته من اظهر الدلائل على حيويته . والشاهد على اضطراب هذا العامل الامين الذي هو المعدة ما يبدو عليك من الانزعاج عند ما تأكل بنهم طعاماً غنياً بمواد الغذائية بما يزيد على مطالب الجسم عشرة اضعاف او اكثر . وكثرة الأغذية كما تعلم تولد في الجسم فضلات تنقلب الى سموم اذا لم يتخلص منها في مدى قصير وتحدث في الغالب اضطرابات معوية لا تزول إلا بالصوم والامتناع عن الاكل بضعة ايام فضلاً عن الأدوية والمسهلات . واكبر عامل على اثارة هذه العلل والاضطرابات هو التوضى في مواعيد الأكل فاو كنت على معيشة منظمة وبصيرة مثقفة في اختيار ما يصلح من المأكول وما لا يصلح ومقدار ما يتطلبه الجسم من الغذاء لكنت في منجاة من هذه الطوارئ المفترقة والعثرات المغتصبة التي تفاجئك في طريق الحياة أو لو كنت متبدلاً في معيشتك تأكل لوناً واحداً من الطعام ولا تأكل في اليوم اكثر من وجبة واحدة كما يفعل سكان البادية لقطعت على كثير من النزلات المعوية سبيل الوصول اليك ولا يكون الفضل في ذلك الى التقشف في الغذاء وحده وانما يعود الفضل فيه الى النظام الذي تتبعه في معيشتك . وأثر هذا النظام لا يقف عند تحسين الصحة وتنمية الجسم وصيانتهم من عوادي الامراض فحسب بل يتجاوز هذه الحدود الطبيعية وتظهر بوادره في تفكيرك واحاديثك واعمالك . وان ما نصيبه من نجاح في ايام المدرسة وتحصيل في العلوم او كل ما يبدو منك بعد تلك الايام كبيراً كان او صغيراً سواء في البيت مع اهلك او خارج البيت مع معارفك وذويك يرجع الى هذا النظام الذي ادعوك الى المعيشة في ظله والاستمتاع بفوائده

التغذية الحديثة

يختلف الطعام الذي يصنفه الطبيب المعالج اليوم للمرضى بالتهابات كلوية عن الطعام الذي كان يصنفه في الماضي لتلك الحالات والذي لا يزال معظم الاطباء يعتقدون ملائمة لها الى الآن . والسبب في هذا التناقض هو ان الطبيب في الماضي كان يقصد بالمعالجة ان يداوي العضو المتأثر



بالمرض مباشرة اما اليوم فانه اصبح يداوي المريض نفسه لا عضواً من اعضاء جسمه والا ما كان يقف في الامس من تلك الالتهابات الكلوية فيمنع المصابين بها ان يتغذوا بالمواد البروتينية التي من اهم خصائصها ان تجدد ما يموت من الخلايا والاعشية في الجسم واصلاح ما يقع في اعضاءه من اضطراب وتلف . وهذه النظرية لا تخول له ان يمنع اولئك المصابين بأمراض الكلى من اكل اللحوم بل توجب عليه ان يشجعهم على الاكثار منها لعظيم فوائدها ولان العلم اثبت ضرورتها للجسم وهو في حالة المرض اكثر من لزومها وهو سليم . وهذا التباين في ميزان المواد البروتينية وتأثيرها في الجسم يرجع الى ما اثبتته الابحاث العلمية الحديثة من ان عملها الخاص هو لبناء ما يندثر في الجسم من خلايا واعشية وانه كما يعول عليها في حالة الصحة واطراد النمو يجب ان يعول عليها ايضاً في حالة المرض سواء بسواء . واقرب شاهد على صحة هذا القول تجده في احوال الالتهابات الكلوية الحادة منها او المزمنة ولا سيما التي تكون نشأت عن الحمى القرمزية او التهاب اللوزتين فان من شأنها اتلاف المواد البروتينية في الجسم وهدم ما هو قائم منها لحفظ كيانه وترى آثار التلف والتدمير ظاهرة في بول المريض وتزداد شدة في الظهور الى ان تدب عوامل الهدم في بروتين الدم وعندئذ تختل ميزانية الماء في الجسم وتبدو عليه اعراض الربالة وظهور الورم في اطراف الجسم والوجه من اكبر علامات مرض الكلى وله علاقة وثيقة بمقدار البروتين في الدم . وموازنة الماء بين النسجة الجسم وبين الاوعية الشعرية تتوقف على عاملين فالاول الضغط على مصل البروتين او الزلال والثاني الضغط على السوائل في الاوعية الشعرية وفي حال انخفاض الاول بسبب ارتشاح البروتين من الخلية يضطرب السائل ويندفع من الشعريات الى الاعشية ويتجمع في غشونها ويظهر الورم او الربالة كما تقدم ذكره في الجسم وليس هذا الاضطراب في الضغط الباعث الوحيد على اظهار الورم في الاعشية وانما ارتشاح او نقص البروتين من الخلية هو السبب الاكبر في احداث ذلك البلاء . وقد ثبت للاستاذ سليك ان المريض بالالتهاب السكري الحاد يقاوم المرض ويبرأ منه بسهولة اذا احتفظ جسمه بالمواد البروتينية والزلالية وحتى المصاب بالنوع النزفي فان شفاؤه منه يتوقف على صيانة بروتين الجسم من الانتقاص والمريض الذي يفقد جسمه هذه المواد ويتعذر عليه استرجاعها يصبح المرض فيه مزمناً واذ ذاك يعلق امل شفاؤه بحبال الهواء ومما تقدم من الدلائل ان الشفاء من انواع الالتهابات الكلوية الحادة النزفية وغيرها يتوقف على الاحتفاظ ببروتينات الجسم وزلالياته وعدم التفريط بها وهذا لا يكون الا باضافة هذه المواد الى طعام المرضى بالمقادير المقررة للجسم السليم وبرهنت التجارب على ان تمثيل هذه المواد وانحلالها في الجسم لا يؤثر في الكلى لا في قليل ولا كثير وانها في حالة المرض كما في حالة الصحة لا تحيد عن مزيتها في بناء ما اندثر من الخلايا وتعويض الجسم ما احده المرض فيه من تدمير واذا جاز للرجل السليم



ان يمتنع عن ادخالها الى طعامه بضعة ايام فلا يجوز منع المريض من تناولها يوماً واحداً. وذكر الاستاذ سليك وغيره حالات عديدة تأصل الداء فيها وقطع الامل من شفاؤها ولكن لما اضيف البروتين ابتدأت علامات التحسن تظهر عليها وظل تقدمها الى الشفاء في اطراد الى ان تعادل البروتين في الدم وازدادت مقدرته على انسياب الحمض الكربونيك وتوازن المنصرف من اليوريا وتحمر البول من الدم والخلايا والاسطوانات وحاجة اولئك المصابين بالالتهابات الكلوية من البروتين تتراوح بين ٤٠ و ٥٠ غراماً في اليوم. وثبت انه لا خوف قط من استعمال ثلاثة اضعاف هذا المقدار والى جانب هذه المقادير من البروتين يجب ان تتوافر مواد الغذاء الاخرى كالدهن والنشويات الضرورية لتوليد حرارة الجسم وبعث النشاط فيه والا اضطرت الى الاستعانة بالمواد البروتينية وهي كما علمت ميزتها للبناء وتجديد ما مات من الخلايا وليست لتوليد الحرارة فضلاً عن ذلك ان الجسم بحاجة الى الارتفاع من ميزتها تلك الى اقصى حد لا الى الحرارة التي تتولد من احتراقها فيه والتي لا يستطيع من دونها ان ينهض باعباء المرض ويجب ان يعادل ما يحصل عليه من النشويات ٥٠ في المئة من مجموع الحرارة التي تتولد من غيرهما من مواد الغذاء. والمواد البروتينية التي تدخل في طعام المريض هي اللحم والبيض واللبن بمقادير نصف رطل من اللحم وبيضتان ورطلان لبن في اليوم. والى ساعة كتابة هذه الكلمات لم تمكن من اقناع مريض بالالتهاب الكلوي ان يتغذى بمثل هذا الطعام وسوف يمضي زمن ليس بقصير قبل ان تشاع هذه الطريقة الجديدة في التغذية ويعم استعمالها كأداة لتقوية الاجسام المنهكة. وانواع الطعام على اختلافها مفيدة في نوعي الالتهابات الكلوية الحادة والمزمنة. وهناك نوع ثالث لا يصرح للمريض به وهو ان لا يتغذى بالمواد البروتينية الا بمقدار ما يتلف منها فيه وهو يختلف عن النوعين السابقين في ان تأثيره واقع على الاوعية لا على النسجة الكلية. واعراضه - الا في الحالات الخبيثة - تتوقف شدتها على ضعف الدورة الدموية لا على اضطراب في بناء الكلية. ومقدار بروتين الدم فيه لا يقل عن المعتاد لذلك لا حاجة ماسة الى احتواء طعام المصابين به على مقادير من البروتين كما هي الحال في الالتهاب النزفي الحاد والالتهاب المزمن المتلاف. ولكن هذا لا يعني ان نمنع إدخال البروتين الى طعامهم الا عندما يضطرب نظام اليوريا في الجسم وما عدا ذلك فلا يجب المنع. والخلاصة ان هذا الانقلاب العظيم في تغذية حالات الالتهاب الكلوي الحاد النزفي والمزمن احدث رجة عنيفة ليس في المرضى فقط بل في الاطباء الذين لا يتتبعون سير العلوم ولا العلماء في اجاثهم المتواصلة اما لكثرة اشغالهم واما لثقافتهم بان علمهم بلغ الحد الاعلى من الكمال. ولكن لا كمال في العلم وان العالم الكبير يشعر دائماً بتوقه الى الاستزادة من المعارف والاطلاع على الآراء الحديثة في مختلف العلوم والفنون



## ٢- مقام الطبيب من صحة الجمهور

## نظام التأمين واثـر الطبيب فيه

لم يكن التأمين في اول نشأته منظم الادارة كما تراه الآن ولا كان الطبيب الاثر البارز في اعماله كماله اليوم وعلاقته به لم تكن تخلو من عراقيل وصعوبات ذهبت بكثير منها الاصطلاحات التي ادخلت على نظامه في خلال السنين التي مرت على تأسيسه . وليس من الانصاف ان نوازن بين ما كانت عليه تلك الرابطة من عشر سنوات وما وصلت اليه في الوقت الحاضر او تكون عليه في المستقبل . كما لا يمكن ان نقارن نظام التأمين ذاته اليوم بالنظام السابق لكثرة ما كان فيه من عيوب . ولا ريب ان النظام الحاضر سيتطور الى احسن ولا سيما عند ما يشمل المؤمن عليهم وذويهم وقد ظهرت بوادر هذا التحسين في قرار الجمعية الطبية البريطانية سنة ١٩٣٠ التي وافقت على التوسع في نطاق العناية الطبية وشمول ذوي المؤمن عليهم بشرط ان يضمن حقوق اطباء مع عدم ارهاقهم . واذا علمت ان هذا القرار يشمل ٨٠٪ من الشعب البريطاني اُكبرت هذه الجهود العظيمة وعجبت من هذا التفاني في الدفاع عن صحة الجمهور . ومع ان اطباء في بعض المدن الاوربية غير مرتاحين الى نتيجة ما وصل اليه هذا النظام فان ابطاله يؤدي الى اسوأ عاقبة عليهم من بقاءه والعمل بمقتضيات مبادئه . وطريقة تنفيذه تختلف باختلاف الشعوب والممالك ففي بريطانيا يشترط للالتحاق به موافقة وزارة الصحة على قبول طالب الانضمام اليه واما في سواها فالمفاوضة تكون مع جمعيات التأمين نفسها او لجانها المؤلفة من اطباء وغير اطباء من اعضاء مجالس ادارتها مباشرة . وفي المانيا يدفع الطبيب اجر كل عيادة او اصابة او عن كل مؤمن او لمدة معينة وما عدا ذلك يكون الطبيب حراً في عمله الخاص . اما في بريطانيا فينال الطبيب مكافأة عن كل مؤمن ولكل طبيب مصرح له بممارسة صناعته ان يلتحق بهذا النظام اذا شاء . وفي بلجيكا يدفع للطبيب اجر عن كل استشارة فنية او عن كل وقت يصرفه في العيادات العمومية كما هو متبع في بولندا وتشكوسلوفاكيا والمجر ولا يزال الخلاف قائماً بين اطباء وجمعيات التأمين على الطريقة المتبعة في اختيار الطبيب وقبول معاونته فهم يريدون ان لا يكون للحكومة اي تدخل في ذلك على نحو ما هو جار في بريطانيا وسويسرا وبلجيكا ودانمرك والمانيا والنمسا . ولعل ارتياح اطباء الدانمرك الى هذا النظام يفوق ارتياح زملائهم في سائر البلاد فاولئك لا يشكون الا من عدم قبول انضمام بعض الطبقات الى صفوف المؤمنين لكي يزداد ايرادهم ويضاعف اجرهم على العناية بهم ولذلك تراهم يمشون على ضرورة قبول جميع الطبقات والانضمام الى احدى جمعيات التأمين ولشاهد بعض اطباء في هولندا يقومون بادارة الجمعيات . وقد لاقى نظام التأمين في فرنسا معارضة عنيفة من

ينابر ٣  
الاطباء في  
ولا يتسع  
وما يعزى  
كتاب  
اجائمه وت  
تحتوي على  
النظام الذي  
كانت تقدر  
الاعمال  
والبر بالفقة  
على الدجال  
لجماعات  
واكبر دل  
والانضمام  
مكونة من  
واقبل على  
والاصول  
الاجر او  
القيود في  
اكثر من  
والمؤمنون  
الامة وال  
عن الصح  
ودل  
العامه هو  
يعتنون  
يستطيع



الاطباء في اول عهده . ولكن بعد ادخال تعديل في كثير من مواده ضعف صوت المعارضة . ولا يتسع المقام لظهار ما بين الطبيب وجميعيات التأمين من روابط وما طرأ عليها من مشاكل وما يعزى الى نظام التأمين من مساوئ . ومن اراد الاثام بهذا الموضوع فعليه ان يطلع كتاب « الطب » تأليف السر ارثر نيوز هام وهو كتاب جليل الفائدة غزير المادة دقيق في إجمائه وتعليق وجوه الموضوع تعليلاً نزيهاً او يطلع على تقارير مجلس العمل الدولي فيجدها تحتوي على حقائق جديرة بالمطالعة والاهتمام . ومع هذا فلا مناص من ذكر بعض فوائد هذا النظام الذي هيأ لطبقات من الناس التداوي من الامراض ودفع اجور الاطباء والتي لولاه لما كانت تقدر على ذلك ولا على جزء منه . فضلاً عن هذا انه اوجد لعدد كبير من الاطباء الاعمال التي كافأهم عليها وساعدتهم كثيراً على الظهور بمواهبهم وما تكنه صدورهم من الرحمة والبر بالفقراء وجعل لهم ايراداً ثابتاً ومستقبلاً باسماً في اشد الايام عبوساً . وحسبه انه قضى على الدجالين وأبطل فساد دعاويهم . وتتجلى هذه الفوائد عند ما تعلم انه لولاه ما كان لجماعات عديدة ان تقوم بنفقات العناية الطبية كما يجب ولا ان تتداوى كما تفعل الآن . واكبر دليل على فائدة وجوده انتشار مبادئه ورسوخ اصوله وكثرة الاقبال على تأييده والانضمام اليه . وفي الامكان تلخيص سير تقدمه وكيف كان في اول نشأته جمعية صغيرة الحول مكونة من اعضاء قليل عددهم وانه ما كان ينتشر خبر تأليفها والغرض الذي ترمي اليه الا واقبل على مناصرتها الافراد والجماعات والحكومات واخذت عوامل النمو تظهر في الفروع والاصول حتى بلغت بعد تطور طويل ما بلغته الآن . والغريب ان بعض الاطباء يعترض على الاجر او المكافئة الضئيلة التي يكافأون بها مقابل آلتهم ومجهوداتهم والبعض يعترض على بعض القيود في توزيع الادوية على ذوي المؤمنين . ولكن الحال في ارلندا على النقيض مما تقدم لان اكثر من نصف الشعب يحق له ان يحصل على الادوية التي يدفع ثمنها صندوق الاموال العامة والمؤمنون أنفسهم لا يحصلون على هذه الادوية بصفتهم مؤمنين وانما بصفتهم العامة اي افراد الامة والامة تدفع عنهم النفقات من تطبيق وادوية من المال المجتمع للصرف في سبيل الدفاع عن الصحة العامة

### التأمين على صحة العامل

ودليل آخر على ان الشعب الاوربي يتقدر خطورة العناية الطبية قدرها في تحسين الصحة العامة هو عنايته بالحامل وفي دور الولادة وبعد ذلك الدور كايحاجد مولدات واطباء مولدين يعتنون بكل حامل عناية تامة على احدث الطرق وافضلها . والنفقات تجمع من الشعب طامة ومن يستطيع الدفع من السيدات الحوامل بحسب نظام التأمين . وهكذا ترى ان هذه الطريقة آخذة



في التعميم وقوامها القابلات التي تعنى الحكومة بتعليمهن ومساعدتهن على المعيشة خلال اثناء الدراسة وبعدها . وقد اصبحن او كدن يحتكرن عملية التوليد في انكلترا وهولندا . فقد بلغ معدل ما يولد على ايديهن ٦٠ في المئة . وفي الدانمرك تعين الحكومة لكل مقاطعة عدداً منهن يكفي لاجابة كل نداء . وفي اسوج يزيد عدد القابلات على الاطباء ويعملن باجر غير كبير وبحرين معظم عمليات التوليد وفي نروج اجرين سنة ١٩٢٧ نحو ٩٠ في المئة من ٥٠٠٠٠ الف ولادة وغير مصرح لهن استعمال الجفوتة والملاقط في التوليد . والاطباء على اتم استعداد لمعاونتهن عند ما تدعو الحاجة اليهم . ومعدل الوفيات من حمى النفاس هبط الى ٣ في الالف . وفي بروسيا يقمن بتسعين ولادة من كل مئة ولا ريب ان نتيجة المعالجة الطبية في اوربا تتأثر كثيراً بهذه المعاونة التي نوه بقيمتها السر ارثر نيومن حيث قال ان عناية الموليدات بالمواليد وتعويلهن على معونة الطبيب عند الحاجة يضمن للأطفال العناية التامة بهم في وقت الولادة

### الدعاية ضد السرطان

ورد في تقرير مصلحة الصحة العمومية في فينا عن الزيادة المروعة في عدد وفيات داء السرطان في السنين الاخيرة ومما جاء فيه ان وفيات ذلك المرض في سنة ١٩٢٠ بلغت ٢٤٠٠ وفي سنة ١٩٢٩ وصل العدد الى ٣٧٠٠ واما في سنة ١٩٣١ فصعد الى ٤٩٠٠ وانت ترى ان عدد اصاباته تضاعف في مدى عشر سنوات . وقد لا يعدو السبب في ذلك زيادة انتشار الداء كما يتخيل البعض وانما يعود في الارجح الى اتقان التشخيص . وأهم الاجراءات التي اتخذتها بلدية فينا لمكافحة السرطان هي شراؤها خمسة غرامات راديووم وانشاء مصحة لمداواة المرضى فيها

وفضلاً عن هذه المعالجة الحديثة انشأت في المصحة قسماً للجراحة على احدث الطرق وانشأت في المدينة عيادات للكشف على المرضى مجاناً . وحثت المرضى على الشخوص الى تلك العيادات عند ما يشعرون بألم خفيف أو تغير بسيط وطلبت من الاطباء أن لا يتوانوا عن اظهار ما يخامرهم من شك في أسباب المرض وان لا يكتموا حقيقة ما يشكون منه وقد دلت التجارب على أن داء السرطان اذا صار تشخيصه في بدايته سهل على الطبيب مداواه والتغلب عليه كما يسهل عليه مداواة داء الدرن . وغير الدرن من الامراض العضالة التي تستعصى على الطبيب وعلى الدواء ولا سيما اذا توغلت اصولها في الجسم وانتشرت سمومها في مختلف اعضائه اما في بداءة نشأتها فيهن خطرهما ويسهل امرها والتنكيل بها من غير كبير عناء

حضرة  
لما نشر  
سنة ١٩٠٨  
رسالة عنوا  
تباعاً في  
المقتطف  
والآن قد  
جديدة  
نشرها في  
اذا وافق  
بنشرها و  
وقد عقلت  
لي وجعلت  
حاصرتين  
سيلي  
تصفحت  
الساعة فراء  
عديدة و  
تستطيع ان  
ولا محاسب  
تنسب اليه  
اغز موطن



# مكتبة المقتطف

نظر في معجم الحيوان

بمبحث عامي طريف للعلامة الاب انتاس الكرملي

حضرة رئيس تحرير المقتطف حفظه الله  
لما نشرتم معجم الحيوان في المقتطف في  
سنة ١٩٠٨ وما يليها جاءني من الاب انتاس  
رسالة عنوانها «نظر في معجم الحيوان» نشرت

اول من عربها وهو صاحب  
دائرة المعارف (٧ : ٤٨٢)  
وسماه ايضاً «أردفرك»  
(٣٣ : ٣) والاحسن ان تجري  
في هذا على خلقك الكريم  
المعهد فيك

وذكرت في ص ٣ العقصي  
ولم تتمكن من معرفة صحتها  
والصواب العقصي بالنساء  
لأن لونه لون العنقوص وكل لغة  
سواه خطأ صريح. وقد ذكره  
دوزي في ١ : ٣ قال : الباشق  
واليثويو والعنقوصي . قلت  
وهو غير «ابن آصى» الذي

صار الى «اليوصى» (راجع اصري في التاج  
وغيره) . فالعنقوصي ورد العقصي في حياة  
الحيوان المطبوع في مصر . وذكره جايكار  
صديقك العزيز بصورة العنقوصي وزان اقصي

## المراسلة والمناظرة

جاءنا من الاستاذ  
مصطفى صادق الرافعي رد  
على نقد الاستاذ العقاد  
الذي نشر في مقتطف دسمبر  
١٩٣٢ ، ومن الدكتور  
ارهم صليبي رد وتعليق على  
نقد الاستاذ نقولا الحداد  
لكتاباه في مقتطف دسمبر  
١٩٣٢ . ومن الاديب  
كمال ارهم المدرس ببغداد  
نقداً على مقال الرافعي في  
شوقي (مقتطف نوفمبر  
١٩٣٢) فأخبرنا نشرها  
لضيق النطاق في هذا  
الجزء . فنرجو العذرة

تباعاً في المجلد ٣٩ من  
المقتطف اي في سنة ١٩١١  
والآن قد بعث الي برسالة  
جديدة وأظهر رغبته في  
نشرها في المقتطف فأرجو  
اذا وافقتم ان تسمحوا  
بنشرها ولكم الفضل . هذا  
وقد علقت عليها بما تراءى  
لي وجعلت ما علقت به بين  
حاصرتين امين معلوف

سيدي الصديق العزيز  
تصفحت معجمك في هذه  
الساعة فرأيتك تذكرني مراراً  
عديدة وفي الفاظ كنت

تستطيع ان تجعلها باسمك اذ لا مسيطر عليك  
ولا محاسب . لكن ذاك الطيبة ابت ان  
تنسب اليها ما ليس لها . فهذه خلة تجمعك في  
اغز موطن من مكارم الاخلاق وابعاء النفس ،



والذي عندي في حياة الحيوان المخطوط خطأً بديعاً وقديماً في الحاشية : والعقصي بعين مهمة مفتوحة وقاف ساكنة يليها صاد مهمة مكسورة وفي الآخر ياء مشددة نسبة الى العفص لونه . والعفصي ذكره فريتغ ومحيط المحيط والبستان والفضل لفريتغ . وورد خطأً في صبح الاعشى بصورة العقيمي ( ٢ : ٥٧ ) وهو باز قضيف قليل الصيد ذاهل النفس . ثم قال في الحاشية ( في حياة الحيوان العفصي ولم نجد لها في القاموس ) . قلت وهو المسمى Merlin بالانكليزية وبلسان العلم Falco aesalon انتهى كلام الاب انتاس

( اقول لاشبهة فهي صحة هذه اللفظة اي العفصي بالفاء لا بالقاف كما حققها الاب انتاس وانما ليس هو المسمى Merlin بالانكليزية فهذا على ما حققه سافيني ( وصف مصر مجلد ٢٣ ص ٢٧٩ و ٢٨٠ ) هو اليؤيؤ بالعربية على ما ورد في الديميري والجراية عند عامة اهل القاهرة وصقر الجراد في المنزلة والمطرية وفارسكور . وهو من الصقور كما جاء في الديميري وصبح الاعشى لا من البزاة . اما العفصي فن البزاة وهو باز قضيف ذاهل النفس ( صبح الاعشى ) اشد الجوارح ذعراً وربما هرب من العصفور ( الديميري ) بخلاف الطائر الذي ذكره الاب المحترم فهذا مشهور بشجاعته كما جاء في كتب العرب والافرنج . والمسألة تحتاج الى شرح طويل للتفريق بين البزاة والصقور عند العرب والافرنج ولون عيونها ولا يخفى ان سافيني من العلماء الثقات جاء الى مصر ووصف هذه الطيور وذكر اسماءها كما جاءت في ارسطو وابن سينا والديميري وغيرهم ولا شبهة ان الذي سماه سافيني يؤيؤاً كما تقدم هو الطائر الذي سماه Falco aesalon وهذا لا يمكن ان يكون العفصي )

الى ان قال الاب انتاس وابن آصى<sup>(١)</sup> هو في الارمية « وصا وواصا » وكثيراً ما تجيء الواو الارمية همزة عربية . ومن الغريب ان هذه الكلمة واردة في الاشورية للدلالة على حيوان وعلى المعنى العربي اي المتظاهر او المتراكب الشحم وقد ذكر الكلمة صوبين في معجمه ص ٢٨ وقال « آصو » اسم حيوان لعله الفأرة والمتظاهر الشحم . قلت وهذا المعنى يتعلق بان آصى فانه متراكب الشحم

ولابن آصى اسم آخر اشهر من هذا هو اليوصى او اليوصى . ولعل الاصل هو الارمي « واصا » فتلاعبت به السن الناطقين بالضاد كما يقع مثل ذلك كثيراً في اللفاظ العلمية والاصطلاحية . على اني اظن ان الكلمة منسوبة الى وصّ يوصّ بمعنى وصّوص يوصّوص وكلا الفعلين عراقي كما تعرف بمعنى صوّت صوتاً خفيفاً يقال ذلك للطيور ولا سيما للصوائد منها

(١) وجاءت روايات لفظه مختلفة وأصوبها ابن آصى لانه لو كان ابن آصى لقليل ابن آص ليساوي وزن رام وداع . وبقيت اللغات لا وجه لمعانيها في العربية الا ابن آصى فانه مشتق من اصي يا صي اي ركب شحمه بعضه بعضا وتظاهر . ويجوز ان يقال ابن آصى وزان هاجر وخاتم وهو بمعنى المكسور الصاد . فيكون كعنى آصى

فانها اذا قبضت  
الكنيتي نسب  
قبل فيه ايضاً  
الفاظاً لا تُع  
غير طائل  
واما ان

أصى طائر  
كما في التهذيب  
ويوصى  
الفوقية<sup>(٤)</sup> ط  
يوصى : الي  
المشدتين  
الباشق واخ  
قال الطائي  
صائد . وقال  
babylonicus

الطائر في ما  
اوسه . انت  
( اقول  
في سنة ١٨٠٩  
من الجوارح  
جناحاً واخ  
صيداً وهو  
الصفحة ٤ .  
وفي ص

(١) كذا  
لها بل للجرذ  
في الخوص  
بالعلمة والا  
بالتعريف بخ



فإنها إذا قبضت على فريستها سمعت صوتاً خفيفاً. والنسبة إلى الفعل معروفة في لغتنا كما قالوا الكنتني نسبة إلى كنت واليامعي نسبة إلى يامع واليرفئي نسبة إلى يرفأ إلى غيرها. أما أنه قيل فيه أيضاً اليوصي بالقصر فهذا حادث من عدم تنقيط الياء في الآخر فقد أفسد هذا العمل الفاظاً لا تعد ولو كان الجميع أعجموها دائماً لما وقع مثل هذا الوهم الذي زاد اللغة الفاظاً على غير طائل

وأما ابن آصى هو اليوصي فظاهر من قول صاحب التاج في مادة أص ي: «وابن آصى طائر شبه الباشق إلا أنه أطول جناحاً وهو الخدء»<sup>(١)</sup> يسميه أهل العراق ابن آصى كما في التهذيب «أه كذا والصواب «اليوصي» كما في التهذيب والدليل أنه قال في مادة وص ي: ويوصي بفتحات مع تشديد الصاد وقيل بكسر الصاد المشددة<sup>(٢)</sup> وقيل هو بالتاء الفوقية<sup>(٣)</sup> طائر قيل هو الباشق وقيل هو الحر عراقية ليست من ابنة العرب ...». وقال في بوس: اليوصي<sup>(٤)</sup> أهله الجوهرى وصاحب اللسان وهو بفتح الياء والواو وكسر الصاد وبالياء المشددين ووزنه الليث بفتح اليماني وقال هو طائر بالعراق شبه الباشق إلا أنه أطول جناحاً من الباشق واخبت صيداً أو هو الحر ونصر الليث وهو الحر. وقال أبو حاتم في كتاب الطير: قال الطائي أو غيره: الحر من الصقور شبه البازي يضرب إلى الخصرة أصفر الرجلين والمنقار صائد. وقال آخرون: بل الحر الصقر كذا في العباب...» أه اليوصي هو المسمى عند العلماء Falco babylonicus على ما حققته. فليحفظ ومن الغريب أنك لم تتعرض لذكر هذا الطائر في ما ذكرته من الالفاظ العربية ولا من الالفاظ العلمية ولا جرم أن ذلك نسيان منك أو سهو. انتهى كلام الأب انستاس

(أقول أن اغفال اليوصي في ما نشرته هذه المرة كان سهواً مني وقد حققت هذا الطائر في سنة ١٩٠٩ وقلت في المقتطف ٣٥ : ١٠٧٥ ما نصه اليوصي Falco babylonicus طائر من الجوارح في حجم الحر وشبيه به. قال ابن سيده «اليوصي طائر كالباشق إلا أنه أطول جناحاً واخبت صيداً» وقال الدميري «اليوصي طائر بالعراق أطول جناحاً من الباشق واخبت صيداً وهو الحر». فعدم ذكره له في ما نشرته هذه المرة كان سهواً مني وحقه أن يضاف في الصفحة ١٠٤ من معجم الحيوان والسطر الثاني قبل شاهين العراق) وفي ص ٤ ذكرت الصُّغْتَر بمعنى الخبياري وأنا لم أجد هذه الكلمة الأولى في ما لدي

(١) كذا. وهذا غلط ظاهر لأن الخدء لا تتعرض لصيد كبار الطير بل لصغارها وربما لم تتعرض لها بل الجرذان والفئران وإلى أشباهها والصواب هنا أن يقال وهو الحر (٢) كذا بلا أداة التعريف وكذا في الخوص (٣) أي يوصي وهذا غير صحيح لأنه لو كان كذلك لقليل بوس اللهم إلا أن يكون ممنوعاً من الصرف بالعلمة والأعجمة وهو غير صحيح (٤) أي توصى أو توصى وهو غير وارد في دواوين النباتات (٥) كذا بالتعريف بخلاف ما قال في وصي



من الكتب . وذكرت لك سابقاً في ما يتعلق بالحفش والزجر . وقد وجدت عندي في مقيداني استور بهذا المعنى ايضاً اي Sturgeon . ولا جرم انه معرب الافرنجية المذكورة ، وقرأت اللفظة في احد الكتب العربية ونسيت ذكر محل ورودها . انتهى كلام الاب انتاس ( اقول ان الصُعْتُر خطأ مطبعي وصوابه الصُعْقُر بالقاف لا بالتاء . اما الحفش فكتب الي انه ممك غير هذا اسمه بالانكليزية Wrasse واما الزجر فذكر لي الاب العلامة ان اللفظة سريانية الاصل )

الى ان قال الاب العلامة : والآن آتي لاهنتك اعظم تهنة لوقوفك اتم الوقوف على معنى القُنفُف بمعنى الفأر الشائك فاني كنت عاجت لمعرفة هذه الكلمة وصرفت ساعات بل اياماً لتحقيق معناها وفي الآخر توفقت له وذلك ان القُنفُف تنظر الى اليونانية Knaphe او Gnaphos ومعناها العكس او شوك الجمال ومُشَطِّ النَّدَاف او النجَّاد . فاذا حذفنا os (وهي علامة الاعراب عندهم) من آخر الكلمة بقي لنا «قنف» بل «قنفع» لأن العين لا وجود لها في كلامهم وتحذف عندهم اذا نقلت لفظاً من الساميات الى لغتهم . ولي رأي آخر هو ان القنفع ربما تكون منحوتة من قَف ( شعره اذا قام فرعاً ويقوم الشوك في هذه الفأرة وفي القنفذ او نحوها مقام الشعر ) ومن فصحاء ( اي فأرة ) فقالوا في اول امر نحته قنفع ثم ابدلوا الفاء الاولى المدغمة نوناً فصارت القنفع اي الفأرة الشائكة . وابدال احد المدغمين نوناً شائع عندهم وكثير الشواهد من ذلك : الرُّنَز والآنْجاص والآنْجاص والآنْجاة والآنْجاة والقنبرة والآنْروب والآنْظ في الرُّنَز والآنْجاص والآنْجاة والآنْجاة والقنبرة والآنْروب والآنْظ الى ما يحصى ذكره . اذن القنفع هي الفأرة الشائكة وانه يجوز ان تحيي بمعنى القنفذ . لكن المعنى الاول احسن لما ذكرناه من الاسباب اللغوية . انتهى كلام الاب انتاس . ( اقول الحمد لله فقد نجوت منه هذه المرة )

الى ان قال : وذكرت هازجة وهوازج في ص ه نقلا عن الدكتور بوست وهذا لا يجوز لغوياً . لان الهازجة اسم فاعلة واسم الفاعل والفاعلة يدل على ذي فعل يكون بعد قليل على ذي فعل مضى . فقولك « هذا رجل قاتل » يدل على احد امرين . اما انه قد قتل في الماضي واما انه يقتل عن قريب . وكذلك قولك : الشارف . فالشارف من الناس الذي سيصير شريفاً عن قريب . اما اذا كان ذا شرف اليوم وبعده فيقال « شريف » اي يفرغ صوغه في قالب المبالغة . وفعل من صيغ المبالغة ولهذا لم يجوز ان يقال : هازجة بل هزاجة والجمع هزاجات . الم تر انهم لم يسموا طائراً باسم فاعل الا طائرين واسماهما مشكوك في اصلهما والا فاعلها موزون اوزان مبالغة كفسعل وفسعل وفسعل وفسعل وفعل وفعل وفعل وفعل الى اشباهها وذكرت مراراً « القانون » ترسترام واطن ان صحيح التعبير « القانوني » نعم ان الانكليز



يقولون Canon اما العرب فيقولون قانوني نسبة الى «القانون». وكذلك ذكرت مراراً بليوس او بليس بصورة بليوس وهو لفظ انكليزي للعالم Plinius ولا يجوز ان يلفظ الحرف اللاتيني U «يو» بل «او» كما يلفظه غير الانكليز. والعرب ذكروا هذا العَلم كما ذكرناه والبعض قال بلياس (عيون الانباء ١ : ٧٣) انتهى كلام الاب انستاس

(اقول : لا شبهة ان التعبير العربي في القانون ينبغي ان يكون القانوني كما يقول الاب المحترم على تقدير الكاهن القانوني. لكن القانون هنا بمنزلة رتبة كهنوتية فرأيت ان ابقها كما يقول الانكليز اي القانون ترسترام. فلو لم يكن حائزاً على هذه الرتبة وكان اسمه المستر ترسترام لقلت المستر ترسترام او الدكتور ترسترام ولم ارجعهما. كذلك القانون فرأيت ان اذكر اللفظ كما ينطق به الانكليز. اما بليوس فاسمه باللاتينية على ما اظن Plinius وصحة كتابتها بالعربية كما كتبتُها ولو كان اسمه باللاتينية كما اورده الاب المحترم كانت صحة كتابته بليوس او بليس كما قال )

الى ان قال الاب العلامة : وذكرت في ص ٥ الادكس . وقد صرَّح ثقات العلماء انه سامي الاصل غير لاتيني كما قلت والذي عندي انه من العربية «عداء» لاشتهاره بعدوه اي حُضره . وعدم وروده في الكتب بهذا الاسم لا يعني عدم نطق العرب به لان اللغويين لم يدونوا جميع الكلم لا سيما ما يتعلق بعلم المواليد وفي الصفحة المذكورة ذكرت المؤزَّر بمعنى «الابيض العجز» والذي اعرفه بهذا المعنى «الآزر» كما في الاساس

(قلت ذكرت الآزر والمؤزر في ص ٨١ في مادة ثيتل فقلت ثيتل آزر ومؤزر اي ابيض العجز وذلك عن كتاب مبادئ اللغة للاسكافي ص ١٢٩ قال الآزر الابيض العجز وكذلك المؤزَّر ولم اجد المؤزَّر في غيره من كتب اللغة بهذا المعنى)

الى ان قال الاب انستاس : وجاءت الاربد مضبوطة بالتحريك واسكان الباء والصواب بوزن افضل . وذكرت مع العربد الشجاع وليس الواحد الآخر ولا جرم ان الاربد او العربد تنظر الى اليونانية herpeton اما الشجاع فهي تلك الحية التي من شأنها الاطراق اي ارخاء العينين كأنها ناظرة الى الارض ساكنة . ومنه مثلهم «اطرق اطراق الشجاع» . والشجاع بكسر الشين. وذكرت في تلك الصفحة الحردون بجانب العضر فوط والواحد غير الآخر وقد ذكرت ايضاً الاول في ص ٢٣٥

(واما الاربد نخطاً مطبعي والصواب كافضل اي كما قال الاب المحترم . واما الشجاع فمن الافاعي Viperidae كالظفيرة وهذا يوافق ما قاله الاب المحترم ولا يخفى ان الظفيرة هي الافعى عند مؤلفي العرب واسمها عن العلماء Echis وكجاء في المعجم ص ٩٥ والشجاع افعى او افعوان



ومن اسمائها عند علماء الحيوان Echidna كما جاء في ص ٩٤ فلا خلاف هنا بيننا  
«اما الحرذون فلا شبهة انه ما ذكرتُ أي انه نوع من العصفور ولو تعددت اسماءه  
العامة وقد سماه جفروى Stellio vulgaris واندرسن Agama stellio وأحدث اسماءه  
Stellio stellio فهذا الحيوان واحد ولو تعددت اسماءه وما ذكرته هو الصواب في الصفحة ٧  
والصفحة ٢٣٥ وصورته في آخر الكتاب هي الصواب وهو شبيه جداً بقاضي الجبل وصورته  
الحقيقية في مطول وبستر»

ولم تذكر الدويبة المعروفة باسم «ابو بريس» وهو Agama colonorum (راجع دوزي)  
والذي عرفه ان ابا بريس مشهور بهذا الاسم في بغداد وهو المسمى Geok كما جاء في معجمك  
ص ١١٣ فدوزي ناقل غير محقق بنفسه والناس لا تعتمد الآن الا على التثبت في الامور  
والامعان في التدقيق

(واما ابو بريس فلا شبهة انه كما ذكر الاب انستاس وما ذكرت في الصفحة ١١٣ من المعجم  
اما ما جاء في دوزي خطأً)

لم يذكر أحد حقيقة الجحلان قبلي وكان بعضهم صحف الكلمة مفرداً وجمعها وانا  
أثبت امرها والدليل اني لم ار من تكلم عليها كلاماً علمياً قبلي  
(أما الجحلان فقد نسبتها الى الاب المحترم في الصفحتين ٨٧ و ١٥١ في الكلام على

Dragon-fly و Libellulidae

وفي الصفحة ٣ : ذكرت الكواسر ومنها كواسر الليل وكواسر النهار او بالعكس وفي ص؛  
قلت : لا يقال كاسر الا للطير سمي بذلك لانه يكسر جناحيه « اه . قلت اذن كل طائر من  
جراح وبغات يسمى كاسراً لان جميع الطير حتى العصفير تكسر اجنحتها عند النزول واذن  
لا يستعمل الكاسر بمعنى الجراح فقط . والذي رأيتُه بمعنى الجراح الصائد وتجمع على صوائد  
والكلمة وردت في المخصص وصبح الاعشى وفي غيرها . اما الكاسر فلم ترد الا في قولهم كاسر  
العظام للطائر الذي ذكرته في ص ١٧٧ من معجمك وكنت قد تكلمت عليه طويلاً وقبلك في  
المشرق . واظن انك طالعت في الضياء ( ١١ : ٣٢ ) قول الشيخ ابراهيم اليازجي : ووحش كاسر  
اي ضار او مفترس عامية واما الكاسر في مثل هذا من صفات جوارح الطير »

قلنا وقد يكون الكاسر اناساً وطيراً وحيواناً . ومنه في التاج «وهو كاسر من قوم كسر كركم  
وهي كامرة من نسوة كواسر والكواسر الابل التي تكسر العود « اه . افلا تنعت  
بعد هذا سباع الحيوان بالكواسر اذا كانت تكسر عظام صيدها؟ فتقييد اللغة بمثل تلك القيود  
يمنعها دون التحليق مع سائر اللغى . واما الكاسر للطيور فقد قالوا عقاب كاسر وباز كاسر الى  
غير هذين الجارحين ككاسر العظام . انتهى كلام الاب انستاس



(قلت اريد لفظة تقوم مقام هذه اللفظة أي لفظة تشمل سباع الطير من الجوارح كالعقبان ومن غير الجوارح كالنسور . والرخم وقد اقترح احد الادباء القواطم واظنها موافقة أما الجوارح فليست موافقة فالنسور والرخمة ليسا من الطيور الصائدة أي ليست من جوارح الطير لكنهما من هذه الرتبة )

### كتاب جامع المفردات

تأليف الغافقي ( توفي نحو ٥٦٠ هـ ) — انتخاب ابن العربي ( توفي سنة ٦٨٤ هـ )

نشره وعلق عليه الدكتور ماكس ماير هوف والدكتور جورج صبحي

لم نر كتاباً هذه السنة اجتمعت فيه شروط البحث الدقيق والموازنة والاسناد كما اجتمعت في هذا الكتاب

فعلماء العرب اشتهروا بتعمقهم في علم المادة الطبية ، على اثر ترجمة كتاب ديوسقوريدس من اليونانية ، اكثر من اشتهارهم بآي علم آخر . والمظنون ان ترجمة كتاب ديوسقوريدس كانت بالسريانية وتمت في عصر العباسيين ثم نقل الكتاب من السريانية الى العربية واصح ترجمة هي الترجمة التي وضعها حنين ابن اسحق في القرن الثالث الهجري . خفاء كتاب ديوسقوريدس مثلاً احتذاه العرب في علم الادوية واشهر اصحابها الرازي وابن سينا وابن جزلة وابن الوافد وابن سمجون والشريف الادريسي والغافقي وابو العباس وابن البيطار . الا ان معظم مؤلفاتهم قد استبدت به ايدي الضياع ولم يبق الا كتاب ابن البيطار وقد احتوى على كل ما جاء في كتب الاوائل ، وهو في طبعة لكلاير اصح وصفاً واصلاح نصاً منه في طبعة بولاق اما كتاب الغافقي فليس منه الا نسختان احدهما مغلوطة ومحفوطة ببلدة غوثا بالمانيا والثانية في مكتبة المغفور له احمد تيمور باشا وهي صحيحة مضبوطة وقد تكرم قبل وفاته — رحمة الله عليه — فسمح للناشرين العالمين تصوير صفحاتها بالفوتوغراف

ولدى الموازنة بين كتاب ابن البيطار وكتاب الغافقي وجد ان مؤلف ابن البيطار ليس الا نسخة كاملة لكتاب الغافقي زيد عليها بعض ملاحظات من المؤلفين الذين خلفوا الغافقي . ويندر ان نجد في كتاب ابن البيطار ملاحظة خاصة به . ثم ان كتاب ابن الغافقي — في رأيها — ليس الا شرحاً للترجمة العربية لمؤلف ديوسقوريدس وقد اضيفت اليه اسماء النباتات والادوية التي عرفت بعد ما اتسع نطاق معرفة الاطباء العرب في فن العلاج . وقد شرح الغافقي هذه الادوية الجديدة شرحاً مطولاً يعم على مقدرة تبعث على الدهشة وذكره متوقفاً و اضاف اليها كثيراً من الادوية التي في شمال افريقيا وبلاد الاندلس



ولم يكتب الناشر ان باخراج طبعة عربية سليمة لكتاب الغافقي مع شدة ما عانيه في قراءة النسخة التيمورية والمقابلة بينها وبين نسخة غوثا والعودة احياناً الى كتاب ديوسقوريدس نفسه لفك المغلق ، بل انهما اخراجا ترجمة انكليزية حرفية جهد الطاقة وقد سارا في الطبعة العربية على الخطة التي يجري عليها المستشرقون في طبع الكتب القديمة . فانهما استخرجانها هو في رأيهما اقرب ما يكون الى الصواب ووضعوا امام كل لفظة لها اكثر من قراءة واحدة لا تقبل الريب ، رقماً وفي الحاشية اوردوا ما جاء في النسخة الخطية الاخرى اذا اعتمدت نسخة دون الثانية او ما ورد في النسختين الخطيتين اذا كانا قد اعتمدتا قراءة خاصة وصلا اليها بعد البحث والاستقصاء

وقد فعلا ذلك كذلك في الترجمة الانكليزية وكتبوا اسم كل دواء بلفظه العربي او المعرب بحروف افرنجية وعربية واطافوا الى ذلك اسمه الاجنبي الشائع واسمه العلمي خذ اشارة صفحة ١٤ من الاصل العربي فقد ورد في الترجمة الانكليزية ما يأتي :

Ushna Fragrant (tree) moss. Odorant lichen. Aleectoria usnesides (Lecl. no 85) اشنة

ثم انهما علقا على بعض الادوية شروحاً غاية في خطورة الشأن فعمل العالمين الفاضلين ليس نشرأ وترجمة فقط ، بل هو عمل ينطوي على تحقيق وتعمق في الطب واللغة واسماء النباتات العلمية فهما جديران من جمهور المتعلمين في الشرق بالشكر والثناء

\*\*\*

وقد رفعوا الكتابين الى من « احيا حضارة الفراعنة والعرب بعد موتيهما ، الى الآخذ بيد العلوم والفنون ورافع لوأها ، الى باعث النهضة الحديثة في مصر ، الى ملكنا المفدئ مولانا صاحب الجلالة احمد فؤاد الاول »

امير الشعراء

اثنا عشر عاماً في صحبته

وضع الاديب احمد عبد الوهاب ابو العزسكر تيرا احمد شوقي بك رحمه الله ، كتاباً يشتمل على ما عرفه عن شوقي في خلال اثني عشر عاماً زمه فيها . ومن ابدع فصول هذا الكتاب الفصل الذي يصف فيه المؤلف كيف كان شوقي ينظم الشعر . قال في مقدمة الكتاب : « في هذا الكتاب يعرف القراء كيف كان شوقي بك ينظم لآلى شعره وعلى اي صورة كان ذلك وفي اي الاوقات كان يحبب اليه النظم . وفي هذا الكتاب ايضاً يعرف القراء كيف كان يترنض وكيف كان يعمل وكيف كان يمجّد وكيف كان يلهو وكيف كان يحب وكيف كان يكره وفي الجملة يعرف القراء كيف كان يخالط الحياة ويمتزج بها . وهو في ١٩٢ صفحة من القطع الصغيرة ومزدان بصور كثيرة وثمنه ٥ قروش صاغ



## مطبوعات جديدة

﴿قصيدة﴾ ترجم حبيب بك غزالة  
قصيدة شوقي في النيل التي مطلعها

من اي عهد في القرى تتدفق

وبأي كفر في المدائن تغدق

بالغة الفرنسية ترجمة حوت لب معاني  
القصيدة . وهو عمل يشكر عليه لأنه لا بد  
لنا من ترجمة وأعم شعرائنا الى اللغات الاوربية  
اذا شئنا ان ننصف اذا عن لنقادها الحكم  
على أدبنا وشعرنا

﴿موازين النقد الادبي﴾ التي الاديب  
كامل كيلاني سكرتير رابطة الادب الجديد  
محاضرة في نادي هذه الرابطة موضوعها  
«موازين النقد الادبي» عرض فيها بالاسباب  
الى عيوب النقد عندنا فذكر الهجو والعريضة  
والبيغاية والاسراف ، وهي من المساويء  
التي يجب ان يترفع عنها الناقد لكي يستطيع  
ان يؤدي مهمة التثقيف والتقويم على اوفى  
وجه . ولما سئل المحاضر لماذا حصر قوله  
في عيوب النقد مع ان موضوع المحاضرة  
«موازين النقد» قال ان الكلام في العيوب  
ليس الا بمثابة مقدمة للكلام في الموازين  
في محاضرات تالية . ونحن نسجل هذا القول  
على أنه وعد

﴿غرازيلا﴾ احدى بدائع لامارتين  
الشاعر الفرنسي الكبير . فيها يمتزج الشعر

بالنقد بالفلسفة بالاجتماع في قصة ساذجة ينظم  
دررها حب صاف كالماء المترق . فانت  
تبدأ القصة فتحسبها مذكرات رحلة رحلها  
لامارتين الى ايطاليا فاذا وصف الرحلة جانب  
واحد من قصة تستهويك فلا تتركها حتى  
تتمها . وقد عني بترجمتها اسكندر كرباج احد  
ادباء لبنان في البرازيل واهدتها مجلة الشرق  
العربية البرازيلية الى مشتركها . والترجمة  
لا بأس بها من حيث الدقة ولكنها تحتاج الى  
قليل من التنقيح لتسلم من هفوات قليلة  
تشوه بعض محاسنها

﴿الطاغية﴾ وهي درامة تاريخية تأليف  
شار الشاعر الالماني الكبير معاصر جوته  
ونذره نقلها الى العربية الاديب فائق رياض  
وطبعت في دار المجلة الجديدة وتطلب من  
مكتبة النهضة المصرية بشارع المداين بمصر

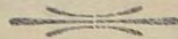
﴿سوريا في فجر التاريخ﴾ فصول وضعها  
محمد النعمان السخيطه مدرس التاريخ والجغرافية  
في مدرسة التجهيز بحلب وفقاً لبرنامج الصف  
الخامس التجهيزي . واخرجها عبد الودود  
الكيالي صاحب المكتبة العصرية بحلب على نفقته  
والكتاب مدرسي يجمع في فصوله اهم  
ما عرف عن الحثيين والاموريين والكنعانيين  
والفينيقيين وغيرهم من الشعوب القديمة التي  
قطنت سورية وما خلفته من آثار عمرائها وما  
كان يربطها بالمصريين وغيرهم من الروابط



## الجزء الاول من المجلد الثاني والثمانين

صفحة

١	رواية الاشعة الكونية
٩	الطبائع والامزجة . للامير مصطفى الشهابي (مصورة)
١٥	غزل فلسفي (قصيدة) للاستاذ عباس محمود العقاد
١٧	معرض المذاهب السياسية . للدكتور عبد الرحمن شهنبر
٢٤	سبيلا العظمة
٢٥	سر النبوغ في الادب . لمصطفى صادق الرافعي
٣٤	كان الكون ذرة وانفجرت
٣٧	الفكرة . لاسماعيل مظهر
٤٢	قيثارتني (قصيدة) . لعلي محمود طه المهندس
٤٣	اثر الآلات في الحضارة
٥٤	الحرب الكيمياوية . لحبيب اسكندر
٥٨	غداة الحرب القادمة (مصورة)
٦٢	المندر بن ماء السماء . ليوسف رزق الله غنيمه
٦٧	انا الميت الحي (نثر شعري) . لتوفيق مفرج
٧٠	عصر الانسانية المقبل . لاندريه موردي
٧٥	الوراثة والمحيط . للدكتور شريف عسيران
٨٣	البسمات الساخرة . (قصيدة) لحسن كامل الصيرفي
٨٤	آثار جرش الفخمة . لداود . ت فيشر (مصورة)
٨٨	الحضارة الفيزيقية . للشيخ بولس مسعد (مصورة)
٩٤	تعلم اللغات الاجنبية
٩٧	الفيلسوف سبينوزا . لحنا خباز



١٠٢	باب الزراعة والاقتصاد * نظرات في الحالة الزراعية
١٠٨	باب شؤون المرأة وتدير المنزل * حديث المائدة . التغذية والمرض . مقام الطبيب من صحة الجمهور . التأمين على صحة العامل . العناية ضد السرطان
١١٥	مكتبة المقتطف * نظر في معجم الحيوان . كتاب جامع المفردات . امير الشعراء . قصيدة النبل . موازين النقد الادبي . غرازيل . الطاغية . سوريا في بحر التاريخ



# طَبَقَاتُ الْأَرْضِ

أَوْ بَسَائِطُ الْجَوْلُوجِيَّةِ

ووفقاً للمنهج الذي أقرته وزارة المعارف العمومية  
للسنة الثالثة الثانوية

بقلم

فؤاد صروف

ثمن النسخة خمسة قروش تضاف إليها اجرة البريد وهي قرش صاغ  
ويطلب من المؤلف بإدارة المقتطف بمصر

خطاط جلاله الملك

المحامى نجيب بك هو أو يني  
واضع كتاب التزوير الخطي

مستعد لفحص الأوراق المطعون فيها بالتزوير واعطاء تقارير فيها. ويتولى عمل كليشيات  
واختام. ويطلب منه ومن مكتبة امين افندي هندية بالموسكي بمصر ومن المكاتب المشهورة  
تأليفه وهي : (١) كتاب التزوير الخطي وهو اول كتاب وضع لمعرفة الخطوط والاختام  
المزورة والصحيحة عربية وافرنجية لا يستغني عنه احد من المحامين والقضاة والخبراء  
واصحاب الاشغال وهو علمي عملي ثمنه ٥٠ قرش صاغ. (٢) كرايسه السلام الذهبية الرقعة  
والنسخ والثلث والفارسي لتعليم الخطوط الجميلة بأسهل اسلوب مبتكر ووقت قصير. (٣) المجلة  
وهي مجلة الاحكام العدلية مشروحة وشكله بقلمه وهذه المجلة والتزوير الخطي مقرر  
رسمياً في سورية وغيرها والكراريس الخطية مقررة من قديم لدى وزارة المعارف في  
زكيا وغيرها من البلاد العربية ومنشرة في المدارس المشهورة في جميع البلاد  
يكفي كتابة كلمة «مصر» عند مخبرة هو او يني. او مخاطبة تليفون ٥٠٣٣٠



# قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

صندوق بوستة ٩٥٤ مصر تليفون رقم ٥٩٧٣٦

- |     |   |    |   |
|-----|---|----|---|
| ٣٥  | القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)        | ١٠ | التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فري)      |
| ٧٠  | القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة)        | ٥  | خواطرحمار (للاستاذ الجمل)                 |
| ٣٥  | القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة اولى)         | ٥  | التعليم والصحة                            |
| ٧٠  | القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة ثانية)        | ١٥ | الحب والزواج (للاستاذ تقولا حداد          |
| ٣٥  | القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس            | ١٥ | ذكراً وانثى خلقهم » » »                   |
| ٢٠  | قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس                | ٥٠ | علم الاجتماع (جزآن كبيران » » »           |
| ٢٠  | قاموس الجيب عربي انكليزي فقط                    | ١٥ | اسرار الحياة الزوجية » » »                |
| ١٥  | قاموس الجيب انكليزي عربي فقط                    | ٢٥ | المرأة وفلسفة التناسليات (للككتور مخري    |
| ٧٠  | » سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)             | ٣٠ | الامراض التناسلية وعلاجها » » »           |
| ٥٠  | » سقراط سبيرو انكليزي عربي (باللفظ)             | ١٥ | الزينة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي       |
| ١٠٠ | » سقراط انكليزي عربي وبالعكس                    | ١٠ | تاييس » » »                               |
| ١٠  | التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)    | ٥  | مكايد الحب في تصور الملوك (اسمدخليل داغر) |
| ١٢  | الهدية السنوية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)  | ١٠ | القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)        |
| ١٥  | في اوقات الفراغ (للككتور محمد حسين هيكلك)       | ١٠ | مسارح الازدهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)       |
| ١٠  | عشرة ايام في السودان » » »                      | ١٢ | رواية احوال الاستبداد ، مصورة             |
| ١٢  | مرجمات في الادب والفنون (للاستاذ عباس المقاد    | ١٠ | رواية فاقنة المهدي ، او استعادة السودان   |
| ١٥  | روح الاشتراكية (لنوستاف لوبون) وترجمة           | ٨  | رواية الانتقام المذب (اسمد خليل داغر)     |
|     | (الاستاذ محمد زعيتير)                           | ٥  | فقر وعفاف (للاستاذ احمد رافت)             |
| ١٥  | روح السياسة » » »                               | ١٢ | رواية بارزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)     |
| ١٠  | الاراء والمعتقدات » » »                         | ١٢ | غرام الراهب او الساحرة المجنونة           |
| ١٠  | اصول الحقوق الدستورية » » »                     | ٧٥ | رواية روكامبول ١٧ جزء (طانيوس عبده)       |
| ٢٠  | الحضارة المصرية (لنوستاف لوبون)                 | ٢٥ | رواية ام روكامبول ٥ اجزاء »               |
| ٨   | مقدمة الحضارات الاولى » » »                     | ٢٠ | رواية باردليان ٣ اجزاء »                  |
| ١٠  | الحركة الاشتراكية (رمسي مكديونلد)               | ٢٠ | رواية الملكة ايزابو ٤ اجزاء »             |
| ١٥  | ملقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء            | ٢٠ | رواية الاميرة فوستا ، جزآن »              |
| ١٠  | اليوم والغد (للاستاذ سلامة موسى)                | ٣٠ | رواية عشاق فنيسيا ، جزآن »                |
| ٩   | مختارات سلامة موسى                              | ١٦ | رواية كايتان ، جزآن »                     |
| ٨   | نظرية التطور واصل الانسان » » »                 | ١٦ | رواية الوصية الحمراء ، جزآن »             |
| ٢   | انا تول فرانس في مبادله (الامير شكيب ارسلان)    | ١٢ | رواية فلمبرج ، جزآن »                     |
| ١٥  | الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)            | ١٠ | رواية فارس الملك »                        |
| ١٠  | المرأة الحديثة وكيف نسوسها (حسين عبد الله)      | ١٠ | رواية ضحايا الانتقام »                    |
| ١٠  | حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني) | ٥  | رواية المتشكرة الحسنة »                   |
| ١٠  | قبض الريح » » » » » » »                         | ٥  | رواية مروضه الاسود »                      |
| ٨   | نيمات وزوايع شعر منثور مصور                     | ٥  | رواية شهداء الاخلاص »                     |
| ١٠  | رسائل غرام جديدة (للاستاذ سليم عبدالواحد)       | ٨  | رواية المرأة المفترسة »                   |
| ١٠  | الغربال في الادب المصري (للاستاذ مخايل نسيمه)   | ١٦ | رواية دار المعجائب جزآن (تقولا رزق الله)  |
| ٥   | حكايات الاطفال ، اول (مصور بالالوان)            | ١٠ | » فرنسوا الاول » » »                      |
| ٥   | » » » » » » » » » » » » »                       |    |   |



# مكتبة العرب

لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني

بشارع الفجالة بمصر

من اكبر المكاتب واوسعها نطاقاً حاوية على جميع الكتب النادرة من الكتب المطبوعة في جميع الاقطار ولها قائمة مطولة ترسلها مجاناً وايضاً قائمة بالكتب الخطية النادرة وتطبع وتشارك المؤلفين في طبع مؤلفاتهم ولها معاملات مع اكبر مكاتب اوربا واميركا والشرق الاقصى والادنى وتلي جميع طلبات المهاجرين بأسرع ما يمكن

## مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما آتي الزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبديل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

Journal Oriente

وعنوانها

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

## الاصلاح

مجلة ثقافية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس



# راديو مصر

بول شارع فاروق عند اتصاله باعتبة الخضراء بعمارة الاوقاف

حرف « هـ » تليفون رقم ٥٣٢٥٢

اذاعات غنائية . موسيقى . طرب . اسطوانات منتقاة مساهمة في النهضة  
الاقتصادية . شعاره « معونة المصنوعات المصرية » ومساعدة التجار المصريين .  
مبدؤه نشر الثقافة العامة بين المصريين وبه قسم محاضرات مفتوح الابواب  
دائماً لسكبار المحاضرين

ويطلب باستمرار بلاسيهات ووكلاء لخدمة التجار بنشر اعلاناتهم

## فلاحة الارز والدنيبة والذرة الحلو

طبعة ثانية

كتاب عملي فريد في موضوعه استيفاء واتقاناً وفيه اجاث جديدة عن  
زراعة الارز شتلاً بمصر واسبانيا  
ثمنه ٤ قروش ويطلب من السكاتب بمصر ومن مؤلفه احمد الاني  
بتفتيش الامير سيف الدين بوسته فارسكور